الاحتجاج بالشعر في اللغة

الواقع ودلالته

الدكتور محمد حسن حسن جبل
كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بمكة المكرمة - جامعة أم القرى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني - القاهرة
ص ب: ١٣٠ - ت: ٧٦٠٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، واهتدى بهداه . وبعد

فقد تولدت فكرة هذا الكتاب فى أثناء معالجة موضوع كتاب آخر هو « الاستدراك على المعاجم العربية » ، إذ اقتضى موضـــوع الاستدراك مواجهة قضية الاحتجاج اللغوى ، لأن النُطُق التى ضربت حول معيار الاحتجاج كانت سبباً فى إغفال كثير مما أجدّه المولّدون ، وطالب ذلك الكتاب باستدراكه .

* ولما كانت الدراسات التى تناولت موضوع الاحتجاج من قبل(*)

(*) من الدراسات السابقة فى موضوع الاحتجاج اللغوى :

١ — الاقتراح للسيوطى ٢٧ — ٨٤ .

٢ — الخزانة للبغدادى (هارون) ١ /٥ — ١٧ .

٣ — شرح كفاية المتحفظ لمحمد بن الطيب الفاسى ٩٥ — ١٠٤ .

٤ — القياس للشيخ محمد الخضر .

٥ — فى أصول النحو . سعيد الأفغانى ٦ — ٧٦ .

٦ — الشواهد والاستشهاد فى النحو . عبد الجبار علوان .

٧ — الرواية والاستشهاد باللغة د . محمد عيد ٩٩ — ٢١٨ .

٨ — الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه خديجة الحديثى ١٠ — ١١٥ .

٩ — الشواهد النحوية د . أحمد ماهر البقرى .

١٠ — موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف د . خديجة الحديثى .

١١ — ظاهرة الشذوذ فى النحو العربى د . فتحى الدجنى .

١٢ — أصول النحو العربى. محمد خير الحلوانى .

١٣ — أصول النحو العربى فى نظر النحاة ، ورأى ابن مضاء ، وضوء علم اللغة الحديث د . محمد عيد .

١٤ — القواعد النحوية: مادتها وطريقتها. د . عبد الحميد حسن .

لم تقف عند تفصيل معنى الاستشهاد اللغوى ، أو مدى الالتزام بالنطق المضروبة حول معياره — ربما لأن أطر تلك الدراسات لم تستدع ذلك ، فقد أصبح لزاما أن أقوم أنا بذلك التفصيل وبحث مدى الالتزام حتى تنجلي الحقيقة فى موضوع الاحتجاج اللغوي بكل أبعاده ، ولتقوم الأحكام والمستخلَصات فى هذا الموضوع بعد ذلك على أسس علمية .

● ولما كان الشعر هو أبرز(١) ما احتج به من كلام العرب فى تقرير التحديدات والضوابط اللغوية فى مستويات الدرس اللغوى — الأصوات ، والصيغ ، والتركيب ومتن اللغة والدلالة ، فقد قصرت البحث فى مدى الالتزام بنطق الاحتجاج عليه : هذا مع العلم بأن ما يصدق على الشعر قد يصدق على غيره من كلام العرب فى هذا المجال .

● وقد اقتضى تأصيل الدراسة — ببيان وجه الحاجة إلى الشواهد فى تقرير الأحكام اللغوية — أن نقف عند موضوع السليقة اللغوية ، لأنها أحد الأسس المهمة لكون الاستشهاد اللغوى ضروريا ، وقد أطلنا تلك الوقفة ، لأن مسألة السليقة اللغوية هـــذه صارت موضع جحد عنـــد المحدثين(٢)

---

(١) عدد شواهد « الكتاب » الشعرية ألف وخمسون شاهدا ، وعدد الأمثال مع الأساليب والنماذج النحوية (أعنى الشواهد النثرية) الواردة فى الكتاب ثلاث مئةٍ وخمسون . هذا عن كلام العرب . أما القرآن الكريم فعدد الآيات المستشهد بها فى « الكتاب » أربع مئة وسبع وأربعون آية ، والأحاديث الشريفة فيه ثمانية (كل ذلك إحصاء من فهارس « الكتاب » للعلامة عبد السلام هارون) أى أن هنالك (١٠٥٠) شاهدا من الشعر مقابل (٨٠٥) شواهد من كل ما عداه . فإذا اتخذنا « الكتاب » مثلا للمؤلفات اللغوية — وإنه لكذلك فى غير متن اللغة والدلالة — فإن هذا البيان لنوعيات الشواهد ، وعدد كل منها فيه ، يثبت اعتماد الأحكام اللغوية فى جمهورها الأعظم — على الشعر .

(٢) انظر مثلا اللغة العربية المعاصرة د . محمد كامل حسين ٥٨ — ٦٦ .

ومن هنا فقد رتبت الكتاب على الأبواب التالية :

— الباب الأول : السليقة اللغوية ، وحقها فى تحديد معالم الصواب اللغوى ، وفيه عرّفت بالسليقة اللغوية ، وميزت بين سليقية اللغـــة وسليقية اللاغى ، وأصّلت ما تميزت به العربية من قوة السليقية ، بما كان له أثره فى قوة سليقية أهلها ، ثم عقـــدت فصلا لإثبات سليقية الصواب اللغوى عند عرب عصر الاحتجاج ، وختمت الباب بفصل عن ضرورة الاحتجاج بالشواهد فى الأحكام اللغوية بينت فيه قيام هـــذه الضرورة على حق السليقة ، وعلى الحفاظ الوطنى والقومى ، والاعتزاز الحضارى ، والغيرة الدينية .

أما الباب الثانى : « الشاهد ومعنى الاستشهاد » ، فقد وقفت فيه عند معنى الشاهد ، وأنواع الشواهد ، وتأصيل استعمال كلمة شاهد فى معناها الاصطلاحى ، ثم عند تفصيل التعريف الاصطلاحى للشاهد اللغوى ، وبيان صور ما يدخل فى تعريفه .

• ولما كان الهدف من الشواهد اللغوية هو إثبات أن الجزئية اللغوية المستشهد لها عربية حقيقة ، فقد عقدت الباب الثالث لبيان « معيار عروبة الكلام » التى تجعله موضعا للاحتجاج به ، وتفصيل النُطُق التى ضربت لضمان عروبته هذه : من قبلية ، ومكانية ، وزمانية ، ومشتركة .

• وأما الباب الرابع فقد عقدته لبيان « أثر نُطُق الاحتجاج » ثم مناقشتها وقدمت — لبيان الأثر — صورة عامة ، وأخرى تفصيلية واقعية لالتزام اللغويين فى مؤلفاتهم بنُطُق الاحتجاج ، مشيرا فى أثناء ذلك إلى ما جره الالتزام بتلك النطق من إهدار لما استجد — وراء تلك النطق — من الثروة اللغوية ، ومن ثم انتقلت إلى مناقشة تلك النطق حيث بينت ما فيها من تعميم وتشدد ، أديا إلى إهدار ما أهدر .

— وأما الأبواب الخامس والسادس والسابع فقد عقدتها لعرض ما وقع من الأئمة اللغويين من تجاوز — فى احتجاجاتهم اللغوية — لنُطُق الاحتجاج

إحساساً منهم بما شاب نطق الاحتجاج — من ناحية ، واعترافاً منهم بضرورة النمو والتطور للغة — من جانب آخر ، وفقها لطبيعة العربية من جانب ثالث . فكان الباب الخامس لتجاوز النطاقين القَبَلى والمكانى حيث أشرت إشارات محددة إلى ما وقع من احتجاجات بشعر لشعراء من القبائل التى قيل إن اللغة لم تؤخذ عنهـا ، وبشعر شعراء من المناطق التى قيل إن اللغة لم تؤخذ عن أهلها . وخُصِّص الباب السادس لأخطر هذه التجاوزات قدراً وهو تجاوز النطاق الزمنى : حيث عرضت — بتفصيل كاف — كثيراً مما وقع من الاحتجاجات بشعر شعراء أواخر النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ومابعده حتى القرن الخامس . وقدحرصت ألا أختصر فى عرض هذه الاحتجاجات ، حفظاً لحق القارىء فى أن تكون الصورة أمامه كاملة ، يستطيع أن يفحصها دون أن يضطر للرجوع إلى أصولها من أجل ذلك الفحص ، وليكون الاقتناع فى آخر الأمر راسخاً إن شاءالله تعالى ، وقدمت لكل شاعر(١) بما قيل فى فصاحته ومستوى شاعريته ، مما يوجه احتجاج الأئمة بشعره . أما الباب السابع فهو يكاد يكون عرضاً لوجه آخر مما فى الباب السادس ، إذ عينت فيه الأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين محددا مواضع الاحتجاج فى مؤلفاتهم — مع عرض واحد من تلك الاحتجاجات لكل إمام . ثم إن ما عرضته فى البابين من الاحتجاجات كان فى مجالى متن اللغة وما إليه ، والنحو وما إليه ، على السواء ، مع التمييز بين النوعين . وكذلك فى سائر الأبواب ماعدا الباب الخامس ، حيث كانت الأمثلة التى حددناها من مجال متن اللغة فحسب .

— وأما الباب الثامن والأخير « تحقيق واستخلاص » فقد خصصت الفصل الأول منه لمواجهة كل الشبهات التى قد تثار حول كون تلك الاحتجاجات بشعر المولدين هى احتجاجات حقيقية فعلا ، وأنها تمثل نسبة ذات اعتبار . وقفت فيها وقفات مطولة عند خمس مسائل: الأولى :

---

(١) ما عدا مطيعا والتيمى وعقيل بن بلال .

مدى انطباق تعريف الشاهد على تلك الاحتجاجات ، والثانية : مدى حُجية الأخذ بتوثيق إمام ما لأحد الشعراء أو احتجاجه بشعره ، والثالثة: دلالة صيغة عبارة الإمام عند سوقه الشاهد من شواهد المولدين تلك ، والرابعة : مدى منهجية اللغويين الذين احتجوا بشعر المولدين، والخامسة : حجم هذه الاحتجاجات ونسبتها إلى مجموع شواهد كتاب سيبويه ، وهو يمثل أكبر مجموعة للشواهد تقريبا .

وأخيراً خصصت الفصل الثانى لاستخلاص دلالة الاحتجاجات الكثيرة بشعر المولدين . وهى أنه مادام قد تم وضع قواعد اللغة وأصولها ومقاييسها أخذا من نتاج عصر الفصاحة السليقية ، فإن قبول مايستجد فى اللغة بعد ذلك ينبغى أن يناط باتساقه مع تلك الأصول والمقاييس — مع الثقة فى فصاحة قائله ، وذلك بصرف النظر عن كونه من المولدين ، وبينت أن هذه هى أيضا دلالة عمل الرواة والشراح الذين رووا شعر المولدين وشرحوه . وأخيرا بينت أن هذا هو الاتجاه الذى أخذ به مجمع اللغة العربية المصرى فى معاجمه الثلاثة . وإن كان هذا الكتاب يؤصل عمل المجمع ، ويفسح المجال لمراجعة كل مدونات المولدين لالتقاط ما يمكن أن يكونوا أجدّوه فى اللغة .

وبعد ، فإن العلم أمانة ومسئولية ، وإذا اقتنع الباحث برأى أو أمر — بعد البحث العلمى الجادّ المخلص ، فمن واجبه أن يصدع به ، مهماكان فى الجانب الآخر ما يضاده مما لايهزّ اقتناعه ، وإلاكان خائنا لتلك الأمانة . ومن هنا قال ابن جنى : « ومن وجدمقالاً قال به، وإن لم يسبق إليه غيره »(١) وقال: « فكل من فُرِق له عن علة صحيحة ، وطريق نهجة كان خليلَ نفسه ، وأبا عمرو فكره » . ثم رسم ابن جنى ضمانات ذلك الموقف بقوله: « إلا أننا — مع هذا الذى رأيناه وسوغنا مرتكبه — لانسمح

---

(١) الخصائص ٢ / ١٥٥ .

له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها ، وتتالت أواخر على أوائلي . . . إلا بعد أن يناهضه إتقانا ، ويثابته عرفانا . . . فإذا هو حذا على هذا المثال . . أمضى الرأي فيما يريه الله منه غير معاز به ، ولا غاض من السلف رحمهم الله في شيء منه . . . » (١).

أقول هذا ، لأن هذا الكتاب فيه ما يبدو أنه مخالفة للقدماء في واحدة من أشهر مقرراتهم ، وفيه ما يخالف المحدثين في بعض اتجاهاتهم. إن حصيلة ما تخلص إليه بحوث هذا الكتاب هي ضرورة قبول ما أجدّه المولّدون في اللغة . وهذا يبدو مخالفا لما أخذ به القدماء بصورة عامة من رفض ما أجدّه المولدون ، وذلك منذ بدءوا وضع المعاجم اللغوية إلى العصر الحديث . ولئن كان مجمع اللغة العربية قد قبل كثيرا مما أجدّه المولدون ، إلا أن ذلك ما زال يجري في نطاق الملتقطات المستثناة ، بينما هذا الكتاب يؤصل هذا الاتجاه من ناحية ، ثم يطالب بمراجعة دقيقة وشاملة لنتاج فصحاء المولدين ، حتى يُضَمّ جميع ما أجدّوه ، ما دام ذلك لا يخرج على أصول مقررة أو قياس مطرد .

كذلك فإن هذا الكتاب يتكلم عن السليقة ، ويجعلها أحد مبررات الالتزام بسَوْق الشواهد التي تشهد للأحكام اللغوية ، وكذلك يتكلم عن العلاقة الإيجابية بين الألفاظ والمعاني في اللغة العربية . والأمران : السليقة والعلاقة لايكاد يوجد من الدارسين المحدثين من يعترف بهما . لكننا برغم ذلك تناولنا السليقة ومجالات العلاقة بين الألفاظ والمعاني بما نرى فيه مقنعا لكل باحث منصف : غير حريص على الالتزام بآراء الأوزبيين أو المتخففين .

(١) الخصائص ١ / ١٩٠ .

ـ أسأل الله عز وجل أن يتقبل هذا العمل قبولا حسنا ، وأن يديم النفع به . اللهم آمين .

طنطا في ٢٨ من ذي القعـدة ١٤٠٦ هـ
٣ من أغسطس ١٩٨٦ م

أ د . محمد حسن حسن جبل
كلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بمكة المكرمة ـ جامعة أم القرى

أ. د محمد حسن حسن جبل

الباب الأول

السليقة اللغوية
وحقها في تحديد معالم الصواب اللغوى

هذه اللغة العربية التى شرفنا الله بها كان العرب يتكلمونها صحيحة فصيحة بالسليقة منذ العصر الجاهلى – على ما تقضى به صورتها التى وصلتنا عن ذلك العصر . وقد استمرت على تلك الصورة فى مجملها قرونا عدة ، فلما آن أن توضع معايير الصواب اللغوى فى جميع مستويات الدراسة اللغوية ليستعين بها الموالى وعرب الحضر ، استنبطت تلك المعايير من النتاج اللغوى لعرب تلك القرون ، بالإضافة إلى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، واحتج لتفاصيلها بشواهد من ذلك النتاج رعاية لحق السليقية وحق الدين .

وقبل أن نتكلم عن الشواهد ، أو نقدم ما يثبت سليقية الصواب اللغوى لدى أولئك العرب المتقدمين ، علينا أن نعرف بالسليقة ، وبالفروق بين العربية وغيرها فى هذا المجال .

الفصل الأول

السليقة اللغوية

معنى السليقة :

والسليقة ليست معنى غيبياً ، ولا غائما . فمن الحقائق العلمية أن الإنسان يخلق مزودا بقدرة على الكلام تتمثل فى مراكز فى المخ للذاكرة اللغوية ، وللعمليات العقلية العليا ، وللقراءة والكتابة ، ولحركيات النطق[1] — وذلك بالإضافة إلى مراكز الحس والحركة الموجودة فى أدمغة سائر الأحياء .

فهذه القدرة هى أساس السليقة التى نتحدث عنها ؛ ذلك أنه عندما يستوعب الإنسان قدرا صالحا من لغة بيئته ، فإنه يصبح فى وسعه أن يؤلف جملا وعبارات لم يسمعها بذاتها من قبل ، وذلك هو الحد الأدنى من السليقية .

فقد فسرت السليقة (لغويا) بالطبيعة والسجية (أى الخُلُق أو الصفة الراسخة ، والمقصود هنا صفة القدرة أو المهارة اللغوية) « يقال فلان يتكلم بالسليقة أى ينطق بالكلام صحيحاً من غير تعلم . . والسليقى العربى الذى ينطق بالكلام صحيحاً من غير تعلم . ومنه قول الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى أقول فأعرب »(٢). اهـ.

---

(١) انظر المعنى اللغوى ٩٨ — ١٠٣ والمراجع التى أشير إليها هناك .

(٢) هذا التعريف من المعجم الوسيط (سلق) ط ٢ جـ ١ / ٤٤٥ وهو خلاصة ما فى اللسان والتاج ففيهما «السليقة الطبع/الطبيعة والسجية . فلان يقرأ بالسليقة أى بطبيعته لا بتعلم/بطبعه الذى نشأ عليه ولغته/بطبيعته ليس بتعلم . وهو يتكلم بالسليقية أى عن طبعه لاعن تعلم . » « والسليق من الكلام ما تكلم به البدوى بطبعه ولغته وإن كان غيره من الكلام آثر وأحسن » كما فسرت السليقية بالفصاحة ، وذكر البيت «ولست بنحوى . . .» وقيل فى تفسيره « أى أجرى =

فالسليقة إذاً هى قدرة أو مهارة لغوية راسخة فى نفس صاحبها تمكنه من الأداء اللغوى الصحيح من غير تعلم .

والتعلم المنفى فى كلامهم عن السليقة هنا هو التعلم المقصود فى الكُتَّاب والمدرسة وما إلى ذلك . أما تعلم الطفل مثلا بواسطة ما يسمعه أو يراه عفواً من والديه وأهل بيئته فهو أهم روافد السليقية .

وهذه السليقة اللغوية التى ذكرنا تعريفها تقرب ماسماه ابن خلدون(١) « الملكة اللغوية » . فقد عرفت المَلَكة (بالتحريك) بأنها صفة راسخة فى النفس ، أو استعداد عقلى خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة ، مثل المَلَكة العددية ، والمَلَكة اللغوية(٢) .

= على طبيعتى ولا ألحن» انظر ل (ملق)١٢/ ٢٦/١٩ –٢٣ وتاج العروس ٦/٣٨٣/١٩ – ٣٣ ، وبهذا يعلم أن المعجم الوسيط صرح فى تعريفه السليقة بقيد الصحة « ينطق بالكلام صحيحاً » ومأخذ هذا القيد من كلام الأئمة القدماء تفسيرهم السليقية بالفصاحة ، وقولهم فى تفسير البيت « أجرى على طبيعتى ولا ألحن » . وأرى أن هذه الصحة فى نطق الكلام ينبغى أن تتناول كل ما يجعل الأداء اللغوى صحيحاً كدقة استعمال الألفاظ فى معانيها وسلامة التركيب والإعراب . »

تبقى هنا كلمتان الأولى أن الليث قال فى تفسيره للسليقى من الكلام إنه «ما لا يتعاهد إعرابه وهو فصيح فى السمع ، عثور فى النحو» ل ١٢/ ٢٧/ ١ وهذا ينافى القيد الذى صرح به المعجم الوسيط وزكيناه . والذى أراه أن قوله « لا يتعاهد إعرابه » وقوله « عثور فى النحو » ليس من حد السليقة ولا شرطها ، وإنما هذا تنزيل منه لمعنى السليقية على ما أصبح يقع من السليقيين فى عصره : وقد جاء تفسير للسليقية يتناول ما أراده الليث لكن بتعبير أدق وهو أنها « اللغة التى يسترسل فيها المتكلم على سليقته أى سجيته وطبيعته من غير تعمد إعراب ولا تجنب لحن » ل ١٢ /٢٧/٣ – ٤ نعم من غير تعمد إعراب أو تعمد تجنب اللحن . لكن الإعراب رغم عدم تعمد التزامه قد يلتزم سليقية ، واللحن رغم عدم تعمد التحرز منه قد يتجنب ، وهذا ما نقصده .

– الكلمة الثانية : أن لفظ الطبيعة فى تعريف السليقية لا يفهم منه ضرورة ما يوجد فى الإنسان خلقة دون اختيار كالذى يولد أصم أو مختل العقل ، فيكون معنى السليقة العربية النطق بالعربية فطرة حتى لو ولد فى غير بيئة عربية – هذا لا نقوله .

(١) انظر عن الملكة اللغوية وتربيتها فى نظر ابن خلدون (مقدمته (بتحقيق وافى) ١٢٦٤ – ١٢٦٦ ، ١٢٧٨ – ١٢٧٩ ، ١٢٨٥ – ١٢٩٠ .

(٢) المعجم الوسيط (ملك) ص ٨٨٦ .

وقد فصّل ابن خلدون فى الكلام عن الملكة اللغوية وكيفية تربيتها . (١) والفرق بين الملكة وبين المفهوم القديم للسليقية – وهو المفهوم الذى قدمناه ونتخذه – أن الملكة تربّى بالتعلم المقصود وغير المقصود معا ، أما السليقة فلا تكون إلا بالتعلم غير المقصود (٢) . ثم إن السليقة أصل وأقوى من الملكة .

لقد ذكرنا منذ قليل أن تأليف الإنسان جملا وعبارات لم يسمعها بذاتها من قبل هو الحد الأدنى من السليقية ، ونضيف الآن أن هناك فوق ذلك درجات من السليقية يتفاوت اللاغون فى بلوغها بقدر ما تسعفهم استعداداتهم وطبائع لغاتهم معاً ، فإذا تهيأت للغة طبيعة تساعد على السليقية واستوعبها اللاغى وتشبع بروحها – مع نصوع حسّه اللغوى ، فإنه يترقى فى السليقية بدرجاتها : من دقة التعبير ، ولحظ الفروق فى التعبير بالألفاظ المتقاربة المعانى ؛ إلى استعمال التراكيب بشتى أنواعها – فى مقاماتها – محكمة مضبوطة دقيقة الدلالة ، إلى ارتجال الألفاظ والعبارات – أعنى ابتكارها والتصرف فيها – لمعان جديدة أو قديمة ، ثم إلى أسلوب الحكمة وجوامع الكلم .

وقد أشار ابن جنى إلى المرحلة قبل الأخيرة هنا فى قوله : « إنّ الأعرابىّ إذا قويَتْ فصاحتُه ، وسَمَتْ طبيعتُه ، تصرَّفَ وارتجلَ ما لم يسبقه أحد قبله به (٣) » وجاء بأمثلة كثيرة لذلك المرتجل (٤) .

---

(١) انظر المقدمة ص ١٢٧٩ ، ١٢٨٥ – ١٢٩٢ .

(٢) هذا استخلاص من تعريف المعاجم للسليقة وتعريف ابن خلدون للملكة .

(٣) الخصائص ٢/ ٢٥ .

(٤) انظر الخصائص ٢/ ٢١ – ٢٤ .

الفصل الثانى

سليقية اللغة العربية : قوتها ، وأساس هذه القوة وأثرها(١)

(سليقية اللغة وسليقية اللاغى) :

وقد يقال إنه بناء على ماذكر من معنى السليقة ، فإن لدى أهل كل لغة قدراً من السليقية ، حيث يستطيعون أن يعبروا عما يشاءون بعبارات ربما لم يسمعوها من قبل ، وأقول نعم إلى هذا الحد . ولكننا أسلفنا أن هناك فرقاً فى الدرجة ، ونضيف أن هناك فرقاً بين سليقية اللغة وسليقية اللاغى ، وأنه يترتب على هذا وذاك فرق أو فروق بين السليقية لدى أهل العربية ، والسليقية لدى غيرهم .

فإذا كانت سليقية اللاغى — هى تعبيره الطبيعى — غير المتكلف بتعلم أو غيره — أى الذى يشبه أرجاعه(٢) غير المتكلفة إزاء مايواجهه من المواقف المختلفة — أى عند ما « يحس فيعبر » ، فإن صورة تحقق ذلك فى اللغـة نفسها أن تكون العلاقة فيها بين الأشياء وأسمائها (٣) (أى بين المعانى والألفاظ)

---

(١) انظر ما أسلفناه من تعريف الملكة فى المعجم الوسيط ، وما أحلنا إليه من كلام ابن خلدون عن الملكة اللغوية وتربيتها .

(٢) الأرجاع جمع رجع (بالفتح) يقصد بها ما يسمى ردود الفعل أو الانعكاسات — نقلا من الرجع : جواب الصدى . وفضل جمع فعل هذا على أفعال — مع قلة مثله — للتميز .

(٣) نستعمل هنا الأسماء بمعنى ألفاظ اللغة عامة . وهذا ليس غريباً ولا جديداً ، فقد قيل به فى تفسير قوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » (انظر مثلا تفسير البيضاوى فى هذه الآية حيث قال ماخلاصته أن الأسماء تصدق على الأفعال والحروف ، وذلك إما من حيث المعنى الاشتقاق اللغوى للاسم — وهو أنه ما كان علامة للشىء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال ، وأما من حيث المعنى العرفى له وهو أنه اللفظ الموضوع لمعنى — وهو يعمها أيضاً ، كما أن هذا المعنى للاسم يستلزم المعنى الأول (البيضاوى على هامش حاشية زادة ١/٢٤٧ — ٢٤٨ ، وانظر كذلك التعليقات فى الحاشية المذكورة على كلامه) وجاء بمعنى ذلك أيضاً فى المزهر ، وزاد معللا لشمول الأسماء فى الآية الأفعال والحروف « عدم القائل بالفصل (أى بين الأسماء من ناحية والأفعال والحروف من ناحية أخرى) ، وأن الأفعال والحروف أيضاً أسماء ، وأن الاسم ماكان علامة (— على ما قال البيضاوى) والتمييز (بين الأنواع الثلاثة) من تصرف النحاة لامن اللغة ، وأن التكلم بالأسماء وحدها متعذر » ا هـ المزهر ١/١٧ بتصرف يسير .

مباشرة وطبيعية ، أى أن تكون الأسماء (= الألفاظ) معبِّرة عن ملاحظ موجودة فعلا فى الأشياء ، لأنه فى هذه الحالة تكون الأسماء (= الألفاظ) تعبيرات سليقية غير متكلفة ، كأنها أرجاع أو أصداء لما أحسه المعبِّر من ملاحظ فى المسميات فسماها بها ، أى أنه « أحس فسمى » . وهذا عين السليقية فى اللغة نفسها .

أما فى حالة كون الألفاظ رموزاً عشواء للمعانى ، وضعت باصطلاح أو شبهه — على ما هو الرأى السائد لدى علماء الغرب (١) — وقد يكون كذلك فى لغاتهم ، ولكنه لا يُلزمنا فى لغتنا — فإن هذا هو التكلف بعينه وهو أبعد ما يكون عن السليقية ، لأنه أبعد ما يكون عن الطبيعية ، إذ ليس هناك — على زعم القائلين بهذا — إحساس بمعنى أو ملحظ ، وبالتالى فليس الاسم تعبيراً عن معنى أو ملحظ .

(قوة السليقية فى اللغة العربية وأساسها) :

وإذا صح هــذا البيان لسليقية اللغة — وإنه لصحيح ، فإنى أزعم أن العربية هى من أقوى اللغات سليقية — إن لم تكن أقواها . ذلك أنه قد توفرت لها تلك العلاقة الحقيقية المباشرة بين الأسماء والأشياء — أى بين الألفاظ والمعانى . وذلك فى عدة صور على ما يلى :

(١) الصورة الأولى لتلك العلاقة هى أن ألفاظ العربية معلَّلة ، أى أن تسمية الأشياء والأحداث بأسمائها أى بالألفاظ الدالة عليها وقعت لعلل . فلم يطلق اللفظ على مسماه عبثاً أو عشوائياً ، وإنما أطلق تعبيراً عن ملحظ فى الشىء المسمى — اتُّخذ ذلك الملحظ علامة عليه ، ثم صار اللفظ المعبر عن ذلك الملحظ اسما للشىء كله ، من حيث إنه يذكر العلامة التى تميزه . وقد أشرنا إلى ذلك منذ قليل .

— وتعليل الأسماء هذا صرح به ابن الأعرابى (المتوفى ٢٣١ هـ) — وهو من أئمة اللغويين — فقال : « الأسماء كلها لعلة خصّت العرب ماخصّت منها . من العلل مانعلمه ، ومنها مانجهله . وذهب إلى أن مكة

(١) انظر لغات البشر ماريوباى ترجمة د. صلاح العربى ص ٢ ، وانظر تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين جورج مونين ترجمة د. بدر الدين قاسم ص ٦٨ ، وكذلك « من أسرار اللغة » د. ابراهيم أنيس ط ٦ ص ١٤٤ ثم ما قبلها وما بعدها .

سميت مكة لجذب الناس إليها ، و . . . » ثم قال : « فإن قال قائل لأى علة سمِّى الرجل رجلا والمرأة المرأة . . ؟ قلنا : لعلل علمها العرب وجهلناها أو بعضها ، فلم تزُل عن العرب حكمة العلم ، بما لحقنا من غموض العلة ، وصعوبة الاستخراج علينا (١) » .

— وقال مرة أخرى — بشأن المعنى الخاص لكل من المترادفين ، وهو الملحظ الذى سميناه علة التسمية : « وربمــا عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نُلزم العرب جهله (٢) » .. وفى هذه النقطة الأخيرة قال ابن جنى : « وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها فى الزمان عنا ، ألا ترى إلى قول سيبويه « أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر » يعنى أن يكون الأول الحاضر شاهدَ الحال ، فعرفَ السبب الذى له ومن أجله وقعت عليه (أى على الحال أو الشىء) التسمية ، والآخر — لبعده عن الحال — لم يعرف السبب للتسمية (٣) » .

— وكون الأسماء معللة ليس مذهب ابن الأعرابى وحده ، ولا سيبويه وابن جنى معه فحسب ، بل هو أمر مجمع عليه عند أئمة اللغويين ، وقد شارك كل منهم بجهد فى الصورة التطبيقية للتعليل — وهى الاشتقاق ، ولكثيرين منهم مؤلفات خاصة فيه (٤) . قال ابن فارس : « أجمع أهل اللغة — إلا من شذ عنهم — أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض (٥) » والقياس فى كلامه هنا هو التعليل بعينه (٦) ،

(١) المزهر ١/٤٠٠ .

(٢) نفسه .

(٣) الخصائص ١/٦٦ وهو يشير إلى قول سيبويه حين تعرض عبورا لمسألة التسمية والمعنى المشتق منه فقال : « فإن كان (يعنى الاسم) عربياً نعرفه ، ولا نعرف الذى اشتق منه فإنما ذاك لأنا جهلنا ما علم غيرنا ، أو يكون الآخر لم يصل إليه علم وصل إلى الأول المسمِّى » (الكتاب هارون ٢/١٠٢ — ١٠٣) .

(٤) انظر المزهر ١/٣٥١ .

(٥) الصاحبى (صقر) ٥٧ .

(٦) نعم القياس هنا هو التعليل بعينه ، لأن الشىء إنما يقاس على الشىء لعلة جامعة بينهما . وصورته التطبيقية هى الاشتقاق كما هو صريح كلام ابن فارس هنا . وقد أتبع هذا الكلام فى الصاحبى بعدة أمثلة اشتقاقية فانظرها .

— والصورة التطبيقية لبيان علل الألفاظ هي ما يسمى الاشتقاق الصغير(١) : حيث يرد معنى كلمة من تركيب ما إلى معنى كلمة أخرى من نفس التركيب (٢) . وهذه العلل في صورتها تلك حفلت بها كتب الاشتقاق ، كاشتقاق الأسماء للأصمعي ، والاشتقاق لابن دريد ، واشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي — كما أنها منثورة باتساع في كتب الدراسات اللغوية ، كالشروح القديمة للدواوين والمختارات الشعرية ، وغيرها ، وفي المعاجم اللغوية الأساسية .

— وهذه أمثلة سريعة من التراكيب الأولى في معجم لسان العرب . والتعليل فيها — كما في غيرها من كتب الدراسات اللغوية — قد يصرح به ، وقد يفهم من السياق :

— « والبَدْء (بالفتح) والبديء (ككريم) البئر التي حُفِرت في الإسلام حديثة (٣) وليست بعاديّة (٤) ، يقال للركية بَدِيء وبَدِيع إذا حفرتها أنت . . . » (يعني أنها سميت بدءاً وبديئاً لأنك أنت بدأت حفرها ولم يحفرها أحد قبلك . ونظر في التعبير الأول إلى استحداثها) .

— « والبَدْء (بالفتح) السيد الأول في السيادة ، والثُّنيان الذى يليه في السؤدد (٥) » .

— « وفي رواية نحن معاشر الأنبياء فينا بُكْء (بالضم) وبكاء

(١) انظر في أنواع الاشتقاق الخصائص ٢/١٣٣ — ١٣٩ والمزهر ١/٣٤٥ — ٣٥٤ .

(٢) أى مع تماثل الحروف الأصلية وترتيبها في الكلمتين ؛ ويشمل ما يسمى المشتقات القياسية كاسمى الفاعل والمفعول واسمى الزمان والمكان . . . ، وغيرها كأخذ القلم من تقليم الشجر والكتابة بالقلم من كتب القربة . وهذا الاشتقاق الصغير قد يسمى الأصغر (في الخصائص ٢/١٣٣ — ١٣٤ سماه بالاسمين الصغير والأصغر ، وانظر المزهر ١/٣٤٧ — ٣٤٨ ، والاشتقاق لعبد الله أمين مبحث أنواع الاشتقاق) .

(٣) أى مستحدثة بدئت حديثاً ولم تكن في العصر الجاهلي .

(٤) العادى القديم نسبة إلى عاد قبيلة هود .

(٥) اللسان (بدأ) ١/٢١/٦ — ٧ .

(كرخام) أى قلة كلام إلا في ما تحتاج إليه . . بكؤت الناقة (ككرم) : إذا قل لبنها » (١) أى أن البُكْء قلة الكلام مشتق من البكْء قلة اللبن .

— « والبَهاء بالفتح والمد : الناقة التي تستأنس إلى الحالب . وهو من بهأت به أى أنست به (٢) » .

— والباء النكاح ، وسمى النكاح باءة وباء من المباءة ، لأن الرجل يتبوأ من أهله أي يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره . . . والأصل في الباءة المنزل ثم قيل لعقد التزويج باءة لأن من تزوج امرأة بوّأها منزلا (٣) » .

— « والجوازىء الوحش (يعني البقر والظباء لأنها غير مستأنسة) لتجزئها بالرُّطب (بالضم : العشب الرطب) عن الماء » (٤) .

— « والجُشْأة (بالضم) هبوب الريح عند الفجر . . . مستعار للفجر من الجُشْأة عن الطعام » (٥) .

— « وجشأت الغنم وهو صوت تخرجه من حلوقها . . . ومنه اشتق تجشأت (٦) » .

— وقد مر قريباً قول ابن الأعرابي إنه لا يلزم من جهلنا نحن علة تسمية ما أن يكون العرب قد جهلوها أيضاً ، وأضيف أنه لا يلزم من خطأ تعليل ما أو قصوره أن نحكم على كل التعليلات بأنها خاطئة أو أن نجحد مبدأ التعليل نفسه .

(١) اللسان (بكأ) ١/٢٧/٩ .

(٢) اللسان (بهأ) ١/٢٧ .

(٣) اللسان (بوأ) ١/٢٨/١ — ٧ .

(٤) اللسان (جزأ) ١/٣٨/٢٠ — ٢١ .

(٥) اللسان (جشأ) ١/٤١ .

(٦) نفسه .

(ب) وهناك صور أخرى للعلاقة الإيجابية بين الألفاظ والمعانى فى العربية كثيرة ومتنوعة ، ولكن عرضها بالتفصيل يخل بتوازن هذا الكتاب ، كما أن عرضها بإيجاز يذهب بالوضوح المقنع ، ولذا فسنشير إليها ونحيل على بعض ما فيه تناول أو إيضاح لها :

١ — ارتباط كل صيغ التركيب واستعمالاته بمعنى واحد تدور عليه . ويسمى (دوران المادة اللغوية على معنى) ولدينا فيه معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ، ومنثورات فى الكتب اللغوية ، وبعض الدراسات الحديثة (١) .

٢ — ارتباط تراكيب الفصل المعجمى (٢) بمعنى مشترك يضاف إليه فى كل تركيب معنى يقابل ثالثه . ولدينا فى هذا المجال بعض الدراسات الحديثة (٣) بالإضافة إلى ما تناثر منه فى الكتب القديمة .

٣ — ارتباط بعض المترادفات بملحظ بعينه فى الشىء المسمى — مما يؤكد وجود ذلك الملحظ ، وأن اختلاف التعبير عنه إنما يكون للتنويه بكيفيات أو انطباعات خاصة ، وقد سماه ابن جنى « تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى » (٤) .

٤ — ارتباط حروف المبانى المكونة للألفاظ بمعان خاصة فيها . وقد تناول ابن جنى هذا فى ما سماه « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى (٥) » بمستوياته (ويدخل فى هذا ما سماه « تداخل الأصول» (٦)) ، وما سماه

(١) انظر أصول معانى ألفاظ القرآن الكريم (رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة) د. محمد حسن جبل .

(٢) المقصود بتراكيب الفصل المعجمى كل التراكيب التى تبدأ أصولها بحرفين معينين مثلا بر (برأ — برث ، برج ، برح ، برد الخ) .

(٣) انظر مثلا ثنائية الألفاظ فى المعاجم العربية د. أمين فاخر ، أصول معانى ألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن جبل (مخطوط) ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ١/١٧٣ — ١٨٥ (مقال عن العلاقة بين الألفاظ والمعانى د. محمد حسن جبل) .

(٤) انظر الخصائص ٢/١١٣ — ١٣٣ . (٥) الخصائص ٢/١٤٥ — ١٥٢ .

(٦) الخصائص ٢/٤٤ — ٥٥ .

« إمساس الألفاظ أشباه المعانى» (١) وفيه بعض الدراسات الحديثة أيضاً (٢) .

٥ — ارتباط « قوة اللفظ بقوة المعنى » . وهى تسمية ابن جنى لتشمل القوة كثرة حروف اللفظ ، أو تكرار خرف أو نسق من حروفه لتقابل قوة المعنى أو سعته أو تكرار وقوعه (٣) . وله مستويات كثيرة (٤) .

٦ — الارتباط بين توالى حركات اللفظ ، وبين توالى الحركات فى المعنى أو الحدث الذى يعبر عنه اللفظ (٥) .

٧ — الارتباط بين ترتيب أصول الكلمة فيها وبين ترتيب وقوع الحدث الذى تعبر عنه الكلمة (٦) ، وكذلك الارتباط بين ترتيب وضع الزوائد مع الأصول فى اللفظ وبين ترتيب وقوع مقدمات الحدث مع الحدث (٧) .

٨ — الارتباط الصوتى الحكائى بين أصوات اللفظ وأصوات الأشياء التى يعبر عنها — وله مستويات (٨) .

— هكذا توفرت للعربية تسع صور للارتباط أو العلاقة الإيجابية بين الألفاظ ومعانيها ، ذلك الارتباط الذى هو أقوى أساس لسليقيتها ، وأقوى برهان عليها أيضاً . ولا شك أن جانباً كبيراً من ذلك الارتباط الوثيق بين الألفاظ ومعانيها فى العربية يرجع إلى خصائص البيئة البدوية (٩) التى

(١) الخصائص ٢/١٥٧ — ١٦٢ .

(٢) انظر مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ١/١٩٦ — ٢١١ .

(٣) انظر الخصائص ٣/٢٦٤ — ٢٦٨ ، ٢/١٥٣ ، ١٥٥ — ١٥٦ .

(٤) يشمل كل صيغ الزوائد حيث تعبر زوائدها عن معان مزيدة .

(٥) انظر الخصائص ٢/١٥٢ — ١٥٣ .

(٦) انظر الخصائص ٢/١٦٣ — ١٦٤ .

(٧) انظر الخصائص ٢/١٥٣ — ١٥٤ .

(٨) انظر فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ٢١٥ — ٢١٧ ، ٢٢١ .

(٩) يمكن إجمال خصائص البيئة البدوية العربية فى :

(ا) صفاتها ، وانكشاف كل شىء فيها (نعنى بذلك عيشهم على صحراء مكشوفة لا يغطيها مبان ثابتة ، ولا أشجار كثيفة ، ولا يحجب عنهم السماء حاجب . فيبدو كل شىء على الأرض وفى الأفق ظاهراً مكشوفاً) .

نضجت فيها العربية ، ولذلك فهو يحمل سمات الطابع أو المزاج الخاص(١) الذى تربيه تلك البيئة فى أبنائها . ولئن كان ذلك الارتباط بين المفردات ومعانيها فى العربية بهذا الوضوح والقوة ، فإن تأمل تركيب العبارات فيها يكشف عن تناسب مع البيئة لا يخفى(٢) .

— — —

= (ب) وبساطة الحياة (يعنى بذلك الاجتزاء بالحد الأدنى فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن وسبل المعيشة والاكتفاء بما يسيغ الحياة) وخلوها من التعقيد ومن معظم القيود التى تعرف عن حياة المدن .

(جـ) والعلاقة المباشرة بين الناس والأشياء من ناحية ، وبينهم وبين الطبيعة من ناحية أخرى (فهم يستولدون الأنعام ويربون أولادها على ما تنبته الأرض بالمطر ، ويأكلون من لحومها وألبانها ويتخذون من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتاً وملابس وأثاثاً الخ يقيمونها ويغزلونها وينسجونها بأيديهم — على مستوى فردى أو أسرى ، ومن ناحية أخرى ليست بينهم وبين الطبيعة بحرها وبردها وشمسها ومطرها ورياحها الخ حواجز حصينة . إنما هى الأخبية وما إليها) .

(د) وخلو الأذهان من الأفكار والمذاهب الفلسفية الوافدة والمعقدة .

(هـ) وبعد وسط الجزيرة عن المخالطين من غير العرب .

(١) المزاج يتكون بالمعايشة الطويلة لأى شىء ، ويؤثر فى تكييف المعايش وتقديره للأمور كما يؤثر فى تعبيره . فالذين يعايشون ماله رائحة خاصة أو طعم خاص أو وقع خاص يتقبلونه ، ثم يستريحون إليه ويعجبون به ، ولو كان كريهاً إلى غيرهم . تأمل ذلك لدى الصناع وأصحاب الحرف المختلفة ، ولدى الذين يدخنون أو يبيعون غاز الوقود أو يشربون الحامض . . أو يعيشون فى أوربة أو يعايشون الأوربيين . . الخ فإلف ما هو كريه أو مستهجن عند الآخرين ينبى عن مزاج خاص . وهذا المزاج الخاص يثبت ويوضح المزاج العام المتميز كالذى تربيه البيئة البدوية العربية لدى العربى ، وهو يؤثر فى إحساسه بالأشياء أو انطباعه عنها ، ثم فى تقديره أو تكييفه لها تقديراً أو تكييفاً يوجه إلى الأسماء التى ينبغى أن تسمى بها تعبيراً عن ذلك الانطباع والتقدير المتأثرين بالبيئة (انظر المعنى اللغوى — الفصل الخاص بالتكييف ١٢٢ — ١٢٣) .

(٢) تركيب العبارات هو فى الحقيقة نظم لعلاقات بين الأشياء وعناصر الأحداث يتمثل فى العلاقات بين أسمائها :

فأنماط التركيب فى العربية متعددة (الجمل فى العربية : اسمية وفعلية بسيطتان أو مركبتان ، وهناك ما هو بينهما ، والانجليزية والفرنسية مثلاً الجملة فيهما اسمية بسيطة (أو مركبة فقط) ، والعلاقات متنوعة ومقبولة ، والإعراب يساعد فى تحديد العلاقات ، ويتوازى مع مواقع عناصر =

— وقد أذكى سليقية العربية تلك ثبات ظروف البيئة المذكورة لأحقاب متطاولة ، والحس المرهف الذى جعل التعبير اللغوى أحد أهم عناصر المتعة والجمال فى حياتهم ، مع اطراد حياة اللغة على ذلك — وللقرآن الكريم منذ نزوله الفضل الأكبر فى ذلك الاطراد — دون تغيرات حادة ، أو تهجين قهرى كما حدث للغات الأوربية مثلا(١) .

— ولقد قيض الله تعالى للعربية ما حفظ لها قوتها السليقية تلك ، وحفظها من ثم — مع عوامل أخرى — من مصير أكثر اللغات التى عاصرتها فى أواسط الألف الأول للميلاد إذ تحولت إلى لغات مختلفة .

فقد دفع أئمة العربية بالحس اللغوى المتمكن ، وبالغيرة الدينية ، إلى تحديد عصر الذروة فى قوة السليقية اللغوية ونقائها (وهو عصر الاحتجاج) بحدود قبلية وزمانية ومكانية — على ما سيأتى ، وبذلك حققوا للسليقية اللغوية العربية ما لم يتحقق لأية لغة أخرى . فإنهم حين ميزوا عصر الذروة فيها ذلك التميز جعلوا اللغة فيه — ألفاظها وصيغها وعباراتها ودلالاتها — هى

= العبارة (مثلا : المبتدأ ركن أساسى مسند إليه مرفوع على الأصل ، والخبر هو نفس المبتدأ فى المعنى فيرفع مثله ، والفاعل كالمبتدأ ، والمفعول وقع عليه تأثير الفعل فيغير عن الحركة الأصلية إلى حركة الإطلاق ، وكذلك كل ما يأتى تكملة زائداً على الأركان الأساسية ، والتوابع هى المتبوعات فى المعنى فتعرب إعرابها ، والمجرور متعلق مضاف . . . وهكذا) .

— بالإضافة إلى أنه يمكن تحريك هذه العناصر (أى بالتقديم والتأخير ، وكذلك الحذف . .) لتعبر عن مختلف الأنظار — وكل ذلك صدى للحرية ولوضوح الأشياء والعلاقات المباشرة فى حياة البيئة البدوية التى ذكرنا خصائصها آنفاً ، وتربت فيها العربية .

(١) انظر مثلا مقدمة معجم الانجليزية The Universal Eng.Dict. (IX) ص ٩ حيث يقرر أن الانجليزية القديمة (قبل ١١٠٠ م) هى واحدة من لغات الطور الرابع من أطوار اللغات الناشئة عن الآرية الأم ، وأن الانجليزية الحالية هى الطور الثالث من الانجليزية الحديثة التى بدأت منذ عام ١٤٠٠ م — علماً بأن المثقف الانجليزى فى العصر الحاضر لا يعرف لغة شكسبير المتوفى ١٦١٦ م إلا إذا كان متخصصاً فيها . وعارض ذلك بالعربية حيث نستعمل فى حياتنا وصحفنا اليومية — بله الكتب العلمية والأدبية — جمهرة الألفاظ والتراكيب العربية على ما كانت مستعملة به فى عصر المعلقات (نحو ٥٠٠ م) . وما تطور منها ظل على صلة متينة بأصله الدلالى والصوتى) .

الصورة الصحيحة للعربية ، بل عدوا ما خرج عما استعمل فيه — من الألفاظ وغيرها — لغوا لا يعترف به فى اللغة أو الأدب .

وبالرغم من تشدد هذه النظرة ، إلا أنها وجّهت إلى استيعاب تراث عصر الذروة هذا ، وصيرت مستوى اللغة والأدب فيه هو موضع القدوة ومناط التنافس ، فحفظت اللغة بذلك من الاضمحلال والتحول ، كما ساعد ذلك على ترسيخ سليقية العربية واستمرارها .

— — —

(آثار قوة سليقية العربية) :

وكان من أثر قوة سليقية العربية تلك ، وما قيضه الله لحفظها ، أنها تستطيع أن تشحن اللاغين بها المتشبعين بروحها ، بسليقة كاملة القوة حتى إن الواحد منهم ليرتجل ألفاظ اللغة ارتجالا . كما ذكر عن العجاج ، ورؤبة ، وابن أحمر (١) ، وحتى إنه ليبلغ الشأو الأقصى فى الطاقة اللغوية والنتاج اللغوى بلاغة وإحكاماً . وفى تاريخ العربية الكثير من الأدباء والشعراء الفحول والمبدعين .

— وكان من أثر ذلك أيضاً ما تميزت به العربية من التوسع العظيم فى الألفاظ المترادفة ، وفى أساليب التعبير البيانية ؛ ذلك أن قوى السليقية من أهلها يحس بمعانى أسمائها (= ألفاظها) مجسّمة فى ملاحظ التسمية من مسمياتها ، وذلك يربى فيه حس الالتفات إلى المسميات ، والتأمل فى خصائصها ، فيرى فيها مزيدا من الملاحظ ، فيطلق على الشىء مقابل كل ملحظ وصفا يصير — بعد ذلك — اسما مرادفا لما سبقه .

كما أن التأمل فى خصائص المسميات بالحس المرهف الذى تربيه تلك السليقية القوية يجعله يلحظ ما بين بعضها وبعض من مشابه ، وعلاقات لطيفة تصبح مادة لشتى الأساليب البيانية .

---

(١) انظر الخصائص ٢٤/٢ — ٢٥ ثم ٢١ — ٢٤.

— كذلك فإنه كان من أثر قوة سليقية العربية فى اللاغين بها إمكان بعثها بمستواها الأعلى ، وبروحها العربية الأصيلة فى نفس من يتوغل فى العلم بها ، وتشرب روحها ، إذا أسعفته موهبة مواتية :

— فكنا رأينا فى القرن الثالث الهجرى دعبلا ، وأبا تمام ، وعمارة ابن عقيل ، والبحترى ، وابن المعتز ، وكثيرين غيرهم .

— رأينا فى القرن الرابع المتنبى ، وأبا فراس الحمدانى ، والسرى الرفاء ، وابن سكرة ، وابن الحجاج ، وغيرهم .

— ورأينا فى القرن الخامس ابن نُباتة السعدى ، والشريف الرضى ، ومهيار الديلمى ، وأبا العلاء المعرى ، والشريف المرتضى وغيرهم .

— ورأينا فى القرن السادس محمد بن أحمد الأبيوردى ، والحسين ابن على الطغرائى ، وابن حمديس الصقلى ، وأحمد بن محمد الأرّجانى وغيرهم .

— ورأينا فى القرن السابع محمد بن نصر الله بن عُنين ، والبهاء زهير ، وأبا الحسين الجزار ، والشاب الظريف ، ولسان الدين بن الخطيب ، وسراج الدين الوراق ، والإمام البوصيرى وغيرهم .

— ورأينا فى القرن الثامن نصير الدين الحمّامى ، وصفى الدين الحلّى ، وجمال الدين بن نباتة . وغيرهم .

— ورأينا فى القرن التاسع ابن حجة الحموى ، وابن سودون ، والوزير ابن مكانس . . وغيرهم .

— ورأينا فى القرن العاشر تاج الدين بن عربشاه وغيره .

— ورأينا فى القرن الحادى عشر ابن النحاس الحلبى ، وعبد الرحيم العباسى ، وابن منجلك وغيرهم .

— ورأينا فى القرن الثانى عشر الشيخ عبد الله الشبراوى ، وغيره .

— ورأينا في القرن الثالث عشر السيد إسماعيل الخشاب ، وناصيف اليازجي ، ومحمود صفوت الساعاتي وغيرهم .

— ورأينا في القرن الرابع عشر محمود سامي البارودي ، وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم ، وأحمد شوقي وغيرهم .

— كل هؤلاء وغيرهم .. كثيرون منهم بلغوا — أو قاربوا — مبلغ شعراء العصر الجاهلي والقرنين التاليين له في نفس اللغة بألفاظها وتراكيبها وبيانها — مع إلف جمهور المثقفين لما يقولون . فهذا شاهد صدق لتأثير سليقية العربية ، ولتميزها بذلك ؛ إذ يتعذر أن يظهر الآن شعراء حقيقيون باليونانية القديمة أو اللاتينية ، أو ما عاصرهما .

. . . . .

— وأخيراً فقد بلغ من قوة السليقية في العربية أن تربى في الأعاجم الذين يعايشون العرب جيلا أو جيلين سليقة لغوية كاملة القوة ؛ حيث نبغ من هؤلاء شعراء عظماء يضارعون في الشاعرية نظراءهم من العرب الخلص . فهناك سحيم عبد بني الحسحاس (٤٠هـ) وكان نوبيا(١)، وزياد الأعجم (١٠٠هـ) (من أصل فارسي) (٢) ونصيب بن رباح (١٠٨ هـ) (أفريقي) (٣) وأبودلامة (١٦١هـ) (أفريقي) (٤) ، وبشار بن برد (١٦٧ هـ) (فارسي) (٥) ، وأبو عطاء السندي (نحو ١٨٠ هـ) (هندي) (٦) ، وخلف الأحمر (١٨٠ هـ) (فارسي) (٧) ، ونصيب الأصغر (بعد ١٩٠ هـ) (أفريقي) (٨) ، وأبوحفصة اليهودي

---

(١) انظر عنه تاريخ التراث العربي (الشعر) ٢/٣٠٩ — ٣١١ .
(٢) انظر عنه السابق ٣/٩٦ .
(٣) نفسه ٣/١٥٥ .
(٤) نفسه ٣/ ٢٥
(٥) نفسه ٣/٢٢٦
(٦) نفسه ٣/٢٥٣ .
(٧) نفسه ٣/٢٣٥ .
(٨) نفسه ٤/١٠٤

وابنه يحيى وحفيده مروان (١٨٢هـ) ومروان الأصغر (١) ، وإبراهيم ابن العباس الصولي (٢٤٣ هـ) (تركي) (٢) ، وعلي بن العباس بن جريج الرومي (٢٨٣هـ) (٣) ، وكشاجم (٣٦٠هـ) (هندي فارسي) (٤) ، ومهيار الديلمي (٤٢٨ هـ) (٥) وغيرهم . وهذا عدا الشعراء من أبناء الإماء الأعجميات وهم جد كثيرين (٦) .

فهذا مجلى آخر لتأثير سليقية العربية ، يمتد من قوة هذه السليقية ويشهد لها أيضا .

---

(١) نفسه ٣/١١١ ، ٢١٣
(٢) نفسه ٤/١٦٢ .
(٣) نفسه ٤/١٧٢ .
(٤) نفسه ٤/٤٤ .
(٥) نفسه ٤/١٤٣ .
(٦) انظر المرجع نفسه (مثلا ٣/٧٩ عن البعيث ، ٣/١٨٤ عن إسماعيل بن يسار ، ٣/١٨٥ عن موسى شهوات ، ٣/٢٠٥ عن ابن ميادة)
وانظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان فإنه يلتمس الأصول الأعجمية للشعراء العرب ويحتفل بإبرازها لحاجة ما كان ليبلغها .

الفصل الثالث

سليقية الصواب اللغوى عند عرب عصر الاحتجاج

أسلفنا القول بأن العرب كانوا يتكلمون العربية صحيحة فصيحة بالسليقة منذ العصر الجاهلى ، وأن ذلك استمر عدة قرون . وعلينا الآن أن نقدم الشواهد التى تثبت تلك الفصاحة السليقية لأولئك العرب فى تلك القرون لأن ضوابط الفصاحة اللغوية للعربية – ونعنى بها الصواب اللغوى أساسا – قد استنبطت من النشاط اللغوى والنتاج اللغوى لعرب تلك القرون .

(أدلة وجود تلك الفصاحة السليقية)

أولا : كثرة عدد الشعراء ومتعرفيهم :

وإنه ليكفى لإثبات سليقية الفصاحة اللغوية عند أولئك العرب أن نلقى نظرة على (عدد) الشعراء الجاهليين والمخضرمين وعلى (مدى) السمو الفنى فى شعرهم : حيث نجد أن شعراء القرنين اللذين ينتهيان بسنة ٥٠ هـ لا يقل عدد المعروفين منهم عن سبع مئة شاعر(١) ، هذا عدا الذين ضاعت كل

(١) يقدر ميلاد أقدم شاعرين جاهليين معروفين (مهلهل وعمرو بن قميئة) ، بأنه ليس قبل سنة ٤٥٠ م . (تاريخ التراث العربى . فؤاد سزكين ترجمة د. محمود فهمى حجازى ط جامعة الإمام محمد بن سعود ـــ المجلد الثانى جـ ١٣/١ وانظر أيضاً ص ١٥ ، ١٧) . وقد ترجم فؤاد سزكين فى الجزء الثانى من هذا المجلد لشعراء العصر الجاهلى وصدر الإسلام حتى سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م) فبلغوا (٢٨٠) شاعراً ـــ بينما بلغ عدد الشعراء فى « معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين » (أى شعراء القرنين نفسيهما تقريباً) تأليف د. عفيف عبد الرحمن (٦٩١) شاعراً ، وبلغ عدد الشعراء فى « معجم الشعراء فى لسان العرب » د. ياسين الأيوبى (١١٦٩) شاعراً وجلهم من شعراء عصر الاحتجاج المنتهى حوالى منتصـــف القرن الثانى ـــ أى بزيادة قرن على القرنين السابقين . والمقطوع به أن شعراء لسان العرب هؤلاء لم يشملوا شعراء العرب إلى نهاية عصر الاحتجاج . كما أن الأرجح أن معجم الشـــعراء الجاهليين والمخضرمين المذكور فاته عدد لا بأس به أيضاً .

آثارهم ، والذين جهلت أسماؤهم وبقيت بعض أشعارهم . مع أن الشعراء كما هو معروف تماما — هم من خاصة الأدباء الذين يعدون بالآحاد أو العشرات ، لا بالمئات . ثم نجد إلى هذا إجماعا على أن النتاج الشعرى لهذين القرنين بلغ الغاية (١) فى روعته الفنية من حيث دقة التعبير ، وإحكام التركيب ، وعمق المعانى ، ورقة الحس والذوق المتمثلين فى طرافة التصوير الخيالى ولطف علاقاته .

— وإن لهــذا كله دلالاته . فكثرة عــدد الشعراء فى ذاتها دليل على شيوع الملكة اللغوية فى مستواها الراقى ، وشيوع ذلك الطابع الرائع لشعر ذينك القرنين يعنى شيوع الحس اللغوى الراقى عند جمهورهما العربى . ثم إنه من المعلوم أن الضبط الإعرابى — حركات وسكنات وحروفا — يمثل عنصراً أساسيا من عناصر الوزن الشعرى ، وهذا بدوره يعنى أن الضبط الإعرابى كان ملتزماً أو — على الأقل — شديد الشيوع فى مجتمعات العرب فى ذينك القرنين . وهذا كله يقضى بأن اللغة فى مستواها الصحيح والرفيع كانت طبيعية سليقية لدى عرب القرنين . إذ القول بغير ذلك يعنى الزعم بأن أولئك الشعراء — مع كثرتهم تلك — كانوا يخاطبون جماهيرهم بما لا تعرف تلك الجماهير ، أو بما هو غريب عليها ، وهذا زعم يرَدّ على صاحبه ؛ لأنه دعوى بشذوذ يخالف طبيعة الأشياء .

ثانياً : موقفهم من اللحن :

— ويكفى أيضاً لإثبات سليقية الفصاحة لأولئك العرب ما ترادفت به الأخبار عن موقفهم من اللحن فى اللغة سواء فى استعمال متنها (٢) ، أو

---

(١) هذا الحكم متعالم وانظر فى الإخبار عنه قول بروكلمان عن علماء العرب إنهم « ينظرون إلى مثل ذلك العصر الأول (يعنى شعراء العصر الجاهلى) على أنهم نماذج لا يلحق شأوها » ، تاريخ الأدب العربى ١/٣٦ ، وانظر أيضاً ١/٤٣ ، ٤٤ (أعلى الصفحتين) وذلك بصرف النظر عما نقده فى مواضع أخرى من كتابه هذا . وانظر كذلك تاريخ التراث العربى مجلد ٢ ج١/ ١٧ « لقد أشار باحثون كثيرون إلى الطابع اللغوى والفنى والجمالى للشعر العربى القديم ، ويكاد يتعقد الرأى اليوم بين الباحثين على أن شعر الجاهلية — أى شعر المئة عام السابقة على ظهور الإسلام قد وصل إلى مرحلة رفيعة من التطور » .

(٢) من أمثلة ما ذكروه من اللحن فى استعمال متن اللغة : قول عبيد الله بن زياد « افتحوا سيوفكم » أى سلوها ، وقوله « اجلس على است الأرض » (البيان والتبيين ٢/٢١٠ — ٢١١) وقول خالد القسرى « أطعمونى ماء » (نفسه ١/١٢٢ ، ٢/٢٦٧) .

فى ضبط ألفاظها وتراكيبها (١) . فقد أحسوا باللحن ، وتنبهوا إليه ، وتأذت نفوسهم به ، وعابوه وعابوا أصحابه ، وأدَّبوا عليه ، وعدُّوه مُسقطاً للشرف والحرمة والهيبة ، قادحاً فى الأهلية للإمامة فى الصلاة ، وفى الأهلية للولاية على الناس .

ونجتزىء فى بسط كل من هذه النقاط بكليمة لشهرة موضوع اللحن هذا . . ونقدم فى رأس مسألة اللحن هذه قوله صلى الله عليه وسلم لما سمع رجلا يلحن : « أرشدوا أخاكم فقد ضل (٢) » وقوله : « رحم الله امرأ أصلح من لسانه » (٣) .

إن أخبار اللحن والتنبه إليه والتنبيه عليه تشغل فصولا فى مؤلفات كثيرة (٤) . وتَنَبُّه من لم يتعلم اللغة صناعة إلى ما يقع من اللحن يعنى تمتعه بالحس المرهف إزاء صواب هذه اللغة وخطئها ، وهذا لا يكون إلا بتمكن معرفته بالأداء الصحيح للغة فى نفسه تمكنا تاماً .

(تأذيهم باللحن) :

— كما أن تأذى نفوسهم به — على ما أثر من قول عمر للفتيان الذين كانوا لا يحسنون الرمى فلما كلمهم لحنوا : « لحنكم أشدُّ علىَّ من فساد رميكم » (٥) ، وقول أبى الأسود : « إنى لأجد للحن غَمَراً كغمر اللحم » (٦)

---

(١) انظر البيان والتبيين ٢/٢١١ — ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ — ٢١٩

(٢) [illegible] ١/١٥١ والخصائص ٢/٨ ومعجم ياقوت ١/٨٢ .

(٣) الأضداد لابن الأنبارى (أبو الفضل) ٢٤٤

(٤) انظر البيان والتبيين ٢/٢٠٤ — ٢٢٤ وعيون الأخبار ٢/١٥٨ — ١٦٠ والعقد الفريد ٢/٤٧٨ — ٤٨٢ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١/٦٩ ، ٧٩ — ٩١ إلى صفحات وأخبار متناثرة كثيرة كالذى فى الأضداد لابن الأنبارى فى الكلام عن (لحن) (فى تحقيق أبى الفضل ٢٤٤ — ٢٤٦) .

(٥) الأضداد لابن الأنبارى ٢٤٤ وانظر مراتب النحويين ٢٣ .

(٦) عيون الأخبار ٢/١٥٨ والغمر بالتحريك زهومة قريبة إلى النتن .

وقول عمر بن عبد العزيز : « أكاد أضرس إذا سمعت اللحن » (١) ، وقول مسلمة بن عبد الملك : « اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه» (٢) .

— وقد بلغ من هذا التأذى أن يستغفر أحدهم للحنة وقعت منه (٣) ، وأن يتوجع آخر من لحنته بما يتوجع به من لذعة النار (٤) ، وأن يسارع ثالث إلى إنكار لحنة وقعت ممن نعى إليه أباه ، وشتم الناعى — قبل أن يسترجع على أبيه (٥) . وأن يعجب الأعرابى إذ يجد أهل السوق يربحون رغم أنهم يلحنون ، وأنه لايربح رغم أنه لايلحن (٦) . وكأنه لعمق إحساسه بضرورة الفصاحة — يجعلها قوام الإنسانية ، ومن هنا يكاد يعتقد أن الرزق ينبغى أن يناط بسلامة الكلام .

— إن هذا التأذى ينبىء عن تشبع نفوسهم أو « تكيفها » بالمستوى الصحيح للأداء اللغوى بحيث يمثل اللحن شيئاً مؤلماً لهذه النفوس ، مثيراً لا شمئزازها . وهذا هو معنى كون الفصاحة اللغوية فطرية فى هذه النفوس

(عيبهم اللحن وأنفتهم منه) :

— ويؤكد هذا عيبهم اللحن على من يقع منه (٧) ، وأنفتهم أن ينسب إليهم — على ماروى من ترامى عبد الملك وخالد بن يزيد بلحن ذويهما (٨) .

---

(١) الأضداد لابن الأنبارى ٢٤٥ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢١٦ وعيون الأخبار ٢/١٥٨ .

(٣) هو أيوب السختيانى كما روى الخليل . (معجم الأدباء ١/١١٨) .

(٤) لحن محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال : حس . إنى لأجد حرارتها فى حلق (أضداد ابن الأنبارى ٢٤٥) « حس » تقال تألما من كى النار ونحوه .

(٥) قال الفيح معوية بن بحير — وكان والياً على البصرة — « مات بحيراً » فقال له : لحنت لا أم لك (معجم الأدباء ١/٨٠) .

(٦) عيون الأخبار ٢/١٥٩ ومعجم الأدباء ١/٨٠ .

(٧) انظر الفصول التى أحلنا إليها بشأن التنبه إلى اللحن قبل ثمانية تعليقات : البيان ، عيون الأخبار ، العقد الفريد ، الأضداد

(٨) القصة فى مجمع الأمثال (محيى الدين) ٢/٢٢٢ .

واحتجاب عبد العزيز بن مزوان — لما عرف من نفسه اللحن — حتى صلح لسانه (١) ، ولجوئهم إلى حلقات العلم لتعلم النحو (٢) ؛ إذ كان اللحن مسقطا للحرمة ، قادحاً فى الشرف (٣) ، وفى الأهلية للإمامة فى الصلاة (٤) ؛

بل ومضيعاً للمهابة (٥) ، وقادحا فى الأهلية للولاية على الناس . وهذا هو مغزى قول عبد الملك : « شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن » (٦) وحرصه على أن يتعلم الوليد الإعراب (٧) ، وهو مغزى نفى الحجاج ليحيى بن يعمر لما تبين له أن يحيى كشف له لحنة (٨) ، وصرفه هو وغيره من يلحن عن الولاية (٩) ،

---

(١) انظر الأضداد لابن الأنبارى (أبو الفضل) ٢٤٦ .

(٢) انظر قصة خالد بن صفوان مع بلال بن أبى بردة فى الكامل (الدلجموى) ٣٩ ومعجم الأدباء لياقوت ١/٨٣ .

(٣) لحن رجل كان إلى جنب ابن عمر فطلب أن ينحى أو يتنحى هو (أخبار النحويين ٢٤) واستأذن رجل على عبد الملك وعنده من يلعبون بالشطرنج فأمر بتغطيته ، فلما لحن الرجل أمر بكشفه وقال : ليس للاحن حرمة (الأضداد ٢٤٥) ؛ وقال بلال بن أبى بردة لخالد بن صفوان : أتحدثنى أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات (الكامل / الدلجموى ٢/٣٩) .

(٤) قيل للحسن : إن لنا إماماً يلحن ؛ فقال : أميطوه عنكم (العقد الفريد ٢/٤٧٨ — ٤٨٢) ونحو ذلك قال أعرابى لما سمع إماماً يلحن (عيون الأخبار ٢/١٦٠) ، وقال أيضاً : اللحن هجنة على الشريف (البيان والتبيين ٢/٢١٦) ونحو ذلك قال أبان بن عثمان وعبد الله ابن شبرمة (طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٢٣) .

(٥) الكروس ما كان يملأ عينه من الوليد مهابة ، فلما لحن صغر عنده كبعض أعوانه (البيان والتبيين ٢/٢٠٥) وسعيد بن سلم بهرته هيبة الرشيد فلما لحن خف فى عينه (معجم الأدباء ١/٨٣) ، وانظره فى ١/٨٥ تجد قول الزبيرى عن أبى جعفر المنصور لما لحن مرتين فى « ألهاكم التكاثر » : ما كان أهون هذا القرشى على أهله .

(٦) العقد الفريد ٢/٤٨٧ وأخبار النحويين لأبى طاهر ٢٧ برواية ومخافة اللحن .

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/٤٢١

(٨) نزهة الألباء ١٦ — ١٧ .

(٩) انظر معجم الأدباء ١/٨٦ خبر صرف طاهر بن الحسين والى الكوفة « إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الأداء عنه » . وفى ١/٨٧—٨٨ قصة تلاحن كثير بن أبى كثير — رغم فصاحته — ليهرب من الولاية للحجاج .

وقول الأعرابى لما سمع المنصور يلحن : « أشهد أنك وليت هذا الأمر بقضاء وقدر »(١) يعنى أنه فاقد للأهلية للخلافة ، وأنه لم يتولها بمقومات فيه معروفة ، وإنما تولاها بقضاء تخفى حكمته .

ومن أجل ذلك وتأكيداً له كانوا يؤدبون أولادهم ورعيتهم عندما يقع منهم اللحن : فقد روى أن عمر ، وابن عمر ، وابن عباس كانوا يضربون أولادهم على اللحن (٢) ، وأمر عمر بضرب كتّاب عماله الذين لحنوا فى رسائلهم (٣) ، وكان عمر بن العزيز أشد الناس فى اللحن على ولده وخاصته ورعيته ، وربما أدب عليه ، وكان هو وأبوه عبد العزيز يعطيان على الإعراب ويحرمان على اللحن (٤) ، ونحو ذلك كان زياد والحجاج وعبد الملك وسليمان ابنه وغيرهم (٥) يفعلون .

إن صدور تلك الأقوال وذلك السلوك من أهل القمة — كأولئك الخلفاء والولاة والعلماء ، والقاع : الناس والأعراب المحرّمين على السواء — كل ينكر اللحن بحسب ما يستطيع .. كل ذلك يعنى أن إنكار اللحن بالصورة التى ذكرنا كثيراً من جوانبها كان قائماً على حس فطرى عام بالصواب اللغوى يقبله ويألفه ويتذوقه ، وينفر من اللحن ويشمئز منه نفور الإنسان من كل ما يضاد طبيعته . وهذا هو ما نعنيه بسليقية الصواب اللغوى .

---

(١) معجم الأدباء ١/٨٦ وانظر عيون الأخبار ٢/٢٠٠

(٢) انظر بالنسبة لعمر وابنه معجم الأدباء ١/٧٩ - ٨٠ ، ٨٩ وبالنسبة لابن عباس أخبار النحويين لأبى طاهر ٢٦ .

(٣) كتب عمر إلى الحصين بن أبى الحر وأبى موسى أن يضرب كل كاتبه سوطاً للحنه فى رسالته (البيان والتبيين ٢/٢١٦ ومراتب النحويين ٦) .

(٤) انظر الأضداد لابن الأنبارى ٢٤٥ وأصول النحو ـ سعيد الأفغانى ١١ رواية عن تاريخ دمشق (مخطوط) .

(٥) راجع ما أشرنا إليه من قبل من نصوص عن اللحن فى البيان والتبيين وعيون الأخبار والأضداد لابن الأنبارى والعقد الفريد ومعجم الأدباء .

ثالثاً : إباؤهم نطق الخطأ :

ثم هناك دليل ثالث على سليقية الصواب اللغوى عند عرب القرون الأولى تلك : هو ما روى من أن ألسنتهم كانت لا تطوع بنطق الخطأ ، أو بنطق ما يخالف اللهجة التى نشئوا عليها ، وذلك لتمكن الصورة الصوابية أو اللهجية فى نفوسهم تمكنا شديداً يجعل (الأعصاب) (١) ترفض ما يخالف تلك الصورة فلا تسمح لأعضاء النطق بأدائه — كما يرفض الحلق إساغة ما تشمئز منه النفس من الطعام ، وتطرده المعدة إذا تجرع كرها .

ومن الصور التى تقرب استعصاء النطق بالخطأ على ذوى الفصاحة الكاملة منهم أن ذوى الحياء الكامل من الناس يستعصى عليهم نطق الألفاظ والعبارات (الجنسية) العارية .

ولدينا فى هذه البابة أمثلة كثيرة من أصرحها أنه قيل لعمر بن لجأ (راجز وشاعر معاصر للفرزدق المتوفى نحو ١١٢ هـ) : قل « إنا من المجرمين (منتقمين) فقال : « إنا من المجرمين » منتقمون (٢) ، أى أنه لم يستطع نطق الخطأ . وقال إسحاق بن الفرج : سمعت أبا الربيع البكرى يقول : الجعجع والجفجف (بالفتح فيهما) من الأرض : المتطامن ، وذلك أن الماء يتجفجف فيه فيقوم أى يدوم . قال : وأردته على يتجعجع فلم يقلها فى الماء (٣) (أى أنه أراده على أن يقول

---

(١) تتم (عملية) النطق (بأمر) من الجهاز العصبى ومركزه المخ . فإذا أراد الإنسان التعبير عن فكرة ما حاضرة ولم تكن هناك عوائق ، استثير مركز حركيات التكلم الذى فى المخ وسارع مركز الذاكرة اللغوية الذى فى المخ أيضاً بإحضار الكلمات وصور التراكيب المعروفة والملائمة ، وسرى النبض العصبى بالأمر إلى أعضاء النطق فتحركت بما يخرج التعبير المطلوب . فإذا كانت الصورة التعبيرية المراد أداؤها غريبة فى جزئياتها أو تركيبها ، وكانت الصور المعروفة متأصلة عريقة ولم يهز رسوخها ضعف الثقة فيها ، أو تردد الصور الغريبة عليها كثيراً ، فإن الأعصاب تنفر منها وتقاومها ولا تنبض بأدائها . ومن هنا لا تطوع أعضاء النطق بنطقها . انظر فى بعض ذلك كتاب المنى اللغوى للمؤلف ص ١٠٢ والمراجع التى ذكرت فى ص ١٠٣ منه .

(٢) البيان والتبيين ١/١٦٤ .

(٣) لسان العرب جعع ١٠/٣٧٤

« إن الماء يتجعجع » فى المكان فيقوم أى يدوم ، كما قال « يتجفجف » فلم تطع نفسه بذلك ؛ لأن حسه السليقى بمعانى الألفاظ واستعمالاتها ألهمه أن الجعجعة لا تستعمل فى حبس الماء لأن الجعجع والجعجاع من الأرض يوصف بالصلابة والغلظ والخشونة(١) — رغم القول بتطامنه ، وتلك الصفات من لوازم الجفاف الشديد ، فلا يناسب أن ينسب إليه مع ذلك حبس الماء :

وأورد ابن جنى أمثلة من هذا القبيل عن أعراب عصره فيها طرافة (لاختبار) فقال : « وسألت يوما أباعبدالله محمدبن عساف العقيلى الجُوثى التميمى — تميم جوثة — فقلت له : كيف تقول « ضربت أخوك » ؟ فقال : أقول « ضربت أخاك » . فأدرته على الرفع ، فأبى ، وقال لا أقول : « أخوك » أبدا . قلت : فكيف تقول « ضربنى أخوك » ؟ فرفع . فقلت : ألست زعمت أنك لا تقول « أخوك » أبداً ؟ فقال : أيْش هذا ! اختلفت جهتا الكلام(٢) » . وفى (اختبار) آخر يقول ابن جنى : « وسألته يوما » (يعنى أبا عبد الله الشجرى) فقلت له : كيف تجمع « دُكّانا » فقال : دكاكين . قلت « سِرْحانا ؟ قال : سراحين قلت : فقُرطانا . قال : قراطين . قلت فعثمان ؟ قال عثمانون . فقلت له : هلا قلت أيضاً « عثامين » ؟ فقال : أيْش عثامين ! أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته . والله لا أقولها أبداً(٣) .

وفى (اختبار) ثالث يقول ابن جنى : « سألت مرة الشجرى

(١) نفسه

(٢) الخصائص ١/٧٦ وهى فى ١/٢٥٠ وفى أولها كيف تقول ضربت أخاك ؟ فقال : كذاك . فقلت : أفتقول « ضربت أخوك » ؟ فقال : لا أقول « أخوك » أبدا » الخ . ثم إن القصة هنا لابن جنى مع من يسمى أباعبد الله الشجرى . وهى فى ١/٧٦ لابن جنى مع من سماه أباعبد الله محمد بن العساف العقيل . قال الشيخ محمد على النجار محقق الخصائص : « فهل هما واحد . أم تكررت القصة معهما ؟ انظر الخصائص ١/٢٥٠

(٣) الخصائص ١/٢٤٢ وانظر فى جمع أسماء العقلاء (كعثمان) جمع مذكر سالما شرح المفصل ٥/٣ وفى جمع غير ذلك من نحو دكان وسرحان الخ على فعالين شرح المفصل ٣/٦٤ .

أبا عبد الله ، ومعه ابن عم له دونه فى فصاحته ، وكان اسمه غصنا . فقلت لهما : كيف تحقران « حمراء » ؟ فقالا : « حميراء » قلت : « فسوداء » ؟ قالا : « سويداء » ، وواليت من ذلك أحرفاً وهما يجيئان بالصواب ، ثم دسست فى ذلك « علباء » فقال غصن « عليباء » وتبعه الشجرى فلماهم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال : « آه عُلَيْبِىّ » . ورام الضمة فى الباء(١) .

وقد قيل — ضمن ماقيل فى روايات المسألة الزنبورية المشهورة — إنهم لما احتكموا إلى العرب الواقفين بباب دار جعفر أو غيره — حيث كانت المناقشة . قال العرب : القول ما قال الكسائى — رعاية لموضعه عند الخليفة ولم ينطقوا بكلام عربى يؤيد رأيه ، إذ كان خطأ ، وإن سيبويه قال ليحيى : مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطوع به (٢) .

وقد روى ابن جنى عن المتنبى أن جماعة من العرب كانوا بصحبته فى منصرفه من مصر ، فوصف أحدهم فلاة واسعة فقال « يحير فيها الطرف » فأخذ آخر منهم يلقنه الصواب سراً ويقول له : « يحار يحار »(٣) وهذا يعنى بقاء الفصاحة السليقية فى أكثرهم إلى نحو منتصف القرن الرابع . وتمسكُهم بها — على ما يتمثل فى تصحيح العربى لصاحبه ، وعدم تجاوزه عن خطئه فى حديث عابر — يعنى تأصلها .

— ويدخل فى هذه البابة استمساك العربى بلهجته لا يحول عنها رغم

(١) الخصائص ٢/٢٦ والهمزة فى حمراء ونحوها للتأنيث فبقيت مع التصغير تشبيهاً بتاء التأنيث ، والهمزة فى علباء للإلحاق وليست للتأنيث لأن العلباء مذكر (وهو عصب فى عنق البعير) ومن هنا قلبت دون همزة التأنيث . وانظر بشأن الجزئية الأولى شرح المفصل ٥/١١٦ وبشأن الجزئية الأخير لسان العرب (علب) . وقول ابن جنى إن الشجرى رام الضمة فى الباء والروم هنا هو الرمز إلى الضمة بضم الشفتين فقط عند الوقف

(٢) انظر مثلا — المغنى (محيى الدين) ٨٨ (فى الكلام عن إذا الفجائية) والمسألة هى « كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هى » أم « . . فإذا هو إياها » سيبويه قال بالأولى بضمير الرفع خبراً ، والكسائى جوز الثانى أيضاً .

(٣) الخصائص ١/٢٣٩ ، ٢/٢٧ .

إرادته على ذلك وهو فى موقف التعلم كما روى عن أبى حاتم أنه قال : « قرأ علىّ أعرابى بالحرم « طيبى لهم وحسنُ مآب » فقلت : « طوبى » فقال : « طيبى » ، قلت «طوبى » قال « طيبى » . . فلما طال علىّ قلت طوطو فقال طى طى » (١) . قال ابن جنى : « أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابى بلغته ، وتركه متابعة أبى حاتم » . (٢)

ومن المسائل المشهورة فى هذا ما رواه يعقوب عن الفراء أنه قال لأعرابى : أتقول : (أسود) كأنه « حنك » الغراب أو «حلكه » ؟ فقال: لا أقول «حلكه » أبداً . (٣) وفى مقابل هذا « قال أبو حاتم قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سوادا من ماذا ؟ فقالت : «من حَلَك الغراب» . قلت: أفتقولينها من « حَنَك الغراب » فقالت : لا أقولها أبدا ». (٤) وتأمل التأبيد فى كلام كل منهما .

— ومن المسائل المشهورة فى هذا المجال أيضاً : مسألة « ليس الطيب إلا المسك » حيث كان التميميون يرفعون المسك فى هذا التركيب ومثله ، لأنهم يهملون « ليس » تشبيها « بما » عند انتقاض النفى (٥) . وكان الحجازيون ينصبونه . وقد قامت (لجنة) فذهبت إلى أبى المهدى — الأعرابى الحجازى — وحاولت تلقينه الرفع فلم يرفع ، ثم قال : ليس هذا لحنى ولا لحن قومى . ثم ذهبت اللجنة إلى أبى المنتجع الأعرابى التميمى وحاولت تلقينه النصب فلم ينصب وأبى إلا الرفع (٦) . . . وهناك أمثلة أخرى (٧) .

ومن هذه البابة أيضاً أن ينكر صاحب اللهجة لهجة غيره المخالفة له ،

(١) نفسه ١/٣٨٤ والآية من سورة الرعد ٢٩
(٢) الخصائص ١/٣٨٤ .
(٣) لسان العرب حلك .
(٤) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد ١٢٠
(٥) انظر فى المسألة : المغنى (محيى الدين) ٢٩٤ .
(٦) انظر ذيل الأمالى ٣٩ والمزهر ٢/٢٧٨ .
(٧) انظر — مثلا — الخصائص ٣/٣٠٥ .

فلا يطيق سماعها وإذا سمعها فقد لا يعرف المراد بكلمة اختلف نطقها اختلافاً يسيرا . ومن أمثلة هذا ما روى من أن أشياخ قريش ما كانوا يقولون (فى الجواب) إلا نَعِم (١) (بفتح النون وكسر العين) ، ومن هنا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لاتقولوا نَعَم (يعنى بفتح النون والعين) وقولوا نعم (٢) (أى بكسر العين مع فتح النون) . وكان بعض الأعراب إذا سمع رجلا يقول نعم (يعنى بفتح العين) — فى الجواب — قال (منكرا وساخرا) « نَعَمٌ وشاء » ؟ . لأن لغته نعم (بكسر العين) (٣) .

ومن ذلك أن الكسائى قال لغلام: من خَلَقْكَ ؟ (بإسكان القاف) فلم يدر ما قال ولم يجبه . فرد عليه السؤال ، فقال الغلام : لعلك تريد من خَلَقَكَ ؟ (٤) (أى بفتح القاف) . وهذا يعنى أنه بسبب ذلك التغير الطفيف لم يعرف الكلمة . ومثل ذلك ما روى من أن أبا عبد الله بن الأعرابى ، وأبا زياد الكلابى اجتمعا على الجسر ببغداد فسأل أبو زياد أبا عبد الله عن (معنى المِبْنَاة — بالكسر — فى) قول النابغة .

على ظهر مِبْنَاة (جديد سيورها)

فقال أبو عبد الله : النَّطْع (أى بالفتح) . فقال أبو زياد : لا أعرفه . فقال النِّطْع (أى بالكسر) فقال أبو زياد . نعم(٥) . قال ابن جنى : أفلا ترى كيف أنكر غير لغته على قرب بينهما(٦) .

رابعـاً : لحظ الخطأ الخفى :

— ويضاف إلى هذا النوع من أعلام وجود الفصاحة السليقية أن يلحظ العربى الذى لا يحفظ القرآن الكريم ما قد يقع فيه القارىء للقرآن من خطأ

(١) لسان العرب (نعم) ١٦/٦٩ .
(٢) نفسه . (٣) البيان والتبيين ١/١٦٤
(٤) نفسه .
(٥) الخصائص ١/٣٨٣ ولسان العرب (نطع) والنطع بساط من الأديم . وقد ذكر محقق الخصائص سباق الشطر وسياقه . (٦) الخصائص ١/٣٨٣ .

يخفى على غير ذى السليقة اللغوية المتمكنة . كالذى روى من أن رجلا في زمن عمر بن الخطاب قرأ « فإنْ زَلَلْتُم من بعدماجاءتكم البينات فاعلموا أن الله (غفور رحيم) » فسمعه أعرابى فقال : « لا يكون » (١) وحق للأعرابى أن ينفى اتساق ختام الآية بالمغفرة والرحمة — بعد التنبيه الواضح فى قوله تعالى « من بعد ماجاءتكم البينات » على سقوط عذر من يزل ، واستحقاقه التام للعقوبة . ولذلك كان الختام الصحيح للآية هو « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » . وهو ختام يعبر عن القوة القاهرة التى تستطيع أن تنزل العقاب بمن يخالف ، ويقرنها بالحكمة التى تبعد الأمل فى العفو عمن يعصى عمداً وعناداً بعد مجىء البينات .

ومثل ذلك ماحدث من أعرابى سمع قارئاً يقرأ « والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله »(٢) (والله غفور رحيم) . فقد لحظ الأعرابى أيضاً مابين الأمر بإنزال العقوبة والتنويه بأن فى ذلك جزاء للجرم وردعاً للآخرين — وبين ذكر المغفرة والرحمة مما يشبه التناقض ؛ فحكم باختلال فصاحة الكلام . فلما قيل له إن الختام الصحيح للآية هو « والله عزيز حكيم » طابت نفسه وقال : « بخٍ بخٍ : عز ، فحكم ، فقطع . » (٣) .

إن تقويم دلالة هذه الروايات ينبغى أن يتم فى إطار شيوع ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى ، بحيث لا يفطن إلى التناسب بين الآيات وخواتمها ، وإلى الفرق بين ختام وآخر إلا من كان ذا حس لغوى سليقى حادٍ يهديه إلى ذلك التناسب وتلك الفروق ، أو من أوصلته دراساته وتمعنه إلى مثل هذا المستوى من الحس اللغوى .

ومن الأمثلة الداخلة فى هذه الجزئية — وإن كانت أقرب — أن أعرابياً

---

(١) البيان والتبيين ٢/٣٣٩ والآية من س البقرة رقم ٢٠٩ وختامها الصحيح « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

(٢) الآية من س المائدة ٣٨ .

(٣) القصة فى تفسير البحر المحيط لأبى حيان فى تفسير الآية المذكورة (٣/٤٨٤) وبخ بخ (بفتح الباء ، والخاء ساكنة أو مكسورة منونة) كلمة تقال للتعبير عن مدح الشىء وتعظيمه وتفخيمه .

سمع رجلا يقرأ « وحملناه على ذات ألواح ودُسُر ، تجرى بأعيننا جَزَاءً لمن كان كفر » — قرأها بفتح الكاف والفاء — فقال : لايكون» . (١) وحق له ، فإن هذا التغيير يقلب المعنى ليصير أن الكافر ينجيه الله من الطوفان بسفينة تجرى برعايته سبحانه ، بينما القرءة الصحيحة « جزاء لمن كان كُفِر » بضم الكاف وكسر الفاء — أى أن هذه السفينة وتلك الرعاية للداعى إلى الله نوح عليه السلام — الذى جحد قومه دعوته . فلما سمع الأعرابى القراءة الصحيحة قال : « يكون » .

وفى مثال أخير لهذه الجزئية أن أعرابياً سمع مؤذناً يقول : « أشهد أن محمدا رسولَ الله » — ونصب لفظ « رسول » . فقال الأعرابى : « يفعل ماذا »(٢) ؟ أى أنه أحس بنقص الكلام واحتياجه فى هذه الصورة التى أدى عليها — إلى خبر .

خامسا : اعترافهم ببلاغة القرآن الكريم .

إن هناك دليلا خامساً على تمتع عرب الجاهلية وصدر الإسلام بالفصاحة السليقية هو اعتراف عرب عصر البعثة — من أسلم منهم ومن لم يسلم أو تأخر إسلامه — ببلاغة القرآن الكريم اعتراف الخبير ، واستسلامهم للإحساس بعجزهم عن معارضته — رغم تحديه إياهم بصورة تثير من عنده أدنى طاقة على المعارضة — استسلام من يدرك تعذر المقاومة تمام الإدراك . وهنا ينبغى أن نستحضر أنه لولا أن العرب فى عصر البعثة كانوا فى أعلى مستويات التمكن اللغوى والحس البلاغى ، ما كان يمكن أن تكون المعجزة التى يواجهون بها — برهاناً على أن محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من الله إليهم — معجزةً لغوية تتحدى براعتهم البلاغية ، ولو جاءتهم معجزة من هذا النوع وهم بلداء فى الحس اللغوى والبلاغى مابالوا بها أدنى مبالاة . لكنها جاءتهم وهم فى القمة من القدرة اللغوية والحس البلاغى فبهرتهم ، ولولا العناد — تعصباً للعادات الموروثة ، أو حفاظاً على الزعامات القبلية

---

(١) البيان والتبيين ٢/٣٢٧ والآية من س القمر ١٤ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٣٣٩ وعيون الأخبار ٢/١٥٨ .

والمالية ، أو أنفة من الدخول فى طاعة شخص ما أو شخص ليس من عظمائهم — لانقادوا أو « سجدوا » سجود الخبير عندما يواجه بما يدرك أن عظمته تفوق حدود مايعرف — على حد ما عبر النابغة عن انبهار غواص الدر الخبير به بالسجود ، اعترافا بعظمة درة تصيدها :

أودرة صدفية غواصها   بهج متى يرها يهل ويسجد(١)

إن لدينا أمثلة جزئية تؤكد أثر فصاحتهم السليقية فى الاعتراف بإعجاز القرآن الكريم — وذلك بالإضافة إلى الاعتراف العام المتمثل فى قبولهم الدعوة الإسلامية — إقتناعا بالقرآن معجزة — وانتشارها آخر الأمر .

— فمن تلك الأمثلة واقعة استراق كبار الكفار السمع لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم القرآن — وتكرر ذلك ثلاث مرات رغم تناهيهم فى كل مرة . وقع ذلك من أبى جهل والأخنس بن شريق وأبى سفيان — قبل أن يسلم — ليلة دون أن يعلم أى منهم بصاحبيه ، ثم التقوا منصرفين فتلاوموا وتناهوا ، ولكنهم عادوا ثم التقوا فتلاوموا وتناهوا ، ثم عادوا فلما التقوا الثالثة تعاهدوا على ألا يعودوا . (٢)

— ومنها رأى الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة — وهما من أئمة الكفار — فى بلاغة القرآن الكريم إذ قال الأول : « والله إن لقوله (يقصد بالقول القرآن ، والضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم) لحلاوة (وإن عليه لطلاوة) وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة »(٣) وقال الثانى بعد أن سمع القرآن : « قد سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة » (٤) .

(١) انظر لسان العرب (هلل) ١٤/٢٢٦ .
(٢) انظر القصة وآراء الثلاثة فى الروض الأنف للسهيلى على السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٦
(٣) السابق ٢/١٢ وانظر معه لسان العرب (طلا) .
(٤) الروض الأنف على السيرة النبوية ٢/٣٥ .

— ومنها ما علم واشتهر من تحول عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الإسلام — رغم غلظته على المسلمين قبل ذلك — حين قرأ القرآن متخففاً من بعض غلوائه فى العصبية للجاهلية (١) .

— ومنها ما رواه البخارى عن جبير بن مطعم يصف أثر القرآن فيه وهو مشرك (وكان قدم المدينة قبل أن يسلم يسعى فى فداء أسرى المشركين فى بدر) إذ قال : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بسورة الطور فلما بلغ هذه الآية : « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لايوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون » ، قال جبير : فلما سمعتها كاد قلبى يطير(٢) .

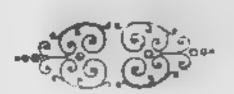
— ويخطىء من يظن أن البلاغة — فى مستواها الحق الذى نعنيه هنا — إنما هى تنميق للكلام أو زخرفة للألفاظ ولعب بها ، وأن التأثر بالكلام البليغ المعبر عن حقائق هو نوع من الضعف أو السذاجة . كلا ، فإن اللغة تعبير عن الفكر ومخاطبة له ، والفكر هو حقيقة الإنسان ، وصميم كيانه الداخلى ، والكلام البليغ هو الذى تتوفر له الخصائص التى ينفذ بها إلى ذلك الكيان الداخلى ويؤثر فيه . والتأثر حينئذ إنما هو تعديل موقف أو اتخاذ موقف جديد ، بناء على رؤية جديدة ، كون جوانبها ما أبرزه ذلك الكلام البليغ من حقائق كانت مطمورة أو مغشاة غير واضحة المعالم. فالاستجابة حينئذ وعى ونجابة ، والصلادة بعد البيان لاتكون إلا عن عناد أو بلادة .

والأمر هنا كان عناداً بلاشك . وقد سجل القرآن الكريم عليهم أسلوبا لهم — فى مواجهة إحساسهم ببلاغته — يحمل فى طياته أقوى دلالة على اعتراف نفوسهم بهذه البلاغة من ناحية ، وعلى عنادهم ثم فشلهم الذريع فى مقاومة هذه البلاغة من ناحية أخرى . وذلك فى قوله تعالى :

(١) انظر قصة إسلامه فى الروض الأنف على السيرة النبوية ٢/٩٥ .
(٢) فتح البارى ١٠ /٢٢٦ ، والآيات من س الطور رقم ٣٥ — ٣٧ .

« وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون » (١) فالامتناع من سماع القرآن الكريم ، ومنع الآخرين من استماعه برهان واضح على قوة تأثيره فى تلك النفوس العربية التى تتمثل الكلمة البليغة فتدور معها حيث دارت كأنها من معدن البلاغة خلقت .

وأقول مرة أخرى : لولا أن عرب تلك القرون الأولى كانوا ذوى فصاحة لغوية سليقية ما جاءهم البرهان على نبوة محمد فى صورة إعجاز لغوى سامق المستوى ، ولو جاءهم هذا البرهان فى أمر خطير كهذا ، وهم ليسوا ذوى سليقة لغوية متأصلة الحس فى البلاغة . . ما لفتهم ذلك إلى إثبات النبوة أى لفت ، لأن البرهان فى مثل هذا الأمر إنما يكون مما يعجز أهل الخبرة والقدرة الخاصة فى ماهم به خبرة وقدرة ، فيثبت العجز على غيرهم من باب أولى . أما إعجاز غير أهل الخبرة فلا عبرة به فى إثبات نبوة . فما برح الناس يعلمون أن الطبيب يقدر على مالا يقدر عليه غير الطبيب ، وكذلك الصانع والنحات الخ .



(١) س فصلت ٢٧ .

الفصل الرابع

السليقية ، وضرورة الشواهد

إن لسليقية الفصاحة تلك حقوقها . . .

لقد تبين فى شرحنا لمعنى سليقية اللاغى أن هذا اللاغى يسمى أشياء البيئة بناء على حسه بها وانطباعه عنها ، أى أن اللغة تعبير عن حس اللاغى بكل ما فى البيئة من أشياء وعناصر ، وتقديره أو تكييفه لها . وذكرنا أيضا أن ذلك الحس وهذا التكييف يتأثران بالبيئة التى تربى فى اللاغى العربى مزاجه العام . وبذلك فإن اللغة صدى صادق لنفوس أهلها وبيئتهم على السواء ، بل إنها تكاد تكون منحوتة من تلك النفوس وتلك البيئة معاً .

ولذا فإنه ينبغى حماية طابعها وخصائصها ، بألا ينسب إليها إلا ما هو منها ، بأن يثبت صدوره عن أهل السليقة فيها ، أو يكون جارياً مجرى ما صدر عنهم فى جملته وتفصيله . ذلك حق هذه اللغة السليقية ، وحق أهلها ، وحق الأمانة العلمية أيضا . ومن هنا وجب على كل من أصدر حكما عن العربية : فى متنها ، أو أصواتها ، أو لهجاتها ، أو دلالاتها ، أو فى نحوها أو صرفها ، أن يأتى بشواهد من كلام أصحاب السليقة تصدق وجود ذلك فى كلام العرب ، أو أخذه منه .

إن للشواهد وظيفتين أساسيتين : الأولى إثبات واقع اللغة فى مستوياتها : الأصوات ، والصرف أو الصيغ ، والنحو أو التركيب ، والمتن والدلالة .

والثانية : أنها مأخذ ضوابط اللغة وحدودها ، وسنن أهل السليقة فيها .

وعلى هاتين الوظيفتين يقوم بناء اللغة التى يراد لها أن تطرّد وتعيش ، وتبقى حافظة خصائصها ، حاملة لطابعها السليقى الأصيل .

إن هذا الذى ذكرناه من وظيفتى الشواهد وهدفها هو حق لكل لغة ؛ فليس من شك فى أن استمرار اللغة – كل لغة – منوط بالتزام أهلها والمتحدثين بها بحدودها وأعرافها ، وأن استمرار اللغة يمثل واحداً من أهم المقومات القومية والخصائص الاجتماعية لأهلها . ومن ثم فإن الحفاظ على اللغة واستمرارها يدخل ضمن الواجبات الوطنية والقومية لكل أمة ولكنه هنا حفاظ قائم على العصبية للوطن والأمة فحسب ، أما الحفاظ على العربية ، فله فوق ذلك أساس ثان هو أنها تستحق لذاتها أن يحافظ عليها أهلها ؛ وذلك لما فيها من سليقية قائمة على علاقات إيجابية متينة بين ألفاظها ومعانيها – على ما بينا من قبل .

بل إننى أزعم أن العربية تستحق – بهذه العلاقات الإيجابية بين ألفاظها ومعانيها – أن يحافظ عليها ويغار لها كل إنسان مهما كانت لغته أو وطنه أو دينه ، لأنها المثل الأعلى والأكمل للغة الإنسانية ، من حيث إن الألفاظ فيها تعبر عن معانيها تعبيراً حقيقياً مبنياً على ملاحظ حقيقية ، وليست ترديدات عجماء ارتبطت بمعانيها عشوائياً ، كما ترتبط أصوات الحيوانات بحاجاتها الضرورية من طعام وشراب وحنين وما إليها – على ما هو مقتضى كلام دعاة الرمزية اللغوية .

– ثم إنه إذا كان للأمة غير الإسلامية أو العربية أن تكتفى من ذلك الحفاظ بمقاومة الإحلال القهرى – أى أن تحل لغة أخرى محل لغتها قهراً ، ولا تدفع التطور مهما كان خطيراً ، بل ولا تدفع الإحلال الذى تبرره عوامله ... إذا جاز لغير العرب أو المسلمين ذلك ، فإنه لا يتأتى للعرب أو للمسلمين منهم أو من غيرهم أن يقبلوا الإحلال مهما كانت مبرراته ، ولا أن يسلموا بالتطور إلا فى حدود التطور الدلالى المقبول الصلة بأصوله الدلالية . فليس للمسلم أن يقبل دخول أصوات (=حروف) غير عربية إلى الأبجدية العربية لتستعمل فى الألفاظ العربية ، أو خروج أصوات عربية منها ، كما لا يسوغ له أن يقبل فى

صياغة المفردات أو التراكيب أساليب غير عربية ؛ لأنه إن قبل أياً من ذلك أدى الأمر إلى تغير اللغة العربية وتحولها إلى لغة أخرى – على سنن ما تغيرت إليه اللغات الأوربية الحديثة عن اليونانية واللاتينية ، وبذلك يجهل اللغة العربية الأصيلة التى نزل بها مصدر التشريع الإسلامى الأول – القرآن الكريم ، وصيغ فيها مصدر التشريع الإسلامى الثانى – الحديث الشريف ، ثم آثار الصحابة والتابعين ، وبذلك ينقطع ما بينه وبين منار هدايته – والعياذ بالله تعالى من ذلك .

بل إن المسلم مطالب فوق ذلك باستجلاء دلالات كل ما فى القرآن الكريم والحديث الشريف والآثار مهما دق – على ما كانت اللغة عليه فى عصر نزول القرآن الكريم وصدور الحديث الشريف ، وسائر الآثار ، وإبراز تلك الدلالات وأصولها من الاستعمالات اللغوية فى ذلك العصر بأوضح ما يكون ، ثم تكثيف الدراسات اللغوية التى تكفل إبقاء تلك الاستعمالات اللغوية ودلالاتها معروفة حية فى الأذهان جارية فى الاستعمال وذلك لأن الأحكام التشريعية وسائر التعاليم الإسلامية ، وكذلك الأخبار وسائر معطيات تلك النصوص المقدسة وما ألحق بها إنما أخذت – ولا تزال تؤخذ – من تلك النصوص على ما كانت عليه دلالات الألفاظ والاستعمالات اللغوية فى ذلك العصر الأول – عصر القرآن والحديث والآثار – لا على ما يمكن أن تكون قد تطورت إليه دلالات الألفاظ والاستعمالات فى أى من العصور التى تلت ذلك العصر .

وأمر الشواهد فى هذين المستويين أعظم خطرا ، لأنه قد يكتفى منها فى مستوى الحفاظ القائم على العصبية الوطنية والقومية ببيان مسار اللغة إجمالا ، لكنها فى هذين المستويين مطلوبة لتحرير دلالات الألفاظ والاستعمالات اللغوية تحريراً دقيقاً تترتب عليه تفسيرات نصوصنا المقدسة تلك ، كما يترتب عليه تحديد الأحكام الشرعية التى يمكن أن تستنبط من كل هذه النصوص .

وبعد ، فإنه إذا كانت الحُجّية الشرعية فى الاستعمالات اللغوية لنصوصنا المقدسة ودلالاتها تناط أو ينبغى أن تناط بدلالاتها فى عصرها الذى يبدأ

بنزول القرآن الكريم — ولكنه يقوم على ما عرف من النتاج اللغوى منذ الجاهلية — ويمتد إلى نحو منتصف القرن الثانى — حيث ينتهى عصر التابعين ، فهذا يعنى أن عصر الحجية الشرعية لدلالة الاستعمالات اللغوية هذا قد تطابق مع عصر الاحتجاج اللغوى بالنصوص اللغوية عامة وهو العصر الذى يبدأ بالنتاج اللغوى المعروف للجاهليين وينتهى بمنتصف القرن الثانى الهجرى أو آخره — على ما سيأتى .

وهذا يعنى ازدياد قيمة الشواهد اللغوية ، لأن الأحكام المبنية عليها تغطى المجالين اللغوى والشرعى على السواء .

* * *

بعد أن أقمنا ضرورة الاحتجاج اللغوى على عمد من السليقة اللغوية العربية والحفاظ الوطنى والقومى ، والاعتزاز الحضارى ، والغيرة — بل الضرورة الدينية ، علينا أن نتناول موضوع الاحتجاج اللغوى والدراسات المتعلقة به لنخلص إلى ما ينبغى أن يكون لنضمن للغتنا مسيرة قويمة ومزدهرة إن شاء الله تعالى .

ولكن علينا قبل ذلك أن نقف مع معنى الشاهد ومعنى الاحتجاج به لنستخلص منه ما يمكن أن يظاهر الدراسات التالية فى تحقيق هدف البحث .

* * *

الباب الثانى

الشاهد ومعنى الاستشهاد

الفصل الأول

الشواهد وأنواعها

● يراد بالشاهد هنا ما يؤتى به من الكلام العربى الفصيح ليشهد بصحة نسبة لفظ أو صيغة أو عبارة أو دلالة إلى العربية .

— والحاجة إلى الشواهد فى اللغة العربية ملحة حتى لا ينسب إلى اللغة ما ليس منها فى أى من المجالات السابقة ، ولأن ذلك يترتب عليه فساد فى الأحكام الدينية بالإضافة إلى الفساد اللغوى كما ذكرنا من قبل .

— والكلام العربى الذى يحتج به هو القرآن الكريم ، والحديث الشريف وما أثر من كلام العرب شعراً ونثراً منذ الجاهلية حتى نهاية عصر الاحتجاج ،

— فالقرآن الكريم هو ذروة الذرا من الكلام العربى ، وهو أولى الكلام العربى بأن يحتج به ، والأئمة على ذلك ، وقد احتجوا بمتواتره وشاذه . (١)

---

(١) انظر المحتسب لابن جنى ١/٣٢—٣٣ ، والاقتراح للسيوطى ٤٨ والخزانة للبغدادى (هارون) ١/٩ ، وشرح كفاية المتحفظ ٩٦ .

– والحديث الشريف : ذهب جمع من الأئمة إلى الاحتجاج به – ألفاظه وتراكيبه – فى اللغة ، والذين منعوا ذلك دفعهم إلى المنع تجويز رواية الحديث الشريف بمعناه ، أى دون الالتزام التام بألفاظه (١) – (مع دخول الأعاجم فى روايته) .

– وأما كلام العرب ، فلا كلام فى أنه مناط الاحتجاج ، ولكن الكلام فى تحديد القبائل والمناطق التى يحتج بكلام أهلها ، والحد الزمنى الذى يقف الاحتجاج عنده . وسيأتى هذا مفصلا .

• ولكن الملاحظ أن الاحتجاج بالشعر أفشى وأشيع كثيرا من الاحتجاج بكلام العرب النثرى ، ولعل هذا سببه شيوع حفظ الشعر ، لأن إيقاعاته تساعد على ذلك ، وحضوره الدائم بذلك فى ذاكرة الأئمة – أصحاب الدراسات اللغوية التى جاءت بالضوابط اللغوية فى شتى المستويات ، كما أن رواية الشعر أحرى أن تكون أضبط ؛ لأن الضبط يمثل عنصراً من عناصر إيقاعه .

– وأخيرا ، فلا شك أن الشعر فى مجمله يمثل الطبقة العليا من كلام العرب فى باديتهم وحاضرتهم أكثر مما يمثلها كلامهم المنثور .

ومن الحق أن توضع قواعد اللغة فى ضوء أعلى طبقات نتاجها ...!

• وربما كان الاحتجاج اللغوى بالشعر واحداً من أبكر صور الدراسات اللغوية ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تساءل عن معنى قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف »(٢) ، فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا يا أمير المؤمنين . التخوف التنقص ... قال عمر : فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلى :

(١) انظر الاقتراح ٥٢ والخزانة (هارون) ١/ ٩ – ١٥ ، وشرح كفاية المتحفظ ٩٦ – ١٠٠

(٢) الآية ٤٧ من سورة النحل .

تخوّف الرحلُ منها تامكا قَرِداً   كما تخوّف عودَ النبعةِ السَّفَنُ

فقال عمر : « أيها الناس عليكم بديوانكم – شعر الجاهلية . فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعانى كلامكم » (١) .

• فهذا احتجاج لغوى بالشعر دقيق . وقد توفى عمر رضى الله عنه سنة (٢٣ هـ) . ومناط الدلالة فى هذه القصة هو طلب عمر حجة من كلام العرب تدل لتفسير كلمة التخوف فى الآية ، ثم تعليقه الذى حض فيه على حفظ شعر الجاهلية ، وتقريره أن فيه تفسير الكتاب العزيز ، وبيان معانى كلام العرب .

• ولقد أخذ هذا الاتجاه الذى قرره عمر رضى الله عنه مساراً بالغ القوة والتمكن نظرياً وتطبيقيا على يد حبر الأمة عبد الله بن عباس (٦٨ هـ) رضى الله عنهما ، إذ قرر ما قاله عمر فى أكثر من عبارة منها : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف (= الكلمة) من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه »(٢) .

– وحظى ذلك المنهج عند ابن عباس بتطبيق جيد موسع فى ما عرف بمسائل نافع بن الأزرق (٦٥ هـ) ، ونجدة بن عويمر (٦٩ هـ) لابن عباس عن معانى ألفاظ من القرآن الكريم إذ طالباه بأن يشفع تفسيره لكل لفظ بمصادقة (أى بما يصدقه) من كلام العرب ، فأجابهم إلى ما سألوه ، وجاءهم مع كل تفسير لكلمة ببيت من الشعر يشهد لتفسيره (٣).

– ومن ذلك سؤال نافع إياه عن قوله تعالى : « عن اليمين وعن

(١) القصة فى تفسير الزمخشرى (الكشاف) ٢/ ٢٠٥ ، وتفسير القرطبى ١٠/ ١١٠ – ١١١ – واللفظ له مع تصرف يسير .

(٢) الإتقان للسيوطى (أبو الفضل) ٢/ ٦٧ .

(٣) المسائل وأجوبتها وشواهدها فى الإتقان (تحقيق أبى الفضل) ٢/ ٦٧ – ١٠٠

الشمال عزين » ، فقال العزون حِلَق الرِّفاق (١) قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم . أما سمعت عبيد بن الأبرص و هو يقول :

فجاءوا يُهرَعُون إليه حتى … يكونوا حول منبره عِزينا (٢)

— وهكذا مضيا يسألان وهو يجيب ويستشهد حتى بلغت المسائل — على ما تجمع من الروايات — أكثر من مئتين (٣) .

— وبصرف النظر عما قد يكون فى كمّ الشواهد فى هذه القصة من إضافات منحولة ، فلا شك أن أصل القصة صحيح بما فيه من الاحتجاج للمعانى اللغوية بالشعر .

— وقد أخذ بهذا الاتجاه أيضاً : أبو الأسود الدؤلى (٦٩ ﻫ) .

ومما يروى من استشهاده بالشعر قوله :

« من العرب من يقول : لولاى لكان كذا وكذا (أى يدخل لولا على الضمير المتصل) . وقال الشاعر :

وكم مَوطن لولاىَ طِحتَ كما هَوَى
بأجرامه من قُنّةِ النَّيق مُنهوِى

وكذلك لولا أنتم ، ولولاكم ابتداء وخبره محذوف » (٤) .

وكان من الطبيعى أن يستمر هذا الاتجاه ، أعنى الاحتجاج بالشعر فى اللغة — كما ينسب إلى عكرمة تلميذ ابن عباس أخذه به (٥) — حتى صار منهجا متلثباً عند اللغويين بعد ذلك .

---

(١) الحلق (كعنب) جمع حلقة (بالفتح) ، والرفاق جمع رفيق ، وفى الإتقان المحقق ٦٨/٢ : الحلق الرقاق (بفتح الحاء والراء وبالقاف) ولا معنى له . والصواب ما ذكرناه . راجع الإتقان (ط ٣ مصطفى الحلبى ١ / ١٢٠) ولسان العرب (حلق ٤ عزا) .

(٢) الإتقان (أبو الفضل) ٦٨/٢ .

(٣) انظر التعليق الثالث قبل هذا .

(٤) العقد (قيحة) ٣١٣/٢ ، (أحمد أمين وصاحباه) ٤٨٥/٢ .

(٥) الأشباه والنظائر ٣١ .

ومما ينسب إلى عبد الله بن أبى إسحاق (١١٧ ﻫ) احتجاجه لإجازة إياك الأسد بقول الشاعر :

فإياكَ إياكَ المِراءَ فإنه … إلى الشر دعّاءٌ وللشر جالب (١)

وفى احتجاج أبى عمرو بالشعر ، يقول الأصمعى (٢١٦ ﻫ) : « سألت أباعمرو بن العلاء عن ألف مسألة فأجابنى فيها بألف حجة » .

ومن أمثلة احتجاجاته :

« قال الأصمعى : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تبارك وتعالى : « فعزّزنا بثالث » مثقلة (يعنى بتضعيف الزاى الأولى) فقال : شدّدنا ، وأنشد للمتلمس :

أجُد إذا ضَمُرت تعزَّزَ لحمها … وإذا تُشدُّ بنسعها لا تَنبس . (٢)

— ومن أمثلة احتجاجات الخليل ، قوله :

« أنشدنى أعرابى :

وإنّ كِلاباً هذه عَشر أبطُن … وأنت برئٌ من قبائلها العشر

قال : فجعلت أعجب من قوله : « عَشر أبطُن » (حيث ذكّر كلمة عشر مما قد يعنى أنه يعد البطن مؤنثاً (٣) — مع أنه مذكر — وسبب تعجب الخليل أن هذا أعرابى فصيح لا يتوقع منه الخطأ) فلما رأى عجبى قال : أليس هكذا قول الآخر :

---

(١) الكتاب (هارون) ٢٧٥/١ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ٢٢ ، وانظر أيضاً مجالس العلماء (هارون ط ٢) ٢٥٥ حيث احتج لقراءة « لتخذت عليه أجرا » (الكهف ٧٧) (أى قراءة تخذ بوزن فرح) بقول الممزق العبدى « وقد تخذت رجلى إلى جنب غرزها … نسيفاً كأفحوص القطاة المطرق » .

(٣) القاعدة أن الأعداد من ٣ إلى ١٠ تؤنث إذا كان تمييزها مذكراً ، وتذكر إذا كان مؤنثاً وبما أنه ذكر لفظ (عشر) هنا فهذا قد يفهم منه أنه يعد البطن (الذى هو مفرد أبطن التى هى تمييز عشر) مؤنثاً . ولكن الأعرابى قصد بالبطن القبيلة — والقبيلة مؤنثة كما هو ظاهر — ولذا جاء بالعدد عشر معها مذكراً .

وكان مِجَنِّى دُونَ من كنتُ أتقى
ثلاثُ شُخُوصٍ : كاعبان ومُعْصِرُ (١)

ثم تجد فى الكتاب لسيبويه ألفاً وخمسين شاهداً شعرياً احتج بها على ماقرر من أحكام لغوية كثير منها مما أخذ عن اللغويين السابقين ولا شك .

كلمة شاهد :

أما عن تاريخ كلمة الشاهد ، فقد كانت معروفة من قديم ، وجاءت فى القرآن الكريم : « وشهد شاهد من أهلها » (٢) ، وجاءت كلمة شهيد بمعناها فى بعض المواضع كقوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » (٣) .

وأصل معناها الشهود بمعنى الحضور ، والوجود فى مكان الحدث ، ويلزمه الرؤية .

ويراد بالشهادة فى الأحداث تقرير ما رآه الشاهد بشأن حدث ما ، وما تقرره الرؤية هو الحق والصدق فى ذلك الحدث . والشاهد بذلك يصدّق دعوى من تتفق روايته للحدث مع رؤية الشاهد .

— والشاهد هنا فى البحث اللغوى يصدّق دعوى أن تلك الكلمة ، أو الصيغة ، أو العبارة ، أو الدلالة هى من كلام العرب .

— ولا شك أن القصة التى ذكرناها عن تساؤل عمر عن معنى كلمة التخوف يصدق فيها اسم الشاهد على بيت أبى كبير ذلك صدقاً كاملاً ، كما يصدق ذلك الاسم على تلك الأبيات التى ذكرها ابن عباس فى ردوده على

(١) العقد الفريد (قميحة) ٢/٣١٢ ، (أحمد أمين وصاحباه) ٢/٤٨٤ . ومعنى إجابة الأعراب أنه قصد بذكر الشخوص كما جاء فى آخر بيت « من قبلنهن معشر » كما فعل ابن أبى ربيعة فى قوله ثلاث شخوص فجاء بكلمة ثلاث مذكرة مع أن الشخص مفرد الشخوص مذكر فكان حقه أن يؤنث كلمة ثلاث ولكنه ذكرها نظراً إلى أنه قصد بتمييزها وهو الشخوص مؤنثاً وهو الفتيات كما هو واضح من وصفهن كاعبان ومعصر .

(٢) من سورة يوسف ٢٦

(٣) من سورة البقرة ٢٨٢

ابن الأزرق وابن عويمر — وإن لم يصرح فى أى من تلك الاستشهادات بكلمة الشاهد ، إذ يبدو أن كلمة الشاهد لم تستقر على معناها الدقيق فى الاحتجاج اللغوى إلا فى القرن الثانى . فقد جاء فى مروج الذهب أن الحجاج (٩٥ هـ) سأل سمرة بن الجعد الشيبانى : هل تروى الشعر ؟ قال : « إنى لأروى المثلَ والشاهد » ، قال الحجاج : المثل قد عرفناه فما الشاهد ؟ قال : اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر ، فإنى أروى ذلك الشاهد » . (١) فهذا طور سابق على استعمال كلمة « الشاهد » بمعناها الاصطلاحى فى اللغة .

أنواع الاستشهاد :

— نقل البغدادى عن أبى جعفر الرعينى (الأندلسى) قوله :

« علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو ، والمعانى والبيان والبديع ، والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة ، فإنها يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين ، لأنها راجعة إلى المعانى ، ولا فرق فى ذلك (أى فى المعانى) بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى وأبى تمام وأبى الطيب ، وهلم جرا . » أ . هـ (٢)

وهذا يعنى أن هناك نوعين من الاستشهاد :

استشهاد لغوى ، واستشهاد فى المعانى .

ونبين الآن الاستشهاد فى المعانى حتى نفرغ للاستشهاد اللغوى .

والاستشهاد بالمعانى — يقصد بالمعانى فيه — كما يؤخذ من كلام الأندلسى — المعانى العقلية ، وهى الفكر العامة أو الكلية التى تخطر للعقل أى أنها لا يقصد بها معنى لفظ أو تركيب مثلاً

(١) مروج الذهب ٣/١٤٣ .

(٢) الخزانة (هارون) ١/٥ .

وقد يغنى عن الإطالة فى شرح المراد بها أن نذكر أمثلة من تلك الإستشهادات التى فى مجال المعانى :

— جاء فى شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمى ، فى قول ابن دريد :

إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن
أنَّ قُصاراه نَفادٌ وتَوَى

« ... وهذا مأخوذ من قول الأسود بن يعفر :

فأرى النعيم وكلَّ ما يُلهى به ∴ يوما يصير إلى بِلىً ونَفاد

وقال آخر : والناس يبلون كما تبلى الشجر .

وقال آخر : كم غُصُن أخضرَ عاد جمرا .

وقالت ليلى الأخيلية :

وكل شباب أو جديد إلى بلى ... وكل امرىء يوماً إلى الله صائر

وهذه كلها راجعة إلى معنى واحد ... » اهـ (١)

— والمعنى الواحد الذى ترجع إليه كلها ، هو أن كل حى أو كل جديد سيبلى يوماً ما . وهذا كما ترى معنى كلى ، أو فكرة عقلية يعبر عنها كل من الأبيات والشطور السابقة .

— فهذا النوع من الاستشهاد هو الذى سماه الأندلسى راجعاً إلى المعانى ونسبه إلى العقل ، وإلى علوم البلاغة . ولذا قد يسمى استشهادا فى مجال الفكرة ، أو المعنى العقلى ، أو البلاغى ، أو الشعرى .

— وهذا النوع منثور بغزارة فى كتب المعانى والأدب والبلاغة . ومن أمثلة ما جاء منه فى شرح الحماسة :

(١) شرح المقصورة لابن هشام .

— قال المرزوقى فى قول عروة بن الورد :

ليَبلغ عُذرا أو يصيبَ رَغيبة ∴ ومُبلغُ نفسٍ عذرها مثل منجح

قال : « وفى طريقته قول أبى تمام :

لأمر عليهم أن تتمَّ صدورُه ∴ وليس عليهم أن تتم عواقبُه »(١)

— وفى قول منقذ الهلالى :

أىُّ عَيْشٍ عيشى إذا كنتُ منه ∴ بين حَلٍّ وبين وَشْكِ رحيلٍ ،

كلُّ فجٍّ من البلاد كأنّى ∴ طالبٌ بعضَ أهلِه بذحول .

قال المرزوقى : وقوله كل فج .... قد سلك مثل هذا المسلك أبو تمام فى قوله :

كأنَّ به ضِغْناً على كلِّ جانب ∴ من الأرض أو شوقاً إلى كل جانب »(٢)

— وفى قول تأبط شراً :

فخالطَ سهلَ الأرض لم يَكْدح الصَّفا
به كَدْحَةً والموت خَزْيانُ ينظُرُ

قال : « يقول : أسهلت ولم يؤثر الصفا فى صدرى أثراً ، لا خدشاً ولا خمشاً ، والموت كان طمع فىّ ، فلما رآنى وقد تخلصتُ بقى مستحيياً ينظر ويتحيّر .... وقد سلك أبو تمام مسلك هذه الاستعارة فقال :

« إن تَنفَلِتْ وأنوفُ الموتِ راغمةٌ » (٣)

— وفى قول دريد بن الصمة :

تراه خميصَ البطن والزادُ حاضر ∴ عتيدٌ ويغدُو فى القميص المقدَّد .

قال : « مثل المصراع الأول ، قول الآخر :

« يابسُ الجنبين من غير بُوسٍ »

(١) المرزوقى ص ٤٦٥ — ٤٦٦

(٢) المرزوقى ص ١١٩٨ — ١١٩٩

(٣) نفسه ص ٨٢ .

« يصفه بقلة الطعم مع اتساع الحال ، وطاعة الزاد ، فيقول : ترى بطنه منطوياً ، والزاد مُعَدّ ، لأنه يؤثر به غيره على نفسه ، ولأنه لا تهمة ثَمّ ولا حرص على عمارة البدن ، ولا على استمراء الثياب ، فهو يغدو في القميص الممزق ، إذ كان يبتذل نفسه في ما كان يَكْسِبُهُ فخراً وعلواً » . (١)

— وفي قول دريد أيضاً :

وإن مَسَّهُ الإقواءُ والجهدُ زاده .. سَمَاحاً وإتلافاً لما كان في اليد

قال :

« يقول : وإن اتفق عليه إعسار ونفاد زاد ، وجهد من نكد الزمان وإعواز زاده سخاء وإتلافاً للمال ، جرياً على عاداته التي ألفها ، لا يهضمه ضر ، ولا يلفته فقر . ويقال : أقوى الرجل ، إذا نفد زاده :

ويقال : زاد الشيء ضد نقص ، وزدته أنا فازداد . وفي طريقته قول الآخر :

قد جَعَلَ الله فيك قلباً .. يأبى على الشُّغْلِ أن يَضِيقَا (٢)

---

(١) المرزوقي ص ٨٢٠

(٢) نفسه ص ٨٢٠ .

الفصل الثاني

التعريف الاصطلاحي للشاهد اللغوي وتفصيله

— جاء في كشاف اصطلاحات الفنون (شهد) :

« الشاهد عند أهل العربية : الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة ، لكون ذلك الجزئي من التنزيل ، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم . وهو أخص من المثال . » اهـ (١)

وجاء في (مثل) : « المثال بالكسر يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة ، وإيصاله (كذا) إلى فهم المستفيد ، كما يقال الفاعل كذا ومثاله « زيد » في : « ضرب زيد » ، وهو أعم من الشاهد » . (٢) اهـ المراد .

ثم ذكر بعد ذلك أن الشاهد يجب أن يكون نصاً في ما يستشهد به (فيه) ولا يكون محتملا لغيره ، بخلاف المثال فإنه يكفيه كونه محتملا لما أورد لتوضيحه . . (٣) اهـ .

— وهذا كلام فيه إجمال يقصر به عما ينبغي :

١ — فالواضح أنه يقصد « بالجزئي » البيت أو الشطر الذي يستشهد به في حكم لغوي كائنا ما كان . ولكن الأمر في الكلام على ما يحتج به ينبغي ألا يقتصر على الأبيات أو الشطور التي وقع الاحتجاج بها في الأحكام اللغوية .

— فهناك الشعر الذي رواه الرواة ودخل في عصر الاحتجاج ، ومنه

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (شهد) (خياط ٣/٧٣٨) .

(٢) نفسه (١٣٤١/٦) .

(٣) نفسه .

القصائد والقطع التى أخذت منها تلك الشواهد الجزئية . فهذا الشعر كل (جزئى) فيه صالح لأن يحتج به فى اللغة . ولا نظن أن أحداً يجادل فى هذا .

— وبما أن ذلك الشعر كله حجة — أى يمكن الاحتجاج بكل جزء فيه — فإن روايته تحسب احتجاجاً ، بمعنى أن روايته ثقة فى حجيته ، سواء فى المعانى العامة ، ومنها الفكر العقلية ، والأخبار التاريخية والحضارية ، أو المعانى البلاغية .. وليس أى من ذلك موضوعنا ، أو فى ألفاظه ، وصيغه ، وعباراته ، واستعمالاته ، ودلالة كل منها . . وذلك هو موضوعنا .

وبهذا ينبغى أن يفهم موقف أئمة اللغويين مما يروى وما لا يروى من الشعر كشعر المولدين . وأن تفهم كلمة أبى عمرو بن العلاء : « لقد كثر هذا المولّد وحسن حتى هممت بروايته » أو « أن آمر فتياننا بروايته » .

إذ لا يمكن أن تفهم كلمة أبى عمرو على أنه يعد أن مجرد استظهاره أو استظهار غيره . شعرا ما لمجرد الاستظهار . أو لنقله إلى جيل آخر — دون نظر إلى قيمة هذا الشعر فى ذاته وكونه معدناً للاحتجاج فى كل ما ذكرناه — مناطا كافياً لاعتزازه أو لفخر الرواة الذين كان الواحد منهم يباهى بأنه حفظ كذا ألفاً من القصائد والأراجيز .

والخلاصة أنه ينبغى أن تعد رواية الشعر الذى يمكن أن يحتج به أو بجزئياته — وهو ما تنطبق عليه معايير الاحتجاج — مستوى أولياً أو تمهيدياً من الاحتجاج .

٢ — وبالنظرة نفسها ينبغى أن ينظر إلى شروح ذلك الشعر المروى وتفاسيره : إن ذلك التفسير أو الشرح هو بيان وتحديد لمعانى ذلك الشعر على ما يعرفه المفسر أو الشارح من لسان العرب : خبرة واستعمالا ، أو نقلا ، أو استنباطاً بمعونة السياق والمقام .

وهذا التفسير أو الشرح يعد النص ، أو ما شرح منه للاحتجاج به ، وليأخذ مكانه فى معاجم اللغة ، وحظه فى الدراسات اللغوية . فهذا هو المعين الرافد للمعاجم والدراسات اللغوية . أعنى أن كل معاجم اللغوية ما هى فى آخر الأمر إلا تجميع منظم للألفاظ والعبارات التى شرحت من التراث اللغوى : الشعر والنثر بصورهما من العصر الجاهلى حتى نهاية عصر الاحتجاج ، والقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

٣ — كذلك فإن « إثبات القاعدة » يحتاج إلى توضيحات :

الأول : أن « إثبات القاعدة » هذا يشمل كل حكم لغوى كنسبة صوت أو نطق لفظ أو صيغة أو تركيب أو استعمال إلى العربية بإثبات وروده فى كلام العرب المحتج بهم ، كما يشمل إثبات ورود النطق أو التصرف الأدائى من إدغام وإمالة إلى سائر الأحكام الصوتية — إثبات ورود ذلك أو ما يقاس هذا عليه عن العرب .

وكذلك الأمر فى ضبط البنية والتصريف وما يطرأ على الكلمة من إعلال وإبدال . وتذكيرها أو تأنيثها ، وصيغة تكسيرها وتصغيرها ... وسائر الأحكام الصرفية .

وفى إثبات الأحكام الإعرابية لأنواع التراكيب ، وكذلك الاستعمالات النحوية كالتعدية واللزوم ، وعدد مفاعيل الفعل المعدى ، وأنواعها ، والحروف التى يعدى بها اللازم .. وسائر الأحكام النحوية .

وفى تحديد الدلالات وحركتها وتطورها ، وتطور الاستعمال اللغوى بشتى مستوياته .

الثانى : أنه يشمل إثبات جزئى القاعدة أو فرعها الذى يكون فى صورة قسيم مما تنطبق عليه القاعدة — وهذا لا يكاد يحصى . كتقسيم المبتدأ إلى اسم ووصف له مرفوع أغنى عن الخبر . والاسم إلى صريح ومؤول .. وكتقسيم الخبر إلى مفرد وجملة وشبه جملة ، والجملة إلى اسمية وفعلية .. وهكذا فكل احتجاج لأى من هذه الأقسام هو شاهد صحيح . كقوله :

أقاطنٌ قومُ سلمى أم نَوَوْا ظعنا » (١)

شاهداً للمبتدأ الذى هو وصف له مرفوع أغنى عن الخبر . وهذا يعنى أنه إذا جىء لما تنطبق عليه قاعدة ما بقسيم لم يذكر من قبل فإن الشاهد الذى يحتج به لذلك القسيم يكون شاهداً صحيحا

— ومما يبرز وجود هذا النوع وهو إثبات القسيم — أن لدى النحاة قسائم (افتراضية) من استعمالات الكلام لا شواهد لها (٢) — ربما لأنها لم تستعمل بعد ، فهذه إذا وجدت لها إستعمالات عمن يوثق بفصاحته تعين قبولها ، ما دامت لا تصادم أصلا مقرراً فى اللغة أو النحو .

الثالث : (وهو قريب من الثانى) أنه يشمل إثبات الصورة الجديدة لما تنطبق عليه القاعدة . قال الأشمونى تعليقاً على ذلك النوع من المبتدآت وهو الوصف الذى له مرفوع أغنى عن الخبر : « ثم لا فرق فى الوصف بين أن يكون اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة ، ولا فى الإستفهام بين أن يكون بالهمزة أو بهل أو كيف أو من أو ما . ولا فى المرفوع بين أن يكون ظاهراً أو ضميراً منفصلا » . (٣) فهذه كلها صور للوصف والاستفهام والمرفوع . ولم يأت هو بشواهد تغطيها كلها ، ولكن من الواضح أنه إذا جىء لأى منها بشاهد فإنه يكون حجة واستشهادا صحيحاً

وكذلك الأمر فى قول الأشمونى : « مثل صار فى العمل ما وافقها فى المعنى من الأفعال وذلك عشرة : وهى آض ، ورجع ، وعاد ، واستحال ، وقعد ، وحار ، وارتد ، وتحول ، وغدا ، وراح . كقوله :

وبالمَخْضِ حتى آض جَعْداً عَنَطْنَطاً

إذا قام ساوى غاربَ الفَحل غاربهُ » (٤) . الخ .

(١) انظر — مثلا — شرح الأشمونى (مع حاشية الصبان) ١ / ١٩٠ .

(٢) انظر — مثلا — شرح شذور الذهب ص ٦٨ وتعليق الشيخ محيى الدين على القسم السادس من المبنيات — المبنى على الكسر أو نائبه .

(٣) انظر شرح الأشمونى (مع حاشية الصبان) ١/١٩٠ .

(٤) شرح الأشمونى (مع حاشية الصبان) ١/٢٢٩ .

وقد جاء الكل منها بشاهد . وقيمة هذا أنه إذا كشف فعل بمعنى صار غير تلك الأفعال فإنه يعمل عملها ويكون ما يستشهد به عليه شاهداً صحيحاً .

وقد كشف فى هذه المسألة بعينها مجىء الفعل جاء بمعنى صار فى قول بعضهم (حكاه سيبويه) « ما جاءت حاجتك » واستندره الصبان تبعاً للتسهيل ، وحكى أن الأندلسى قصر هذا الاستعمال لجاء بمعنى صار على هذا التركيب بعينه ، بينما طرده ابن الحاجب وجعل منه جاء البر قفيزين (١) .

والرابع : أن الأمر ليس دائماً أمر « قواعد » عامة تساق لها الشواهد ، ويتبنى الأمر . فالنشاط اللغوى بين الناس لا يصاغ فى سكك محدودة على قد القواعد . بل العكس هو الصحيح : فإن القواعد تصاغ فى ضوء صور الكلام الذى يستعمل فى النشاط اللغوى (بين الناس أو فى الأحاديث والخطب أو الكتب) ، ثم إنها تصاغ على مقدار الكلام المستوفى الأركان (أى الجمل التى لم يحذف منها شىء) الواضح العلاقات ، والسالم من التأويل والتصرفات الطارئة ، ولكن النشاط اللغوى الواقعى (بين الناس أو فى الأحاديث .. الخ) لا يكاد يخلو من حركة (خروج أو حذف أو تحوير) إذ تشارك فيه أربعة أطراف (مرسل الكلام ومتلقيه وموضوعه ومقامه) ، وكلها متحركة تتأثر صورة الكلام بظروفها ، وتتضافر هى فى سد الثغرات وتحديد المعنى المراد ، ولعل المقام أخطرها قسطا فى ذلك . ومبذا فإن الوقوف عند صور لتركيب العبارة محددة بأعيانها ، ورفض الخروج عنها (بتقديم أو تأخير أو حذف أو استغناء أو تقدير أو زيادة أو فصل أو تضمين الخ — حسب مقتضيات الأحوال) أمر يخالف طبيعة النشاط اللغوى . وعلى ذلك فإن تخريج صور الصياغة التى تبدو مخالفة للمقرر ، وبيان رجوعها إلى ما تقرر فى اللغة وعدم خروجها عنه — هذا التخريج وما إليه ينبغى أن ينظر إليه على أنه من أهم وجوه البحث اللغوى لأنه يعالج خصيصة

(١) نفسه (الحاشية) .

من خصائص الأداء اللغوى ، كما ينبغى أن ينظر إلى ذلك التخريج وما إليه على أنه تأصيل للصور التى خُرِّجت أو أُوِّلت ، تصبح به تلك الصور أداء لغويا صحيحا فصيحاً . فالنصوص التى فيها تلك الصور هى شواهد صحيحة لأن بها تثبت تلك الصور اللغوية ، فاحتسابها ضمن الشواهد الحقيقية حق لاتكلف فيه .

• ثم إن التخريج أو التأويل يحمل عصارة خبرة أئمتنا ، وهم الأمناء فى علمهم تحصيلا وأداء ، الغير على لغة القرآن والسنة والأمة والوطن . فمن الحق أن تقدر جهودهم فى التخريج والتأويل وما إليهما .

• وواضح أنى لا أقصد بما أقوله هنا عن التخريج وما إليه — لا أقصد الضرائر الشعرية (١) ، فإن مالا يخرَّج إلا عليها له شأن آخر (٢) . وإنما أقصد ما هو من قبيل الاستعمالات والتراكيب المخالفة التى تعود بالتخريج إلى أصول مقررة .

• ومن أمثلة التخريج الذى يؤتى به لمواجهة ما يبدو خروجا على القواعد المقررة :

١ — قال فى « الكتاب » : « واعلم أنه إذا وقع فى هذا الباب نكرة ومعرفة ، فالذى تشغل به « كان » المعرفة ، لأنه حد الكلام ، لأنهما شىء واحد » يعنى أنه إذا كانت الجملة التى دخلت عليها « كان » فيها معرفة ونكرة ، فالمعرفة هى اسم كان ، والنكرة خبرها . لأن حد الكلام

---

(١) الجمهور على أن الضرورة ما وقع فى الشعر سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا (الخزانة هارون ١/٤٦ وانظره أيضاً ١/٣١-٣٤) وعن الاحتجاج بها قال ابن الأنبارى إن ماجاء لضرورة شعر أو إقامة وزن أو قافية فلا حجة فيه . (الإنصاف ٦٢٨) وعن جوازه للمولدين انظر الخصائص ١/٣٢٣ حيث أجاز ابن جنى وشيخه ذلك ، وانظر شرح ابن يعيش ٦/١٠٢ (هامش) حيث لم يسوغ الأندلسى ذلك للمولد .

(٢) الضرائر التى نستبعدها هى ماليس للشاعر مندوحة عنه . فهذا اسوغ لا دلالة لتخريجه

أن تخبر عما يعرف بما لايعرف (١) . وهذا يمثل القاعدة . وقد أكده وقرره بعد ذلك بما يكفى (٢) .

ثم قال : « وقد يجوز (يعنى البدء بالنكرة والإخبار عنها بالمعرفة) فى الشعر وفى ضعف من الكلام . حملهم على ذلك أنه (يعنى كان) فعل بمنزلة ضرب ، وأنه قد يعلم إذا ذكرت زيدا وجعلته خبرا أنه صاحب الصفة — على ضعف من الكلام . وذلك قول خداش بن زهير :

فإنك لا تبالى بعد حَوْلٍ أظبىٌ كان أمَّك أم حمارُ (٣)

(يعنى بنصب « أمك » خبرا لكان ، وبرفع « ظبى » باعتدادها اسم كان) وقال حسان بن ثابت :

كأن سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ (٤)

اهـ (يعنى بنصب مزاجها خبرا ليكون ورفع عسل اسما لها) .

كما ذكر شاهدين آخرين (٥) . وهى كلها شواهد لهذا التخريج أو التوجيه الذى أجمله فى قوله : « حملهم على ذلك أنه فعل بمنزلة ضرب ، وأنه قد يعلم إذا ذكرت زيدا وجعلته خبرا ، أنه صاحب الصفة » (يعنى التى جعلت اسما لكان) .

٢ — ويقول — وهو يتحدث عن تأنيث الفعل إذا كان الفاعل مضافا إلى مؤنث : « وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به « اجتمعت أهل اليمامة » لأنه يقول فى كلامه « اجتمعت اليمامة » يعنى أهل اليمامة فأنث الفعل فى اللفظ إذ جعله فى اللفظ لليمامة ، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه فى سعة الكلام . ومثله فى هذا ياطلحةَ أقبل (بنصب طلحة) لأن أكثر ما يدعو طلحة بالترخيم فترك الحاء على حالها ، وياتيم تيمَ عدى (بالنصب أيضا) وقال الشاعر جرير :

---

(١) انظر النص فى الكتاب هارون ١ / ٤٧ والتعليق الذى فى الهامش .

(٢) انظر الكتاب ١ / ٤٧ — ٤٨ .

(٣) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٤) الكتاب ١ / ٤٩ .

(٥) نفسه .

يا تيمَ تيمَ عَدِيٍّ لا أبالكم لا يلقينَّكم فى سَوْءة عمر (١)

والتخريج الذى قدمه لهذا الشاهد ولقولهم يا طلحة أقبل أنهم طردوا ما يفعل فى حالة الاستعمال الأكثر — وهو (فتح) حاء طلحة عند النداء بالترخيم ، وفتح ميم تيم عند النداء مع الإضافة (تيم عدى) — طردوه فى حال الإستعمال الأقل ، بأن فتحوا تاء طلحة عند النداء بغير الترخيم ، وميم عدى عند النداء بغير الإضافة .

• ومن أمثلة التقدير الذى يواجه الحذف ما جاء من قول بعض العرب : « الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخيرا ، وإن شرا فشرا » و « المرء مقتول بما قَتَل به : إن خنجرا فخنجرا ، وإن سيفا فسيفا » . قال سيبويه : كأنه قال « إن كان الذى عَمِل خيرا جُزِى خيرا ، وإن كان شرا جُزِى شرا ، وإن كان الذى قَتَل به خنجرا كان الذى يُقْتَل به خنجرا(٢) . .

• ومن أمثلة ما يواجه بالتأويل : تذكير المؤنث ، وتأنيث المذكر ، والتعبير عن الواحد بالجماعة ، وعن الجماعة بالواحد . . وغير ذلك . ومن الأول قول ذى الرمة :

ثلاثةُ أنفسٍ وثلاثُ ذَوْدٍ لقد جار الزمان على عيالى

حيث ذهب بالنفس إلى الإنسان فذكَّر » (٣)

• • •

ولما كان المقصود بالشواهد هو إثبات أن الاستعمال اللغوى المشهود له هو من فصيح كلام العرب ، ولما كان الأئمة قد ضربوا نطقاً زمانية ومكانية وقَبَلية حول ما يعد فصيحا من كلام العرب ، فقد لزم أن نتبين تلك النطق ، ليكون النظر فيه وفى ما يترتب عليها على بصيرة ولذا عقدنا لها الباب التالى .

---

(١) الكتاب ١/٥٣ .

(٢) انظر الكتاب (هارون) ١/٢٥٨ ، والخصائص ٢/٣٦٠ .

(٣) انظر الخصائص ٢/٤١١ — ٤٣٥ ، والبيت فى ٤١١ .

الباب الثالث

ما يحتج به من الكلام

معيار الاحتجاج ونطقه

المعيار الذى وضعوه لتقرير عروبة اللفظ بحيث يصح الاحتجاج به هو ثبوته فى كلام « من يوثق بفصاحته » (١) .

ولو قالوا : « هو ثبوته فى ما يوثق بفصاحته من الكلام » . . لكان أبعد من الجفاء فى القول ، وأوسع لدائرة الاحتجاج .

أما عن تفصيل ما يحتج به ، وهو ما ينطبق عليه ذلك المعيار ، فقد قال فيه السيوطى : « فشمل كلام الله تعالى — وهو القرآن الكريم ، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكلام العرب قبل بعثته ، وفى زمنه ، وبعده صلى الله عليه وسلم إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين — نظما ونثرا ، عن مسلم أو كافر . فهذه ثلاثة أنواع (يعنى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام العرب) لابد فى كل منها من الثبوت » (٢) اهـ ونقف الآن مع كل منها .

---

(١) إذا أجملنا قاعدة ما يحتج به من كلام العرب فى أنه « مايوثق بفصاحته » من ذلك الكلام فهو معيار واحد ، ولشروط التى يتحقق بها ذلك الوثوق من كون قائله عربياً ، من قبائل معينة ، ومناطق بعينها ، فى عصر زمنى ينتهى عند حد معين — هذه الشروط تصبح نطقاً لذلك المعيار . ومع ذلك فإنه يمكن النظر إلى كل من هذه النطق على أنه معيار من عدة معايير متكاملة إذا تحققت فى كلام ما صار موثوقاً بفصاحته يحتج به .

(٢) الاقتراح للسيوطى ٤٨

الفصل الأول

الاحتجاج اللغوى بالقرآن الكريم والحديث الشريف

أولا : القرآن الكريم

قال السيوطى : « أما القرآن : فكل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية ، سواء كان متواترا ، أم آحادا ، أم شاذا . وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية ، إذا لم تخالف قياسا معروفا ، بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يجز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس فى ذلك الوارد بعينه . ولا يقاس عليه نحو : استحوذ (يعنى فى عدم إعلالها كاستقام) ويأبى ، (يعنى بكسر عينها) .

ثم أضاف السيوطى : « وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءات الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة ... ومن ثم احتج على جواز إدخال لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة «فبذلك فلتفرحوا» (س يونس ٥٨) . كما احتج على إدخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة « ولنحمل خطاياكم » (س العنكبوت ١٢) ، واحتج على صحة قول من قال إن (لفظ الجلالة) « الله » أصله « لاه » بما قرىء شاذا « وهو الذى فى السماء لاه، وفى الأرض لاه » (س الزخرف ٨٤) انتهى كلام السيوطى هنا(١) . وهو واضح ويمثل ما انتهى إليه الأمر عند اللغويين من الإجماع على الاحتجاج بالقراءات متواترها وآحادها وشاذها . ولا يبقى ما يضاف هنا إلا الإشارة إلى أن بعض متقدمى اللغويين والنحاة كانوا يترددون فى

---

(١) الاقتراح للسيوطى ٤٨ .

الاحتجاج اللغوى بما لم يرد إلا فى قراءة — كما حكم ابن جنى بشذوذ ودع ماضى يدع لعدم سماعها عن العرب فى علمه ، ولم يخرجها من الشذوذ بقراءة « ما وَدَعك ربك وما قلى » (ودع هنا كترك وزنا ومعنى) ولا ببيت أبى الأسود :

ليت شعرى عن خليلى ما الذى ... غاله فى الحب حتى وَدَعه

وهو موقف غريب إذ كانت القراءة تكفى سندا ، لأنها ثابتة عن الفصحاء من الصحابة والتابعين عن النبى صلى الله عليه وسلم — وهى لايعتد بها قراءة إلا إذا كانت كذلك . وكان سماعها فى شعر أبى الأسود يكفى فهو فى عصر الاحتجاج وفصاحته معروفة — وقد وجد الدارسون المحدثون مزيدا من الشواهد لودع المخففة فى الشعر والحديث وأثبتها صاحب المصباح والمغرب (١) . وكذلك تخطئة اللغويين قراءة معائش فى قوله تعالى : « وجعلنا لكم فيها معائش » (الأعراف ١٠ ، الحجر ٢٠) بالهمز لأن الذى يقلب همزة فى قواعد النحاة فى مثل هذا هو الحرف الزائد بينما الياء فى معيشة أصلية . وقد رد عليهم بقول العرب مصائب ومنائر (٢) . وهناك كثير من الأمثلة الأخرى (٣) . ولكن يكفينا أن الموقف الأخير للغويين والنحاة استوى على الاحتجاج بالقراءات ولو كانت شاذة . يقول السيوطى : « وقد رد المتأخرون (يعنى من اللغويين والنحاة) — منهم ابن مالك — على من عاب عليهم (يعنى على القراء) ذلك (يعنى القراءات التى شذذها اللغويون والنحاة) بأبلغ رد ، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم فى العربية — وإن منعه الأكثرون — مستدلا به » أى أن المتأخرين جعلوا تلك القراءات التى شذذها بعض اللغويين دلائل على كون ما قرىء به صحيحا فى اللغة . وهذا هو ما ينبغى أن يكون .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى « فى أصول النحو » لسعيد الأفغانى ٣٠ - ٣٦ .
(٢) انظر أصول النحو ٣٦ - ٣٧ (المتن والحاشية) .
(٣) انظر الاقتراح للسيوطى ٤٩ ، وأصول النحو لسعيد الأفغانى ٣٧ - ٤٥ .

ثانيا : الاحتجاج اللغوى بالحديث الشريف :

— أما الحديث الشريف فقد عرف فيه علماء الثروة اللغوية كنزا ثمينا توالوا على دراسته فى كتب غريب الحديث التى بدأت بكتاب النضر بن شميل المتوفى سنة (٢٠٣) ﻫ .

لكن علماء النحو كان لهم شأن آخر ، فانقسموا إزاء الاحتجاج بالحديث الشريف فريقين : فريقا غلب على ظنه أن الأحاديث الشريفة رويت بلفظه صلى الله عليه وسلم — فهى فى الذروة العليا من الفصاحة والحجية ، أو روى معناها بألفاظ الصحابة والتابعين — وهم داخلون فى نطاق الاحتجاج بالغو الحرص على اللغة — فأجاز الاحتجاج بها ، وفريقا غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا باللفظ ، « وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بألفاظ . . » (١) .

وقد نوقشت المسألة مناقشة موسعة (٢) انتهت إلى أن هناك أنواعا من الأحاديث لا ينبغى الاختلاف فى قبول الاحتجاج بها هى :

آ — ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته صلى الله عليه وسلم كقوله : « حمى الوطيس » . « مات حتف أنفه » ، « ارجعن مأزورات غير مأجورات » .

ب — ما يروى من الأقوال كان يتعبد بها ، أو أمر بالتعبد بها كألفاظ التحيات والقنوت وكثير من الأذكار والأدعية . .

حـ — ما يروى شاهدا على أنه صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم .

---

(١) الاقتراح للسيوطى ٥٢ ، وانظر أيضا فى أصول النحو لسعيد الأفغانى ٤٦ — ٥٠
(٢) انظر فى أصول النحو لسعيد الأفغانى ٤٦ — ٥٨ . ومن أصول بحثه القياس فى اللغة العربية للشيخ محمد الخضر حسين فانظره من ٣٢ — ٣٥ . وقد خصصت د. خديجة الحديثى موضوع الاحتجاج بالحديث ببحث ظهر فى كتاب « موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف » فلينظر

د — الأحاديث التى وردت من طرق متعددة إلى النبى صلى الله عليه وسلم واتحدت ألفاظها . . .

هـ — الأحاديث التى دونها من نشأ فى بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، والإمام الشافعى :

و — ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى كابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوه وعلى بن المدينى (١) .

وما عدا هذه الأنواع الستة ، فما دوّن فى الصدر الأول يحتج به مالم يطعن فيه بغلط أو تصحيف أو تحريف من الرواة طعناً قوياً ، ومالم يجىء فى رواية شاذة بين روايات جارية على المعروف ، وأما مالم يدون فى الصدر الأول كالأحاديث المتناثرة فى الكتب المتأخرة فلا تعد حجة من الناحية اللغوية (٢) .

---

(١) عن أصول النحو لسعيد الأفغانى بإيجاز وتصرف يسير والأربعة الأولى فى القياس للشيخ محمد الخضر ص ٣٤ .

(٢) انظر فى أصول النحو لسعيد الأفغانى ٥٤ — ٥٨ .

الفصل الثانى

الاحتجاج بكلام العرب ، ونُطُق ما يحتج به منه

بقى لنا من أنواع الكلام الذى هو موضع الاحتجاج اللغوى نوعه الأخير وهو ما يوثق بفصاحته من كلام العرب نظما ونثراً قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، وفى زمنه ، وبعده صلى الله عليه وسلم . وهذا النوع هو الأعم الأوسع الذى لا يكاد يحد ، وقد كان لذلك موضع دراسات كثيرة من حيث الاحتجاج به فى اللغة .

ولقد وضعت عدة نُطُق حول مايوثق بفصاحته من كلام العرب لضمان هذه الفصاحة وتأسيس تلك الثقة ، وتنوعت تلك النطق فكان منها القَبَلى ، والقبلى المكانى معاً ، ومنها الزمانى ، والزمانى المكانى معا — والصلة بينهما جد وثيقة . ونستطيع أن نوجز تلك النطق فى أنه ينبغى — لكى يكون الكلام حجة فى العربية — أن يكون صادراً عند نشأته الأولى — أو مروياً — عمن يحتج به من أهل قبائل معينة ، فى مناطق مكانية محددة ، وفى ما لا يتجاوز نطاقاً زمنياً معيناً .

وهذا تفصيل لما قيل فى كل من تلك النطق .

نطق ما يحتج به من كلام العرب

(أ) (النطاق القَبَلى)

فأما عن النطاق القبلى فقد أجمعوا على أنّ أفصحَ العرب قُريش : قال ابن فارس(١) : « أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ،

---

(١) الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد صقر ٣٣ .

والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم: أنّ قريشاً أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبيّ الرحمة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل قريشاً قُطّان حرمه، وجيران بيته الحرام وولاته. فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم».

«ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم، وتسميها أهل الله، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام. لم تشبهم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة، فضيلة من الله — جل ثناؤه — لهم وتشريفا، إذ جعلهم رهط نبيه الأدنين، وعترته الصالحين».

«وكانت قريش — مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها — إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب».

«ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس، مثل «تعلمون» و«نعلم» (بكسر حرف المضارعة) ومثل شعير وبعير(١)» (بكسر الحرف الأول من الكلمة).

كما ذكروا قبائل عدوها من أفصح القبائل العربية منها سعد بن بكر وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف(٢). قال الفارابي بعد أن ذكر قريشاً وفصاحتها ببعض ما سبق: «والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم، وأسد... ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.. ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم(٣)».

(١) الصاحبي لابن فارس تحقيق السيد صقر ٣٣ — ٣٤.
(٢) انظر المزهر ١/٢١٠ — ٢١١. (٣) المزهر ١/٢١١.

ب — النطاق القبلي المكاني

وأما النطاق القبلي المكاني — وهو وثيق الصلة بالمعيار السابق — فيقول فيه الفارابي — تكملة للنص السابق: «وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جُذام — لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قُضاعة وغسّان وإياد — لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان (كذا) ولا من بكر — لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عُمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم. (كذا استبعد ثقيفا، وقد سبق ذكرها بين أفصح القبائل وهو الصواب) ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم. والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء (يقصد ولابد عن تلك القبائل التي سبق أن ذكرت على أنها أفصح القبائل) وأثبتها في كتاب فصيرها علماً وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب»(١) اهـ.

— وبصرف النظر عما في كلام الفارابي هذا من تعميمات غير دقيقة — وسنفصل ذلك فيما بعد — أقول بصرف النظر عن هذا فإن تلك التحديدات القبلية والقبلية المكانية تمثل جانباً من الضوابط الجافية التي تحكمت في جمع اللغة وأدت إلى إغفال الكثير من مفرداتها واستعمالاتها، إذ أن ترك الأخذ عن قبيلة بأسرها أو عن أهل منطقة بأسرها فيه ما لا يخفى من الجزافية وإهدار ما يمكن أن يكون هؤلاء وهؤلاء استعملوه من التراكيب والصيغ والأساليب الصحيحة الفصيحة — بدليل الاستشهاد بشعر من أشرنا إلى إفلاتهم من تلك التحديدات — ولو استبدل بهذا (الحظر العام)

(١) المزهر ١/٢١١ — ٢١٢.

حظر انتقائى يستبعد من الأداء اللغوى لتلك القبائل والمناطق ما يشذ عن طبيعة الصيغ والاستعمالات والأساليب العربية فحسب لاستدرك الكثير من فوات المعاجم مما كان يدعم القياسية والاطراد فى القواعد اللغوية بمختلف مستوياتها — بالإضافة إلى قيمته فى الثروة اللغوية .

جـ — النطاق الزمانى

هذا النطاق الزمانى راجع إلى تقسيم الشعراء إلى طبقات : جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومولدين ، وقصر الاحتجاج على شعراء الطبقات الأولى الثلاث بحيث ينقضى عصره بوفاة آخر شعراء الطبقة الثالثة .

— وأساس تقسيم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين هو ظهور الدين الحنيف وما صحبه من تغير جذرى فى حياة العرب شمل كل شىء حتى القيم والأخلاقيات والعلاقات بكل مستوياتها . فقد تغيرت وجهات تناول الأمور والأحداث التى كان يصاغ فيها الشعر — كما تغير تقويمها عما كان فى الجاهلية . وتناول ذلك التغير اللغة والشعر — إلى ذلك — من عدة جوانب منها ماكان فى الألفاظ والدلالات ، ومنها أن اللغة نفسها صارت موضوعاً للدراسة . وكان (رصيدها) الطبيعى هو ما أثر عن العصر الجاهلى من النتاج اللغوى . فتقسيم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين هو كالبدهى تبعاً لذلك التغير التاريخى الاجتماعى الشامل . وكان عمر وابن عباس (رضى الله عنهما) يحيلان فى تفسير ما غمض من ألفاظ القرآن الكريم إلى شعر العصر الجاهلى (١) .

(١) انظر الكشاف للزمخشرى نشرة التجارية (١٣٥٤ هـ) ٢ / ٣٣٠ وتفسير القرطبى (دار الكتب) ١٠ / ١١٠ — ١١١ فى قصة لفظ قال فى آخرها عمر « أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قدوا : وما ديوانك ؟ قال : شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم » زاد القرطبى « ومعانى كلامكم » .

والإتقان النوع ٣٦ — الفصل الثانى الخاص بما جاء عن الصحابة والتابعين من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر .

قال ابن عباس « الشعر ديوان العرب فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه » « إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب » ولم يذكر شعر الجاهلية ولكن معظم احتجاجاته كانت به . انظر مسائل ابن الأزرق فى هذا الفصل نفسه من الإتقان .

أما طبقة المخضرمين فقد لفت إلى تحديدها واقع هو أن هناك شعراء عاشوا دهرا فى كل من العصرين .

ومن هنا كان التقسيم إلى الطبقات الثلاث طبيعيا .

أما الطبقة الرابعة فقد رجع الأمر فيها إلى موقف علماء اللغة من الاحتجاج بشعر تلك الطبقات . فكان أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) يصف شعر الطبقة الثالثة بأنه مولد ومحدث أى لا يحتج به . يقول : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته » — يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وفى رواية « لقد أحسن هذا المولد حتى ... » (١). قال ابن رشيق : « فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين . قال الأصمعى : جلست إليه ثمانى حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى » (٢) وقد توفى جرير والفرزدق كلاهما سنة ١١٠ هـ . وتوفى الأخطل (٩٠ هـ) وقد عد مولداً أيضاً (٣)

وجاء الأصمعى (٢١٦ هـ) فتزحزح حد الاحتجاج بقدر تأخره عن أبى عمرو بن العلاء تقريبا ، إذ روى عنه أنه قال : « ساقة الشعراء ابن ميادة (الرماح بن أبرد ١٤٩ هـ) ، و (إبراهيم) بن هرمة (١٥٠ هـ) (٤) ، ورؤبة (بن العجاج) (١٤٥ هـ) ، وحكم الخضرى (الحكم بن معمر ابن قنبر — نحو ١٥٠ هـ) ، ومكين العذرى (حوالى ١٦٠ هـ) (٥) ،

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٢١ والعمدة لابن رشيق ١ / ٥٦ .

(٢) العمدة لابن رشيق ١ / ٥٦ — ٥٧ .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٦٣ .

(٤) فوات الوفيات ١ / ٣٥ — والذى جاء فى الخزانة (هارون) ١ / ٤٢٥ ، وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى (الشنقيطى) ٦٨٢ أنه توفى فى خلافة الرشيد بعد ١٥٠ هـ وهم — والصواب فى خلافة المنصور المتوفى ١٥٨ ومراجعة حياة ابن هرمة فى الأغانى تؤكد صحة ما فى فوات الوفيات .

(٥) قيل عنه فى معجم الشعراء للمرزبانى ٤٨١ « إنه أدرك المهدى شيخا » والمهدى تولى (١٥٧ — ١٦٩ هـ) .

وقد وأبتهم أجمعين (١) » والمقصود بساقة الشعراء آخرهم وخاتمهم كساقة الجيش . وقد جاءت العبارة فى رواية الأغانى : « ختم الشعراء بابن هرمة .... » (٢) والمقصود أن هؤلاء هم آخر من يحتج بشعرهم من الشعراء . ومع أنه جاء فى كلام الجاحظ ومحمد بن الجراح احتساب ابن هرمة ضمن المولدين (٣) . وجاء فى إحدى الروايات عن الأصمعى أن « بشارا » خاتمة الشعراء (٤) . إلا أن الأمر استقر على ما ذكرته الرواية المفصلة السابقة ، وما أكدته إحدى الروايات الأخرى :

« ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة ، وهو آخر الحجج » (٥) .

وهكذا تحددت نهاية عصر الطبقة الثالثة (طبقة شعراء عصر صدر الإسلام وبنى أمية) . وعد الذين عاشوا بعد منتصف القرن الثانى زمنا ذا بال من الطبقة الرابعة طبقة المولدين ، وعد بشار بن برد المتوفى (١٦٧ هـ) أول الشعراء المحدثين (٦) . وعلى هذا جرى الأمر فى تقسيم الشعراء إلى طبقات ، وتحديد آخر الطبقات التى يحتج بها وأول من لا يحتج بهم .

فنجد ذلك التقسيم بصورة مجملة فى طبقات ابن سلام (٢٣٢ هـ) (٧) ثم بصورة ما فى البيان للجاحظ (٢٥٥ هـ) (٨) ، وبنى المرزبانى (٣٨٤ هـ) كتابه الموشح على الطبقات الجاهليين ثم الإسلاميين ثم المحدثين (٩) . وفصل ابن رشيق (٤٦٣ هـ) الطبقات الأربع على ما ذكرنا ، وحكى تقسيما للطبقة الرابعة (١٠) . وقر الأمر على ذلك التفصيل (١١) ، وعلى الاحتجاج بالطبقات

(١) الشعر والشعراء (شاكر) ٧٥٣ وانظر معجم المرزبانى ٤٨١

(٢) الأغانى (ساسى) ٣٧٣/٤

(٣) البيان والتبيين (هارون) ١/ ٥١ ، وتاريخ بغداد ٦/ ١٢٧ — ١٢٨ .

(٤) الأغانى (دار الكتب) ٣/ ١٤٣ ، ١٥٠ .

(٥) الاقتراح للسيوطى ٧٠ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) طبعة دار الكتب العلمية ص ١٦ .

(٨) البيان والتبيين ١/ ٤٩ - ٥٠

(٩) انظر الموشح .

(١٠) العمدة ١/ ٢٢ .

(١١) مثلا الشريف الجرجانى (٨١٦ هـ) حاشيته على تفسير الزمخشرى ١/ ١٧٠ ، والسيوطى : المزهر ٢/ ٤٨٩ والبغدادى : الخزانة (هارون) ١/ ٥ — ٦

الثلاث الأولى فحسب وإن لم يكن هذا محل إجماع . فبالرغم من قول السيوطى : « أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين فى اللغة والعربية » (١) . إلا أن هناك من قال بالاحتجاج بمن يوثق به من شعراء الطبقة الرابعة قال البغدادى : « واختاره الزمخشرى ، وتبعه الشارح المحقق (يعنى الرضى الأستراباذى) فإنه استشهد بشعر أبى تمام فى عدة مواضع من هذا الشرح » (٢) ، وسيأتى ما يؤصل هذا المذهب .

لكن المهم الآن أن نعلم أنهم قد وقفوا بعصر الاحتجاج عند منتصف القرن الثانى الهجرى ، وأنهم عدوا بشارا المتوفى — ١٦٧هـ — أول الشعراء المحدثين .

د — النطاق الزمانى المكانى

وهذا النطاق يدور على التفرقة بين البدو والحضر فى الفصاحة وامتداد عصرها . والإحساس بهذا الفرق قديم ، ولكنه كان يزداد بازدياد الحس بأهمية الفصاحة ، وبهبوط مستواها فى الحضر ، فكان العلماء يقصدون البادية ، والخلفاء يبعثون أبناءهم إليها ليكتسبوا ملكة الفصاحة . ولما وضع علم العربية ، وآن الفصل بين ما يحتج به وما لا يحتج به فيها ، جعلت البداوة — إقامة ولغة — أحد المعايير فى ذلك ، وكان أبو عمرو وغيره يقرنون بين القروية واللحن (٣) ويقول أبو عمرو : « لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج ، وكان — زعموا — لا يبرئهما من اللحن » (٤) .

— وقد ذكر أبو عمرو بن العلاء ، والأصمعى ، ومحمد بن سلام الجمحى تلك التفرقة بين البدوى والحضرى بصدد الطعن فى مستوى

(١) الاقتراح للسيوطى ٧٠ .

(٢) الخزانة ١/ ٦ — ٧ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٦٣ .

(٤) نفسه .

فصاحة عدد من الشعراء الداخلين فى النطاق الزمنى للاحتجاج — معللين هذا الطعن بحضريتهم . ومن هذا : الطعن فى مستوى فصاحة عدى بن زيد العبادى لأن « ألفاظه حيرية (نسبة إلى الحيرة) وليست بنجدية » (١) أى ليست بدوية . وكذلك الأمر مع أبى دؤاد الإيادى (٢) ورفض الأصمعى الاحتجاج بشعر ذى الرمة فى قولهم للمرأة « زوجة » لا « زوج » ، لأنه « أكل البقل والمملوح فى حوانيت البقالين حتى بشم (٣) » يعنى طول إقامته فى الحضر . كما أنه كان لا يعد الكميت حجة ؛ لأنه « كان من أهل الكوفة فتعلم الغريب — وفى رواية فتعلم النحو — وروى الشعر ، وكان معلما ، فلا يكون مثل أهل البدو ومن لم يكن من أهل الحضر (٤) » وبنحو ذلك حكم بالنسبة للطرماح أيضا (٥) .

— وقد بين ابن جنى أساس هذا الموقف من لغة أهل الحضر فى باب عقده فى الخصائص بعنوان « باب فى ترك الأخذ عن أهل المدر (: الحضر) كما أخذ عن أهل الوبر (: البدو) قال فيه :

« علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل . ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شىء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر . وكذلك لو فشا فى أهل الوبر ما شاع فى لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها . وعلى ذلك العمل فى وقتنا هذا (٦) » اهـ . ومعنى الجملة الأخيرة أنهم أخذوا فى عصره بذلك المعيار الذى ذكره : القبول من الذين لم تفسد لغتهم ، ورفض ما يأتى به من فسدت لغتهم (٧) .

(١) انظر الموشح ١٠٢ — ١٠٣ وأيضاً الوساطة للجرجانى ١٧ — ١٨ .
(٢) الموشح ١٠٤ . (٣) الموشح ٢٨٣ — ٢٨٤ .
(٤) الموشح ٣٠٢ . (٥) نفسه .
(٦) الخصائص ٢/٥ .
(٧) يبدو أن هذا الترك لم يكن مطلقاً فقد كان ابن جنى يفيد فى اللغة من كلام بعض الأعراب (انظر الخصائص ١/٧٦ ، ٧٨ ، ٢٣٩ — ٢٤٢ ، ٢٤٩ — ٢٥٠ — مثلا) وصرح بأنه تقبل من كلام بدوى آخر (الخصائص ٢/٥) وقد أخذ ابن دريد والأزهرى والجوهرى عن أعراب القرن الرابع كما سيأتى .

— وخلاصة هذا النطاق الجديد أنه بالنسبة لأهل الأمصار فإن الراجح الاحتجاج بكلام العرب الفصحاء منهم إلى منتصف المئة الثانية كما مر ، إلا أن المتأخرين تزحزحوا إلى نهاية المئة الثانية أخذاً بما قيل من فصاحة بعض أهل النصف الأخير من تلك المئة وميلا إلى إفساح عصر الاحتجاج شيئاً ما ، وأما بالنسبة إلى أهل البادية فإنه يحتج بكلامهم إلى نهاية المئة الرابعة . يقول الشيخ أحمد الإسكندرى (١) فى تفصيل ذلك : العربى من أهل الأمصار هو الفصيح الذى لم يعد المائة الثانية .. كبشار وأبان اللاحقى ، وقد احتج بكلامهما سيبويه (٢) ، وقال بعضهم إن الشافعى يحتج بعربيته . وقد توفى سنة ٢٠٤ هـ . وكان المرحوم الشيخ محمود الشنقيطى يقول : من تعلم العربية بالصناعة يحتج بعربيته — كالمأمون الذى لم يقع اللحن فى كلامه . وأنا أقول إن فصحاء الأمصار الذين يحتج بلغتهم ينقطعون بعد المائتين » (٣) .

ثم يقول : « أما أهل البادية فقد قالوا إن كثيرا من قبائلهم كانت فصيحة إلى حدود الأربعمائة ثم فسدت لغتهم بدخول القرامطة والزنج والزط ، وغلبتهم على الجزيرة » .

« أما الحجاز فقد سرى إليه (يعنى إلى لغته) الفساد قبل غيره ، لكثرة الأعاجم الذين يفدون إليه للمجاورة والحج . وفسدت لغة تميم لأنها دخلت فى دعوة القرامطة — على أن بعضهم يقول إن تميما لم يبق منها عربى واحد ، وإنما جلوا إلى خراسان والأندلس فى صدر الإسلام . والمتنبى بعد خروجه من مصر مغاضبا لكافور الإخشيدى مر ببادية بنى كلب فذكر أنه استفاد كثيرا من مخالطة أعرابهم ، وكان الفصيح منهم يصحح لغة المخطئ فى هذه البادية (٤) . ولذلك أقول : إن ما أثبته الأزهرى فى التهذيب ، وابن دريد

(١) مجلة مجمع اللغة العربية (المصرى) ١/٢٩٤ .
(٢) لم أعثر على استشهادات بشعر بشار فى الكتاب .
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية (المصرى) ١/٢٩٤ .
(٤) يشير الإسكندرى إلى ما ذكر فى الخصائص ١/٢٣٩ حكاية عن المتنبى أنه كان فى جماعة من العرب — حين منصرفه من مصر — وأحدهم يصف فلاة واسعة فقال يحير فيها الطرف ، فكان آخر منهم يلقنه سراً ليصحح كلامه قائلا له : يحار يحار .

فى الجمهرة ، والجوهرى فى الصحاح منقولا عن أهل البادية فى زمنهم — وهم من أهل القرن الرابع — يعد فصيحاً ، أما من جاءوا بعد ذلك فولدون » (١) .

وقال فى موضع آخر : « وأقول إن أمثال المأمون ممن تعلم بالصناعة ولم يلحن حجة ، أما من جاوز المائتين بكثير كابن الرومى ، والمبرد وثعلب فلا يحتج بكلامهم . . . وما ورد فى كلام بلغاء الأمصار من أول القرن الثالث يستأنس به فى البلاغة لا فى اللغة . أما أهل الجزيرة فنحتج بكلامهم إلى نهاية القرن الرابع فقد نقل ابن دريد فى الجمهرة والجوهرى فى الصحاح كثيرا من ألفاظ أهل البادية وأدخلاها فى كتابيهما فنقبل ما نقلا » (٢) .

وواضح أن مرد هذا التحديد المكانى والزمانى فى كلام الإسكندرى هو الفصاحة وسلامة اللغة . وذلك هو المعيار الأساسى الذى دار عليه كلام ابن جنى ، ويرد إليه كلام الأئمة السابقين ، بل هو المعيار الأساسى الذى نشأت عنه كل المعايير السابقة بأنواعها ؛ إذ لم يكن أى منها إلا إطاراً لضمان فصاحة الرافد اللغوى وسلامته .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية المصرى ١ / ٢٩٤ بتصرف لفظى يسير .

(٢) نفسه بتصرف لفظى يسير .

الباب الرابع

أثر نطق الاحتجاج ومناقشتها

الفصل الأول

صورة عامة لأثر نطق الاحتجاج

كان لهذه النطق أثرها القوى ؛ إذ لقيت تحديداتها — بشكل عام — احتراما كبيرا تمثل فى الاعتراف بها ، والأخذ فى تحديد طبقات الشعراء وغيرهم بها ، كما تمثل فى التزام علماء اللغة بها إلى درجة كبيرة من حيث تجنب الاحتجاج بكلام المولدين .

ففى الجانب الأول نجد محمد بن سلام الجمحى (٢٣١ هـ) يقتصر فى طبقات فحول الشعراء على شعراء الجاهلية وصدر الإسلام — مفرقا المخضرمين بينهما ، ومعرضا عمن بعد طبقة صدر الإسلام كأنما هو لايعترف بهم (١) .

ونجد الجاحظ (٢٥٥ هـ) يعدد طائفة من الشعراء يصفهم بالمولدين منهم بشار ، والسيد الحميرى ، وأبو العتاهية ، وابن أبى عيينة « ... وبشار أطبعهم كلهم (٢) » ثم يقول : « ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من

(١) طبقات فحول الشعراء — مقدمة ابن سلام لكتابه هذا .

(٢) البيان والتبيين ١ / ٥٠ .

بشار وابن هرمة (١) ، — فجعل ابن هرمة (المتوفى ١٥٠ هـ) من المولدين .

ونجد ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ، وأدب الكاتب (٢) ، والمبرد فى الكامل ، وفى التعازى والمراثى(٣)، والجرجانى فى الوساطة(٤)، والمرزبانى فى الموشح(٥)، والصولى فى أخبار أبى تمام (٦)، وابن رشيق فى العمدة (٧) وابن جنى فى الخصائص (٨) ، والحصرى فى زهر الآداب (٩) .. يتحدثون عن المولدين — أو المحدثين — ذاكرين أولهم ، أو أغلاطهم ، أو مفضلين بعضهم على بعض .. مما يعنى اعتراف هؤلاء جميعاً — وهناك غيرهم أيضا — بتلك المعايير ، وبخاصة الزمنى منها ، وأخذهم بها — ولو بصورة مجملة — فى الحكم على هذا القائل أو ذاك بأنه مولد .

وإن كان من الإنصاف أن نذكر أن بعضهم كالجاحظ وابن قتيبة ، والمبرد والجرجانى وابن رشيق لم تأسرهم فكرة التفضيل المطلق للجاهليين على المولدين ، بل ناطوا التفضيل بالبراعة الفنية (١٠) .

---

(١) نفسه ١/٥١ .

(٢) مثلا الشعر والشعراء ص ٤٧٧ ، ٧٥٧ ، ٨٢٧ ، وأدب الكاتب (الدالى) ٤٠٤ .

(٣) الكامل فيه الكثير جداً انظر أول الجزء الثانى منه ثم سائره وانظر فى التعازى ١٥٢ ، ١٩١ .

(٤) مثلا ص ١٥ — ١٦ .

(٥) الشعراء فى الموشح ثلاث طبقات : جاهليون وإسلاميون ومحدثون وقد عرض الكثير من المحدثين فى القسم الأخير منه .

(٦) ص ١٤ ، ١٦ ، ٦٣ ، ١١٨ وغيرها .

(٧) مثلا ١/٨٢ ، ٨٣ ، ٩١ ، ١١٠ ، ٢/١٥٩ .

(٨) مثلا ١/٣٢٧ — ٣٢٨ .

(٩) ٢/١١٩ .

(١٠) انظر الحيوان ٢ / ٢٧ والشعر والشعراء (شاكر) ١٠ ، ١١ والكامل (الدلجمونى) ١ / ٢٤ والوساطة للجرجانى ١٥ — ١٦ ، والعمدة (محيى الدين) ١/٩٠ — ٩٢ ، ١٢١ — ١٢٢ .

ومن الجانب الثانى نجد أن سيبويه ثم من بعده من النحاة قد تجنبوا الاحتجاج بشعر بشار فمن بعده من شعراء الحضر وناثريها ، تجنبا شبه كامل كما تجنبوا الاحتجاج بكلام أهل البادية منذ أواسط القرن الرابع ، وبذا حرم النحو من صور رفيعة من التركيب اللغوى كانت دراستها أجدى على العربية ولاشك من تلك النتف والنوادر التى شغلوا بالتقاطها وكان جل قيمتها أن تمثل شواذ أو استثناءات وتفريعات تضفى على القواعد النحوية بظلال كثيفة من الاضطراب والتهويش .

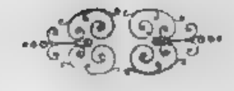
وكان موقف اللغويين أفدح أثراً ، لأنهم أخذوا بتلك المعايير بصورة شبه كاملة أيضا ، إذ أعرضوا عن نتاج مئات ومئات من الشعراء والناثرين(١) ذوى الحس العربى الأصيل فحرموا اللغة من ثروة من الإضافات فى المفردات والتعبيرات لا يمكن جمعها الآن إلا بجهود كثيرة متضافرة قد لا تتيسر . وإنما كان موقف اللغويين هذا أفدح أثراً — لأن قواعد النحو يمكن فى آخر الأمر حصرها لينضوى تحتها كل ما يجرى من التركيبات اللغوية ، فالخسارة النحوية فى إهمال دراسة ما عد مولدا محدودة مهما كانت . أما اللغة فإنها بطبيعتها تيار يتدفق فى حرية تلبى سبحات العقل والخواطر الإنسانية التى لا تحد . فالوقوف عند مفردات وتراكيب وعبارات لغوية بعينها ورفض الزيادة عليها كمًّا ، ورفض ما قد تتطور إليه دلالة بعضها أمر مخالف تماماً

---

(١) بلغ عدد شعراء العصر العباسى (من ١٥٠هـ إلى نحو ٤٣٠) الذين أرخ لهم فؤاد سزكين نحو ٢٥٠ شاعراً ولا بد أنه فاته الكثير إذ أن معجم لسان العرب فيه شعر لنحو ١٢٠٠ غير ما استدركه عليه الهمام د. نورى القيسى — ومع أن شعراء لسان العرب منهم جاهليون إلا أنهم لا يبلغون ما يقص شعراء تلك الفترة فى العصر العباسى عن ألف لأن العصر الذى أحدث منه شواهد معجم لسان العرب لا يتعدى منتصف القرن الخامس أيضاً . وكل هذا عدا الأدباء وعلماء اللغة وغيرهم وسائر المؤلفين . وهم فى تلك الفترة الزمنية نفسها (١٥٠ — ٤٣٠هـ) آلاف — انظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين المجلد الثانى (الشعر) الجزءان الرابع والخامس وفهرس المجلد الثانى فى الجزء الخامس .

لطبيعة اللغة ووظيفتها فى الامتزاج بخواطر العقل وسبحاته وأفكاره ، وفى بلورتها والتعبير عنها — بالإضافة إلى ما فى هذا الرفض من خسارة تتمثل فى حرمان اللغة من صياغات جديدة ومن التعبير عن معان جديدة .

ولعل تقديم صورة واقعية عن مدى أخذ الدراسات اللغوية بنتاج (المولدين) أو تجنبها ذلك النتاج يوضح الأمر بصورة أفضل .



الفصل الثانى

صورة واقعية تفصيلية

تجنب اللغويون الاحتجاج فى مؤلفاتهم بشعر المولدين — تأثراً بمنطق الاحتجاج — تجنبا شبه كامل . وتتضح صورة هذا التجنب على حقيقتها ببيان مدى خلو تلك المؤلفات من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين فى ضوء بحث واقع تلك المؤلفات من هذا الجانب بحثا علميا ، حيث يتبين أنه :—

أولا : فى مجال متن اللغة وما إليه .

— ليس فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (٢١٠ ﻫ) من شعر المولدين المستشهد به (فى اللغة) إلا بيت واحد لمطيع بن إياس (١٧٠ ﻫ) (١) : مع أن فيه نحو ألف ومئة وخمسين شاهداً .

— وليس فى معانى القرآن للأخفش الأوسط (٢١٥ﻫ) أية احتجاجات لغوية بشعراء مولدين . وفيه ٣١٧ شاهداً (٢) .

— وليس فى كتاب الأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ ﻫ) من

(١) مجاز القرآن ٢/١٦٩ « لا فيها غول .. » الصافات ٤٧ « .. الغول أن تغتال عقولهم قال شاعر

ومازالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول . رقم ٧٧٣

... هو لمطيع بن إياس ثم قال قال أبو عبيدة مطيع مولد لا يحتج بشعره » اﻫ أقول ولكنه ... هنا

(٢) انظره بتحقيق د. فائز فارس وفهرسا الأشعار والشعراء فيه ٢/٥٨٢ — ٦٠١ .

الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت لبشار جعل مثلا (١) . (وفيه ٢٣١ شاهدا) .

— وليس فى كتاب غريب الحديث له أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين مع أن فيه نحو تسعمئة شاهد (٢) .

— وليس فى إصلاح المنطق لأبى يوسف يعقوب بن السكيت (٢٤٤هـ) أى احتجاج لغوى بشعر مولد ، (٣) (مع أن فيه ما يقرب من ستمئة شاهد)

— وليس فى شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى بشرح الطوسى . . (لعله أحمد بن ابراهيم أستاذ ثعلب) احتجاجات لغوية بشعر المولدين (٤)

— وليس فى « غريب الحديث » لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت واحد للحسين ابن مطير (١٧٠ هـ) (٥) .

— وليس فى المجلدة الخامسة التى وجدت وطبعت من « غريب الحديث » لأبى اسحاق ابراهيم بن اسحاق الحربى (٢٨٥ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين مع أن هذه المجلدة وحدها فيها ما يقرب من أربعمئة وألف شاهد (٦) .

---

(١) كتاب الأمثال ص ١٨٣ :

" [illegible] [illegible]
قال [illegible] هو [illegible]

(٢) [illegible] بتحقيق محمد [illegible] [illegible] [illegible] فانظره [illegible] [illegible] [illegible] (الشواهد ٥١٠ – ٦١١)

(٣) انظر [illegible] [illegible] ترتيب الإصلاح على حروف معجم لأبى [illegible] العكبرى تحقيق [illegible] محمد [illegible] (فهرسى الشعر والرجز ٩٩١ – ١٠٣٠) .

(٤) انظره بتحقيق إحسان عباس

(٥) انظره بتحقيق د. عبد الله الجبورى ٢/٢٣٦ حيث البيت ، ٣/٧٨٥ – ٨٢١ حيث فهرسا الشعر والرجز

(٦) [illegible] بتحقيق [illegible] [illegible] ٣ ٢٥٣ [illegible] ١٣٠٧ .

— وليس فى « كتاب الاختيارين » (شرح المفضليات والأصمعيات) للأخفش الأصغر (٣١٥ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين (١) .

— وليس فى « الأضداد » لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبـارى (٣٢٧ هـ) من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت واحد لعمارة ابن عقيل (٢٣٩ هـ) (٢) .

— وليس فى « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » لابن الأنبارى هذا ، من تلك الاحتجاجات إلا بيت واحد لعمارة بن عقيل أيضاً (٣) .

— وليس فى « شرح القصائد التسع المشهورات » لأبى جعفر أحمد ابن محمد النحاس (٣٣٨ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين (٤) .

— وليس فى « معجم مقاييس اللغة » لأبى الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين (٥) .

— وليس فى معجم « نظام الغريب » لعيسى بن إبراهيم الربعى (٤٨٠هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين (٦) .

— وليس فى فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال (أمثال أبى عبيد الهروى ٢٢٤هـ) لأبى عبيد البكرى (٤٨٧ هـ) من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت بشار الذى ذكر فى كتاب الأمثال نفسه (٧) .

— وليس فى شرح المفضليات لأبى زكريا يحيى بن على التبريزى (٥٠٢ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين (٨) .

---

(١) انظره بتحقيق د. فخر الدين قباوة (وهذا هو الجزء الثانى منه ولم يعثر المحقق على الأول) فهرس الشواهد فيه ٧٦٠ – ٧٦٦ .
(٢) هو فى الأضداد ص ٥ فى معنى الغساق .
(٣) انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٣٨ فى معنى حباب الماء .
(٤) انظره بتحقيق أحمد خطاب وانظر فهرس الشواهد فيه ص ٨٥٣ – ٨٦٣ .
(٥) انظره وفهارسه بتحقيق العلامة عبد السلام هارون .
(٦) انظره بتحقيق المستشرق بولس برونله وانظر فهرس الشعراء فيه .
(٧) انظره بتحقيق إحسان عباس والبيت فى ص ٤٣٧ .
(٨) انظره بتحقيق على محمد البجاوى وراجع فهرس الأعلام .

— وليس فى المستقصى فى أمثال العرب لجار الله الزمخشرى (٥٣٨ هـ) من تلك الاحتجاجات إلا بيت واحد للعمانى (٢٢٨ هـ) (١) .

— هذا ، إلى أن هناك مؤلفات لغوية ذات شأن ليس فيها من الاحتجاج اللغوى بشعر المولدين إلا عدد جد محدود .

— فأدب الكاتب لابن قتيبة (٢٧٦هـ) ليس فيه من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت لأبى العطاء السندى (١٨٠)هـ وشطر للعمانى (٢٢٨)هـ(٢) .

— ومعجم الجمهرة لابن دريد (٣٢١)هـ ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا شطران للعمانى ، وشطر لبشار شفعه بنى حجيته (٣) .

— و « ديوان الأدب » لأبى إبراهيم الفارابى (٣٥٠)هـ ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا ثلاثة شواهد ، ورابع مشكوك فيه (٤) .

— و « غريب الحديث » لأبى سليمان الخطابى (٣٨٨)هـ ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا بيت لعمارة بن عقيل ، وآخر لأبيه (٥) .

— ومجالس ثعلب (٣٩١)هـ ليس فيـــه من أشعار المولدين المشروحة إلا بيت لبشار ، وبيت وشطر لأبى نواس ، ولفظ مفسر لعمارة (٦) .

---

(١) فى ص ١٤٢ لكن فيه أبياتاً بمعانى أمثال لبشار ١/١٠٧ ، خلف ١/٢٠٨ ، بكر بن النطاح ١/٤٠٣ ، ابن أبى عيينة ١/٢٤٩ ، ومسلم بن الوليد ١/٢١٩ ، وأبى تمام ١/١١

(٢) انظره بتحقيق الدالى وبيت السندى ص ٢٤ بشأن معنى كلمة مأتم ، وشطر العمانى ص ١١٩ فى معنى التجبيب والتخنيب .

(٣) انظر الجمهرة ٢/١٠٩ ، ٣/١٢ بشأن شطرى العمانى ، و ١/١٢٧ بشأن شطر بشار .

(٤) فى ديوان الأدب ٢/٢٥٦ بيت اللاحق « حذر أمورا » ، وفى ٣/١٠٣ بيت لأبى نواس ، وفى ٤/١٦٨ بيت لأبى العطاء السندى ، وفى ٣/١١ بيت ينسب للعمانى الراجز (٢٢٨ هـ) كما ينسب للعجاج .

(٥) نشره فيه بتحقيق [illegible] ١/١٢٩ (مع [illegible] ٨ [illegible] ٣٣ [illegible] ٢/٢٠٢

(٦) مجالس ثعلب بتحقيق العلامة هرون ص ٥٤٣ (بشار) ، ص ١٩ (أبو نواس) ، ص ٣٢٠ (عمارة) .

— ومعجم « المجمل » لابن فارس فيه بيت لبشار ، وبيتان للعمانى (١) :

— وكتاب الأفعال لأبى عثمان سعيد بن محمد السرقسطى (بعد ٤٠٠)هـ ليس فيه إلا بيت لكل من ربيعة الرقى (١٩٨)هـ (وهو مختلف فيه) ، وعمارة ابن عقيل (٢٣٩هـ) وأبى العميثل (٢٤٠)هـ وشطران للعمانى الراجز (٢٢٨)هـ(٢) .

— والفائق فى غريب الحديث للزمخشرى (٥٣٨هـ) ليس فيه إلا بيت لخلف (١٨٠)هـ ، وثان لعقيل بن بلال بن جرير وثالث لربيعة الرقى (١٩٨) هـ ورابع لأبى العتاهية (٢١١)هـ وخامس لدعبل الخزاعى (٢٢٠)هـ (٣) .

ثانيا : فى النحو وما إليه :

وهنا نجد أن المؤلفات فى هذا المجال إلى نهاية القرن الرابع الهجرى تكاد تخلو تماماً من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين .

— « فالكتاب » لسيبويه — وقد بلغت شواهده ألفاً وخمسين — لا يوجد فيه من الاحتجاج بشعر المولدين على التحقيق (٤) إلا ثلاثة شواهد . هى :

---

(١) أشطار العمانى فى (خطف) ٢٩٤ ، (زلف) ٤٣٨ ، وبيت بشار فى (كود) ١٣٨

(٢) بيت عمارة فى ٢/٣٧ ، وبيت أبى العميثل فى ١/١٣٠ ، ١٣٩ وشطرا العمانى فى ١/١٥٧ ، ٤٦٨ .

(٣) بيت خلف فى ٣/٤١٩ ، وبيت عقيل فى ٣/١٨١ ، وبيت ربيعة فى ٢/٢٧٣ ، وبيت أبى العتاهية و ٤/٩٠ وبيت دعبل فى ١/١٧٤ — ١٧٥ .

(٤) إنما قلنا على التحقيق لأنه قيل إن سيبويه استشهد أيضاً بشعر لبشار ولأبى نواس رهبة من هجائهم . وليس فى أصول طبعتى الكتاب الحاليتين أو كتب شواهده ذكر لهما . وقد قيل إن بيت [illegible] الذى احتج به سيبويه هو :

[illegible] كل ذى لب بمؤتيك نصحه … وما كل مؤت نصحه بلبيب

[illegible] محقق الحجة عبد السلام هرون أن البيت لأبى الأسود ، وذكر تاليه (انظر [illegible] ٤/٤٤١) .

[illegible] فى الكتاب (هارون ٢/٩٧ — ٩٨) بشأن جمع نحو « ابن لبون » و « ابن [illegible] » [illegible] إلى أبى عطاء السندى ١٨٠ هـ :

[illegible] قرا كأن رقابها … رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

[illegible] تقضى به الأدلة أن البيت برواية « تفزع للرعد » من قصيدة لأبى الهندى (المتوفى [illegible] حوالى ١٤٠هـ) أولها :

(أ) بيت أبان اللاحقى (نحو ٢٠٠ ﻫ) :

حَذِرٌ أموراً لا تُخَافُ وآمِنٌ ما ليس منجيَه من الأقدار

(شاهداً لإعمال صيغة المبالغة فَعِل بفتح فكسر) .

(ب) وبيت خلف الأحمر (نحو ١٨٠ ﻫ) :

ومَنْهلٍ ليس له حوازق ولضفادى جَمِّه نقانق

(شاهداً لإبدال عين ضفادع ياء) .

(ﺣ) والبيت الذى ينسب لمروان النحوى (نحو ١٩٠ ﻫ) :

ألقى الصحيفةَ كى يخفف رَحْلَه والزادَ — حتى نعلَه ألقاها

(بشأن إعراب الاسم بعد حتى — أنه هنا مجرور بها) .

وقد قيل عن الشاهد الأول والثانى إنهما مصنوعان — ونوقش هذا القول، وهو لا ينفى وقوع احتجاج سيبويه بهما (١) .

وقيل عن الثالث إنه للمتلمس — وهو جاهلى ، أو لأبى مروان لا لمروان، لكن الصحيح أنه لمروان بن سعيد النحوى المذكور (٢) .

= سيغنى أبا الهندى عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

(انظر تعليق العلامة هارون على البيت فى الموضع السابق) .

— وجاء فى الكتاب (هارون ١/١٧٨) شاهد من شعر أبى حية النميرى الذى قيل إنه توفى ١٨٣ﻫ. ولكن الراجح أنه توفى فى آخر خلافة المنصور (١٥٨) ﻫ . (انظر الأعلام ط ٥ — ٨/١٠٣ وما أحال إليه) وبهذا يكون داخلا فى النطاق الزمنى لمن يحتج بهم .

— وفى الكتاب (هارون ١/٢٧٩) بيت للفضل بن عبد الرحمن القرشى (١٧٣ ﻫ) هو «فإياك إياك المراء الخ» وقد قيل إن الفضل هذا ولد قبل ٧٠ ﻫ (انظر الأعلام للزركلى) وقول سيبويه إن عبد الله بن أبى إسحاق احتج ببيته هذا ، والأمران كافيان لإخراجه من دائرة المولدين .!

(١) بيت اللاحق فى الكتاب (هارون ١/١١٣) فانظر تعليق المحقق ، وقول المبرد إنه مصنوع (المقتضب ٢/١١٥) والتعليق هناك ، والخزانة ﻫ ٨/١٦٩ — ١٧٢ . وقيل إنه لابن المقفع ، وبيت خلف فى الكتاب (ﻫ ٢/٢٧٢) والمقتضب (١/٢٤٦) فانظر تعليق محققيهما وحكاية الأعلم أنه مصنوع .

(٢) حكى العينى (فى شواهده على هامش الخزانة بولاق ٤/١٣٤) نسبته إلى المتلمس=

— و « المقتضب » لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥)ﻫ ليس فيه احتجاجات — فى النحو وما إليه — بشعر للمولدين إلا بيت خلف الأحمر الذى جاء فى كتاب سيبويه (١) .

— و « الأصول فى النحو » لأبى بكر محمد بن سهل السراج (٣١٦) ﻫ ليس فيه من الاحتجاجات بشعر المولدين فى النحو وما إليه إلا بيت مروان الذى جاء فى كتاب سيبويه (٢) .

— و « كتاب المذكر والمؤنث » لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى (٣٢٧ / ٣٢٨)ﻫ ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا شاهد للعمانى (٢٢٨)ﻫ ، وآخر لعمارة (٢٣٩ﻫ) ثم شاهد لبشار (١٦٧) ﻫ فى ديوانه وينسب أيضاً لغيره ، وآخر بين عمارة وأبى العالية (كان يحضر مجالس الفراء) ، وثالث بين مسلم بن الوليد والتيمى — وكلاهما مولد أيضاً (٣) ، أى أن شواهد المولدين فى هذا الكتاب بين أربعة وخمسة .

— وكتاب « الجمل فى النحو » لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (٣٣٩) ﻫ وكذلك شرحه الكبير لابن عصفور الاشبيلى (٦٦٩) ﻫ

= ونفاها ، ونفى وجود البيت فى ديوانه . ويبدو أن أساس هذه النسبة أن البيت يذكر قصة عمرو بن هند التى أمر فيها عمرو بقتل المتلمس وأرسلها معه إلى عامله ولكن تكشفت الحقيقة للمتلمس فى الطريق فألقاها . وفى معجم ياقوت ١٩/١٤٦ أن البيت لمروان النحوى . ولعل العينى وهم فجعل الاسم كنية . وانظر الكتاب هارون ١/٩٧ وبغية الوعاة للسيوطى ٢/٢٤٨ . ثم انظر الأعلام بشأن مروان بن سعيد النحوى هذا .

(١) نشره بتحقيق العلامة محمد عبد الخالق عضيمة (راجع فهرس شواهده فيه ٤/٣٦٧ — ٣٣١ وبيت الأحمر فى ١/٢٤٣ .

(٢) نشره بتحقيق عبد الحسين الفتلى وقد عرضته إذ أخلاه محققه من الفهارس الفنية . وبيت مروان فى ١/٤٢٥ ثم انظر ١/١٢٤ .

(٣) نشره بتحقيق طارق الجنابى وفهرس شواهده فيه من ٨٠٦ — ٨٩٠ وشاهد العمانى فى ص ٣٠ . وشاهد عمارة ص ٤٧٥ وبشار فى ص ٤١٥ ، والذى أنشده أبو العالية وهو لعمارة فى ٤٧٧ والذى بين مسلم بن الوليد والتيمى فى ٤٦٠ .

ليس فيهما من شواهد المولدين فى النحو وما إليه إلا بيت اللاحقى وبيت مروان اللذان جاءا فى كتاب سيبويه (١) .

— و « المسائل المشكلة » (البغداديات) لأبى على الفارسى (٣٧٧) هـ ليس فيها من تلك الاحتجاجات إلا شاهد خلف « ولضفادى » الذى جاء فى الكتاب ، وإلا قوله « أبى الحاوون أنّ يطئوا حماه » شاهداً لإبدال ياء حية التى هى عين الكلمة — واوا فى هذه الصيغة (٢) .

— أما « المسائل البصريات » للفارسى أيضاً فليس فيه أية احتجاجات بشعر المولدين (٣) .

— و « اللمع فى النحو » لابن جنى (٣٩٢) هـ ليس فيه من الاحتجاجات بشعر المولدين فى هذا المجال إلا بيت مروان الذى جاء فى كتاب سيبويه (٤) .

— و « المنصف » لابن جنى شرح « التصريف » للمازنى (٣٣٠/٣٤٩) هـ ليس فيه من شواهد المولدين إلا ما تعرض له ابن جنى من قول عمارة :

وأنى امرؤ من عُصبة خِنْدفية ... أبت للأعادى أن تديخ رقابُها (٥)

— و « التبصرة والتذكرة » لأبى محمد عبد الله بن على الصيمرى (من نحاة أواخر القرن الرابع) ليس فيه من الاحتجاجات بشعر المولدين فى النحو

(١) الجمل بتحقيق على توفيق الحمد ، وشرحه بتحقيق د. صاحب أبو جناح . وبيت اللاحق فى الجمل ٩٣ وشرحه ١/٥٦٢ وبيت مروان فى الجمل ٦٨ وفى شرحه ١/٥١٩ وانظر فهرسى الشواهد فى الكتابين .

(٢) انظره بتحقيق صلاح الدين السكوى (فهرسى الشواهد ٦٤٧ — ٦٥٨ والأعلام ٦٦١ ٦٧٦) وشاهدا خلف ص ١٦١ ، ٢٣٠ .

(٣) انظره بتحقيق محمد الشاطر أحمد وفهرس الأعلام ص ١٢٤٩ وما بعدها .

(٤) انظره بتحقيق فائز فارس ، والبيت ص ٧٨ .

(٥) انظره بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين وانظر فهارس الشواهد والأعلام فى كل من أجزائه والبيت فى ١/١٣٠ وقد جاء فى المقتضب لكن للمعنى اللغوى لا للنحو لكنه خرجه بما فصله ابن جنى وغيره بعد .

وما إليه إلا أبيات اللاحقى ، وخلف الأحمر ، ومروان التى جاءت فى كتاب سيبويه (١) .

تلك كانت المؤلفات التى تيسرت لنا مراجعة شواهدها فى متن اللغة وما إليه من أواخر القرن الثانى إلى أوائل القرن السادس ، وفى النحو وما إليه من أواخر القرن الثانى إلى نهاية القرن الرابع . وواضح من خلوها الكامل أو شبه الكامل من الاحتجاج اللغوى بشعر المولدين أن أولئك الأئمة الذين ألفوها قد التزموا التزاماً كاملاً أو شبه كامل بمعايير الاحتجاج ووقفوا عند حدودها ، وواضح أيضاً من جهة أخرى أن كل ما يمكن أن يكون مولدو تلك القرون قد ابتكروه من المفردات والصيغ والعبارات والاستعمالات والدلالات قد أغفل تماماً ، وأنه يتحتم بذل الجهود لاستدراكه إذا كنا مقتنعين بأن من حق اللغة وحق أهلها أن يدون ما أبدعه منها صفوة أبنائها ، وأبلغهم إحساساً بها وتذوقاً لها ، وأقدرهم على إحسان استعمالها وهم الشعراء خاصة ، والأدباء والعلماء بعامة .

(١) انظره بتحقيق د. فتحى على الدين ، وفهرس الشواهد الشعرية فيه ص ٩٩٤ — ١٠٣٢ ، وبيت اللاحق ص ٢٢٧ ، وبيت مروان ص ٤٢٣ وبيت خلف ص ٨٣٧ .

الفصل الثالث

مناقشة نطق الاحتجاج

مع التسليم بجدوى هذه النطق على اللغة العربية ؛ حيث إنها ميزت نتاج الثروة السليقية فلم يتميع فى غيره،وجعلته هو الصورة الصحيحة للغة بحيث لا يعترف بما خرج عما فيه من الألفاظ والصيغ والتراكيب والدلالات ؛ ومن ثم وجهت أهل اللغة والأدب إلى استيعاب نتاج عصر الثروة السليقية ذاك ، وصيرته موضع القدوة ومناط التنافس ، فساعد ذلك على ترسيخ السليقية واستمرار أثرها فى اللغة والأدب حينا من الدهر ، نقول إنه مع التسليم بذلك الأثر الطيب لتلك النطق ، إلا أنه شابتها بعض الشوائب غير العلمية ذات الآثار السلبية .

وأولى هذه الشوائب هو ما اتسمت به تلك النطق من تعميم شمل الجوانب القبلية والمكانية والزمانية . والمنهج العلمى لا يعتمد التعميم إلا إذا قام على استقراء تام أو شبه تام ، ولم يحدث ذلك الاستقراء .

ومن هنا فإن الحكم بمنع أخذ اللغة إلا عن قبائل كذا وكذا ، أو عن أهل مناطق كذا (١) ، أو عمن لم تتعد حياته منتصف القرن الثانى أو آخره مثلا — وكل منها فيه تعميم خاص بالقبول ، وآخر خاص بالرفض — هذه التعميمات ينقصها الأساس العلمى — من حيث المنهج ؛ لعدم قيامها على استقراء علمى كما سبق ، ولأنها تعنى الحكم المسبق بعدم الفصحة على جميع

(١) انظر تحديد القبائل والمناطق فى الكلام عن معايير الاحتجاج هنا

الخارجين عن نطق الاحتجاج تلك ، وهكذا حكم يتجاهل التفاوت الفردى فى الفصاحة، إذ لا يستبعد أن يبلغ بعض من أدباء الأمة مستوى من الفصاحة يضارع القدماء . وقد بينا من قبل أن السليقية فى العربية لما من القوة ما يمكن معه أن تبعث وتبلغ أوج حيويتها عند من تتيح الظروف له ذلك من المتأخرين ، ومن ذوى الأصول غير العربية ، وقد وقع ذلك فعلا حيث شهد العلماء لعدد غير قليل من هؤلاء وهؤلاء بكمال الفصاحة ، وسيأتى بعض ذلك .

كما أن ذلك التعميم فى المنع يغفل الفروق بين أنواع النتاج اللغوى من شعر ونثر بمختلف أشكاله من خطب وأحاديث الخ . ولاشك أن بعضا من أشكال ذلك النتاج قد تتطلب طبيعته مستوى من القدرة اللغوية صوابا وفصاحة لا يتطلبه غيره . وأن احتمالات بلوغ الكمال الفنى اللغوى تتفاوت تبعا لتفاوت طبائع تلك الأشكال . فنوط الاحتجاج بمستوى النتاج اللغوى أقرب إلى النظرة العلمية الموضوعية .

وأخيرا فإن ذلك التعميم يسوى — فى منع الاحتجاج بما جاوز النطق المذكورة من النتاج اللغوى - بين مستويات النشاط اللغوى : الأصوات والألفاظ (المتن) والصيغ والتركيب والدلالة . بينما تنبه العلماء منذ وقت مبكر إلى الفروق بينها فى ما يمس أساس الاحتجاج ، وهو درجة ثبات كل منها ، وذلك بالإضافة إلى فروق أخرى بينها فى طبائعها . وأبرز ما يبدو فيه ذلك هو ما بين النحو وسائر المستويات وبخاصة المتن والدلالة .

فأما من حيث الثبات فقد تنبه العلماء من قديم — كالأخفش الأوسط (٢١٠ هـ) وابن جنى (٣٩٢ هـ) ثم ابن خلدون (٨٠٨ هـ) إلى ثبات « الأوضاع اللغوية » أى دلالة الألفاظ على معانيها ، واختلال النحو أى ذهاب الحركات الإعرابية من كلام العامة (١) . وهذا يعنى أنه يمكن

(١) انظر الخصائص ٢ / ٢٨ — ٢٩ حيث رأى الأخفش وابن جنى ، ومقدمة ابن خلدون (واف) ٩/١٢٦٤ - ١١ ، ٩/١٢٨٠ - ٩ ، ٩/١٢٨١ ١٧ .

الإفادة بل والاحتجاج بمدلولات الألفاظ على مااستعملها عليه الذين تجاوزوا نطق الاحتجاج — مع إمكان أن نخصص من بين هؤلاء من يزكى مستوى نتاجهم ذلك .

ومن حيث طبيعة كل منهما (النحو من ناحية والمتن والدلالة من ناحية أخرى) هناك فرق يمس أساس الاحتجاج أيضا وهو خاص بالنمو ووسيلته . فالنحو قواعد استنبطت من نتاج عصر الاحتجاج ، وتم حجمها بحيث لا يزاد عليها إلا ما لا بال له ، فهى محدودة الحجم : كما أنها محدودة التطور ، لأنها قياسية صورية يمكن دائما تطبيقها على أى نتاج دون حاجة إلى زيادة فى القواعد ، أو تطوير يغير جوهرها (١) ، أما اللغة (المتن ودلالته) فهى دائمة النمو ، لأنه دائما تستجد فى الحياة أشياء ومعان تتطلب أسماء وتعبيرات جديدة لتعبر عنها بدقة ، ثم إن اللغة تنمو من داخلها — بالاشتقاق وما إليه — من حيث المتن ، وبتوليد المعانى الجديدة من المعانى القديمة الأصلية بعلاقات مقبولة — من حيث الدلالة (٢) ، وذلك النمو حتمى الوقوع لأنه صدى لتجدد الحياة الحتمى . فالأجدر بنا أن نتخذ من ذلك النمو موقف الاختيار والتقويم : من حيث سلامة الاشتقاق ودقة دلالة الصيغة بالنسبة للنمو فى المتن ، ومن حيث قوة العلاقة المولدة ومنطقيتها بالنسبة للمعانى المولدة . وذلك بدلا من الرفض الشامل الذى لا يناسب طبيعة اللغة .

● والخلاصة أنه إزاء هذه الفروق فإن الموقف العلمى فى هذا الموضوع هو أن ننوط الاحتجاج بمستوى النتاج ، أو أن نخص اللغة — متنا ودلالة — بهذا المعيار ، تاركين النحو للمعايير القديمة .

(١) فى قياسية النحو — دون اللغة — انظر الاقتراح للسيوطى ٩٥ حيث بسط ذلك أبو البركات الأنبارى ومقدمة ابن خلدون (واف) ١٢٧٢ .

(٢) هناك فرق آخر هو أن النحو إذا اختل وترك يمكن الاستعاضة عنه بترتيب أجزاء الجملة أو بالقرائن المختلفة كما هو شائع فى المحادثات العامية أما اللغة فقد تختل ولكن لا تترك تماما ، ولا عوض عنها .

● الشائبة الثانية التى شابت معايير الاحتجاج تلك هى التشدد . ويبدو هذا التشدد فى سمتين : الأولى محاولات التبكير فى تحديد طبقة المولدين : ويتمثل هذا فى موقف أبى عمرو بن العلاء والأصمعى . فأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) يقول فى كلمته المشهورة : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته» يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما(١) وجرير والفرزدق توفيا عام ١١٠ هـ — أى أنهما من شعراء القرن الأول. ويقول الأصمعى إنه جلس إلى أبى عمرو هذا عشر حجج فما سمعه يحتج ببيت إسلامى، وكانت كتبه التى كتب عن العرب قد ملأت بيتا إلى قريب من السقف . » وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية (٢) . فكأن أبا عمرو لم يكن يرى فى غير نتاج الجاهليين اللغوى حجة .

والأصمعى رفض الاحتجاج لقولهم : أبرق الرجل وأرعد ، أى تهدد وأوعد بقول ذى الرمة :

إذا خشيت منه الصريمة أبرقت ... له برقةً من خُلـَّب غير ماطر

حيث جاء بالمصدر على برق، لأن برق وأبرق سواء . رفض الأصمعى ذلك ولم يكن يرى ذا الرمة (١١٧ هـ) حجة . وأنشد بيت الكميت(١٢٦هـ) :

أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لى بضائر

فقال هو جومقانى(٣) » (الجرمقانى واحد جرامقة الشام أى أنباطها) فهو يطعن فى عروبته ، ومن ثم فى فصاحته (٤) . ولا يمنعنا اعترافنا بجلالة هذين الإمامين من أن نلحظ أن صرف النظر عن كل النتاج العربى بعد ظهور الإسلام أو بعد المخضرمين قد يقبل لو كانت التغيرات اللغوية تم

(١) البيان و[illegible] ١/٣٢١

(٢) نفسه .

(٣) لسان العرب (برق) ١١/٢٩٥ .

(٤) انظر أيضاً الشعر والشعراء (شاكر) ١/٣٥ وتخطئة عبد الله بن أبى إسحق للفرزدق وإنباه الرواة ٢/٣٧٥ وتخطئة عيسى بن عمر للنابغة .

فى طفرة . أما وهى لا تتم إلا بعد عقود أو قرون فإن تحديد منتصف القرن الثانى أنسب وأقرب إلى التحفظ غير المسرف من تحديدات أبى عمرو والأصمعى .

السمة الثانية لذلك التشدد تتمثل فى وجوب التقيد بالعبارات التى كانوا يستعملونها داخل النطق فى مقامات معينة . كما يبدو من موقف أبى عمرو إذ قال له رجل : « أكرمك الله» فقال أبو عمرو «محدثة» (١) وهو يعنى أن هذا الدعاء لم يكن مستعملا بنصه هذا فى العصر الأول فى مثل المقام الذى وجه إليه فيه ، وإلا فالفعل مشهور الاستعمال جداً . وقد جاء فى القرآن الكريم : «فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن »(٢) كما أن الأعراب استعملوه : سمع الفراء أعرابيا يقول : «بالفضل ذو أكرمكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله به » (بفتح الباء فى به الأخيرة) (٣) . ولكن كلمة أبى عمرو تعنى أنه كان يرى التقيد أيضا بالمقام الذى تستعمل فيه العبارة لا بالعبارة نفسها فحسب . وعلى ما يقرب من هذا المستوى من التشدد كان الأصمعى يقول : « قولهم جعلت فداك ، وجعلنى الله فداك محدث » (٤) ، والأمر هنا تصرف فى الأسلوب . فقد كان من الشائع قديماً أن يقال فداك أبى ، أو فداك أبى وأمى ، أو فدتك نفسى ، وقال النابغة :

مهلا فداءلك الأقوام كلهم (٥)

فحلوا هذا التعبير إلى جعلنى الله فداك تأكيداً لقصد المعنى ، إذ صرحوا فيه بالدعاء ، ثم بنوه للمفعول فى قولهم جعلت فداك . فهذا هو الجديد الذى

(١) البيان والتبيين ٢/٣١٨ .

(٢) [illegible]

(٣) انظر أوضح المسالك بشرح محيى الدين ١/١٥٥

(٤) البيان والتبيين ٢/٣١٩ .

(٥) انظر لسان العرب (فدى ٢٠/٨–٩) وفيه هذه الاستعمالات وما إليها ، وفيه أيضاً فداء (بتضعيف العين) إذا قال له جعلت فداك — وهو التعبير الذى عده الأصمعى محدثاً — فلعل هذا تعبير لم يؤثر عن العصر الجاهلى وما هو قريب منه ، فعده الأصمعى محدثاً لذلك .

عده الأصمعى محدثاً ، وكأن الأصمعى كان ممن يرون أن المركبات الإسنادية — لا المفردات فحسب — توقيفية أيضاً (١) .

وكان من الطبيعى أن تلك النظرات المتشددة لأبى عمرو والأصمعى لم يكتب لها الهيمنة ، لأنها تضاد طبيعة اللغة والنشاط اللغوى .

* * *

كذلك فإنه نظراً لما شاب هذه التحديدات لنطق الاحتجاج من حيث إغفالها أمراً وارداً — وقد وقع — وهو إمكان الوصول بالنتاج اللغوى إلى مستوى يضارع نتاج عصور الاحتجاج ، مما يكسب الاحتجاج بمثل ذلك النتاج الرفيع أيضاً — مشروعيته ، ومن حيث إغفالها خصيصة للغة (المتن والدلالة) تميزها من النحو وهى ثبات الأوضاع اللغوية — مما يوجه الاحتجاج بالاستعمالات المتأخرة ، لأنها امتداد حقيقى أو فرعى للاستعمالات القديمة .

ومن حيث إن إيقاف الاحتجاج على نتاج الحقبة التى حددوها يعنى الحكم بإيقاف نمو اللغة فى متنها ودلالتها عند الحد الذى وصلت إليه فى تلك الحقبة — وذلك شىء يضاد طبيعة اللغة التى تجارى تجدد الحياة مجاراة حتمية . . نظراً لذلك كله واعترافاً به فقد وقعت من الأئمة اللغويين فى احتجاجاتهم اللغوية تجاوزات متنوعة لنطق الاحتجاج . . نتناول حديثها فيما يلى .

(١) انظر المزهر ١/٤٠ ونعنى بالتوقيف وضع اللغة مطلقاً .

الباب الخامس

الاحتجاج بما جاوز النطاق القبلى
وبما جاوز النطاق المكانى

أسلفنا أن معيار الاحتجاج بنطقه المتعددة قد روعى بصورة كبيرة فى أعمال النحاة واللغويين ، حيث تجنبوا الاحتجاج بما جاوز نطق ذلك المعيار . ولكن نظرا لما شاب تحديد تلك النطق من عموم أغفل ما يبرر قبول بعض ما يجاوزها — وقد فصلناه منذ سطور — فقد وقعت تجاوزات متنوعة لتلك النطق حيث وقع — فعلا — الاحتجاج بشعراء من غير القبائل والأماكن والحدود الزمنية التى حددوها . ونقصر الحديث هنا عن تجاوز النطاق القبلى والنطاق المكانى .

لقد مر بنا قول الفارابى إنه لم يؤخذ عن حضرى قط . . ثم حدد قبائل أطراف الجزيرة الذين لم يؤخذ عنهم ومن هذه القبائل لخم ، وجذام ، وقضاعة ، وغسان ، وإياد ، وتغلب ، وبكر ، وعبد القيس ، وأزد عمان ، وحنيفة ، وثقيف ، كما ذكر سكان اليمامة وأهل اليمن . كما حدد أماكن بعينها بالإضافة إلى ما أجمله فى كلمة الحواضر وأطراف الجزيرة : كاليمن ، والبحرين ، واليمامة ، والطائف ، وحاضرة الحجاز . ولكن التمحيص التطبيقى يكشف غير هذا الذى قاله الفارابى : فنحن نجد فى معجم لسان العرب — الجامع لثلاثة من أصل معاجمنا التهذيب والصحاح والمحكم — بالإضافة إلى النهاية فى غريب الحديث وتحقيقات ابن برى — احتجاجات لغوية بأشعار شعراء كثيرين من تلك القبائل التى قال الفارابى إنها لم يؤخذ عنها . فنجد من قضاعة : وعلة الجرمى (وجرم بطن من قضاعة) له فى اللسان ستة أبيات

استشهد بها فى سبعة تراكيب (١) ، وعبد الله بن العجلان النهدى — (نهد بطن من قضاعة) لهبيتان فى تركيبى غيل وسقى (٢) ، وله شاهد فى جدل أيضا ، هذا بالإضافة إلى شقران مولى سلامان من قضاعة ، وله ثلاثة أبيات فى تركيبى غذم وذلا (٣) ، ومن غسان : نجد عدى بن الرعلاء الغسانى له ثلاثة أبيات فى تركيب موت (٤) ، وعبد المسيح بن نقيلة الغسانى له أربعة عشر بيتا فى تركيبى سطح ، ثكن (٥) ، والخرع بن سنان الغسانى له ثلاثة أبيات فى تركيب حسد (٦) ، ومن إياد هناك للحارث بن دوس الإيادى شاهد فى بقل (٧) ، وللقيط بن يعمر الإيادى ثلاثة أبيات فى أربعة تراكيب (٨) ، ولأبى دؤاد ١٣٦ بيتا فى أكثر من مئة تركيب (٩) ، ومن تغلب هناك الأخنس بن شهاب سبعة أبيات فى ستة تراكيب (١٠) . ولأفنون التغلبى عشرة أبيات فى ستة مواضع (١١)، وأما الأخطل المشهور فله أربعة أبيات وثلاثمائة بيت فى أكثر من مئة تركيب (١٢) . ومن حنيفة هناك لعبد الله بن ثعلبة الحنفى أربعة أبيات فى تركيبين (١٣) . ومن ثقيف هناك لابن الذنبة شاهد فى عزم (١٤) ، وكذلك لأبى الصلت الثقفى فى عزم (١٥) ، ولعبد الله بن نمير أربعة أبيات فى أربعة تراكيب (١٦) . ولأمية بن أبى الصلت أربعة وتسعون بيتا فى أكثر من تسعين موضعا (١٧). وبالنسبة للحواضر التى ذكر الفارابى أنه لم يؤخذ عن أحد منها قط نجد أن محمد بن سلام عين تلك الحواضر (ليبين من اختارهم من فحول شعرائها) ومنها المدينة ومكة والطائف والبحرين واليمامة .

(١) هذه المعلومات من معجم الشعراء فى لسان العرب د. ياسين الأيوبى ترجمة رقم ١١٥١ وفيه أيضاً تحديد التراكيب التى فيها تلك الشواهد .

(٢) نفسه ترجمة رقم ٦٥٥

(٣) نفسه ترجمة رقم ٥٤٠

(٤) نفسه ترجمة رقم ٦٩١ .

(٥) نفسه ترجمة رقم ٦٦١

(٦) نفسه ترجمة رقم ٣١٢ .

(٧) نفسه ترجمة رقم ٢٢٦

(٨) نفسه ترجمة ٩١١ .

(٩) نفسه ترجمة ٣٥٣ .

(١٠) نفسه ترجمة ٢٠ .

(١١) نفسه ترجمة ٦٨ .

(١٢) نفسه ترجمة ١٩

(١٣) نفسه ترجمة ٦٤١ .

(١٤) نفسه ترجمة ٣٤٩ .

(١٥) نفسه ترجمة ٥٦٨ .

(١٦) نفسه ترجمة ٦٥٨ .

(١٧) نفسه ترجمة ٧٥ .

● ونجد أن من شعراء المدينة حسان بن ثابت ، وابنه ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقيس بن الخطيم ، وأبا قيس بن الأسلت وغيرهم ، وقد احتج بأشعار هؤلاء جميعاً فى لسان العرب .

● وأن من شعراء مكة عبد الله بن الزبعرى ، وأبا طالب بن عبد المطلب ، والزبير بن عبد المطلب ، والعباس رضي الله عنه ، وضرار بن الخطاب الفهرى ، وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ... وقد احتج بشعر كل منهم فى لسان العرب .

● وأن من شعراء الطائف أبا الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ، وأمية بن أبى الصلت ، وأبا محجن الثقفى ، وغيلان بن سلمة ... ولكل منهم شعر احتج به فى اللغة فى لسان العرب .

● وأن من شعراء البحرين المثقب العبدى ، والممزق العبدى ، والمفضل النكرى .... وقد احتج بشعر كل منهم فى اللغة فى لسان العرب .

● وأن من شعراء الحيرة وما حولها عبد المسيح بن عسلة ، وعبيد بن الأبرص ، وأوس بن حجر ، والمتلمس ، ولقيط الإيادى ، ومنهم أيضاً أبو دواد الإيادى وعدى بن زيد العبادى — وقد مر بنا ما قيل فى كل منهما لإقامته فى الحيرة . ولكن هؤلاء جميعاً لهم شعر فى لسان العرب إحتج به فى اللغة ، ولأبى دواد وحده ستة وثلاثون ومئة بيت ، ولعدى بن زيد وحده مئتا بيت فى لسان العرب .

● ومن شعراء الكوفة الكميت والطرماح — وقد مر بنا ماقيل فيهما وللطرماح وحده خمسة عشر وثلاثمائة بيت ، وللكميت وحده خمسمائة بيت تقريباً فى لسان العرب . ولذى الرمة — وقد قيل فيه بسبب تردده بين البصرة والكوفة — نحو ألف بيت .

● وأن من شعراء اليمن أصلا أو موطنا الأفوه الأودى . والأسعر الجعفى ، وعمرو بن قعاس المرادى ، وعمرو بن معدى كرب ، وامرأ

القيس بن عابس . ولكل منهم شعر يحتج به فى اللغة فى لسان العرب (١) .

ومن الأمانة أن أبين أننى لم أقصد الحصر والإحاطة سواء فيما ذكرته من شعراء القبائل أو فيما ذكرته من شعراء الحواضر التى قيل إنها لم يؤخذ عنها ، ومن المرجح جدا أن هناك آخرين من هؤلاء وهؤلاء وقع الاحتجاج بأشعارهم فى اللغة فى معجم لسان العرب .

(١) تحققت من وجود شواهد لكل من هؤلاء فى لسان العرب بمراجعة ما ذكر فى « معجم الشعراء فى لسان العرب » على اللسان . أما تحديد نسبتهم إلى الحواضر التى نسبوا إليها فقد أخذتها من طبقات فحول الشعراء ومن تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين الجزء الثانى من المجلد الثانى . ومن تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان .

الباب السادس

الاحتجاج بما جاوز النطاق الزمنى

لا يخفى أن النطاق الزمانى — الذى هو الوقوف بعصر الاحتجاج عند أواسط القرن الثانى للهجرة — هو أبقى نطق الاحتجاج أثرا ؛ لأن النطق القبلية والمكانية توقف أثرها عند ما وقع فعلا من الاحتجاج أو عدمه ، بل إن « إعادة النظر » فيها محدودة الأثر بالنتاج الذى وقع فعلا . أما النطاق الزمنى فهو ما زال يؤثر فينا إلى يومنا هذا لأنه يمنع أى تجديد فى اللغة أو إضافة إلى ما كان فيها عند أواسط القرن الثانى للهجرة . ومع تجدد الحياة والفكر تجددا لا يحد فى كل منهما تتجسم مشكلة اللغة التى يريد النطاق الزمنى لها أن تظل إلى يوم القيامة تعبر عن الحياة والفكر مهما تجدد بنفس الألفاظ والعبارات التى كانت مستعملة منذ العصر الجاهلى إلى أواسط القرن الثانى فقط — مع استثناءات محدودة جدا(١) . ومن هنا خصصنا هذا الباب لتجاوز النطاق الزمانى .

ولما كانت هذه التجاوزات الزمانية كثيرة ، ولم يكن بالوسع الاستغناء عن بعضها . أو الإيجاز فى عرضها ، خشية أن يكتنف الغموض أو الشبه حقيقة هذه التجاوزات التى تقوم عليها المطالبة بتعديل معيار الاحتجاج بالكلام . فقد قسمتها إلى فصول مرتبطة بالقرون التى توفى فيها الشعراء الذين احتج بشعرهم بعد النطاق الزمنى .

(١) تتمثل هذه الاستثناءات فى قياسيات اللغة كالمشتقات القياسية (اسم الفاعل ، واسم مفعول و سما الزمان والمكان .) وسائر الأحكام القياسية .

وقد أخذت بأشهر ما قيل وأبرزه بشأن بداية عصر المولدين ، وهو ما بعد رؤبة (١٤٥ هـ) وابن ميادة (١٤٩ هـ) ، وابن هرمة (١٥٠هـ)، وحكم الخضرى (نحو ١٥٠ هـ) ، ومكين العذرى (١٦٠ هـ) وأن بشارا المتوفى (١٦٧ هـ) هو أول المولدين . ومن هنا فقد عددت المتوفين بعد (١٦٧ هـ) من المولدين — ما عدا من ترجح اعتداده من غير المولدين كالحسين بن مطير المتوفى (١٧٠ هـ) فقد استبعدته لأن المرزبانى ذكره مع غير المحدثين(١) ، وقد استشهد بشعره كثيرا فى متن اللغة وما إليه (٢) وفى النحو وما إليه (٣) ، وكأبى حية النميرى الذى قيل إنه توفى ١٨٣ هـ وقيل فى آخر خلافة المنصور (١٥٨ هـ) ، ولكن المرزبانى ذكره مع غير المحدثين (٤) ، وله شواهد كثيرة فى كتب اللغة والنحو (٥)، وكالفضل ابن عبد الرحمن (المتوفى نحو ١٧٣ هـ) وذلك لأنه معرق جداً فى طبقة مخضرمى الدولتين إذ ولد قبل ٧٠ هـ ، وكذلك لأن عبد الله بن أبى اسحاق قد احتج بشعره على ما حكى سيبويه (٦) ، وذكرت بين المولدين مطيع ابن إياس المتوفى (١٧٠هـ) ، لأن أبا عبيدة ذكر أنه مولد .

(١) انظر الموشح (السلفية) ٢٠٩ حيث ذكره ثم ذكر بعده « جماعة من شعراء الإسلام » ثم بدأ يذكر الشعراء المحدثين فى ص ٢٢٣ بادئاً ببشار بن برد .

(٢) له شواهد فى عشرة تراكيب فى اللسان (خدج ، خرخ ، عرج ، هزلج ، كدر ، غمض ، حمظ ، مبع ، مشق ، سهم)

(٣) انظر الخزانة (بولاق) ٢/٤٧٣ والأشمونى مع الصبان ١/٢٣١ ، والتصريح ١/١٨٧ ، ومجالس ثعلب ٢٦٥ .

(٤) الموشح (السلفية) ٢٠٦ وانظر عنه الخزانة (بولاق) ٣/١٥٤ ، ٤/٢٨٣ – ٢٨٥ ، والأعلام ٨/١٠٣ – ١٠٤ والمراجع التى ذكرها .

(٥) انظر معجم شواهد العربية ٥٩٤ ثم الصفحات والمواضع التى أشار إليها .

(٦) انظر عنه الأعلام ٥/١٥٠ والمراجع التى ذكرها ، والبيت الذى احتج به من شعر عبد الله بن أبى إسحاق هو (فإياك إياك المراء الخ) فى الكتاب (هرون) ١/٢٧٩ .

الفصل الأول

شعراء أواخر القرن الثانى الذين احتج بشعرهم

١ — بشار بن برد المتوفى (١٦٧ هـ) (١)

قال عنه الأصمعى : « بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم » (٢) وكرر شهادته له ، كما شهد له أبو عمرو بن العلاء ، وأبو زيد ، وأبو عبيدة ، وغيرهم (٣) وقال الجاحظ : « والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى ، والسيد الحميرى ، وأبو العتاهية . وقد ذكر الناس فى هذا الباب يحيى بن نوفل وسلما الخاسر ، وخلف بن خليفة . وأبان بن عبد الحميد أولى بالطبع من هؤلاء ، وبشار أطبعهم كلهم » (٤) وقال : « ليس فى الأرض مولد قروى يعد شعره فى المحدث إلا وبشار أشعر منه » (٥) [illegible]

ولهذا ونحوه قال صاحب الأغانى : « ومحله فى الشعر ، وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ، ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغنى عن وصفه . وإطالة ذكر محله » (٦) وقد أرجع هو فصاحته إلى نشأته فى [illegible]

(١) [illegible]

(٢) الأغانى ٣/١٤٣ ، ١٥٠ .

(٣) انظر الأغانى ٣/١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ — ١٥٠ .

(٤) البيان والتبيين ١/٥٠

(٥) الحيوان ٤/٤٥٤

(٦) الأغانى ٣/١٣٥

حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، ونساؤهم أفصح منهم ، ثم بخروجه إلى البادية حين أيفع إلى أن أدرك (١) .

أولا : الاحتجاج بشعره فى متن اللغة وما إليه :

— عد الإمام أبو عبيـــد القاسم بن سلام (٢٢٤)ھ بيتاً لبشار من أمثال العرب قال : « ومن أمثالهم فى ترك العتاب قول الشاعر :

وليس عتابُ الناس للمرء نافعا إذا لم يكنْ للمرء لب يعاتبه(٢)

والشاعر هو بشار (٣) .

— واحتج بشعره الإمام اللغوى أحمد بن فارس(٣٩٥) ھ فقال فى المجمل (كرد) « والكرد » (بالضم) هؤلاء القوم (يعنى ذلك الجنس المعروف) قال :

ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد (٤) .

وقال المحقق إن البيت ينسب لبشار وهو فى ملحق شعره (٥) .

— ووقع الاحتجاج بشعر بشار فى لسان العرب فى تراكيب (برأ ، هجأ ، ريب(له أو للمتلمس)، وتد، رفض ، لحف ، دهل ، نزا — أو هذا لنصيب) (٦) .

— فمن ذلك: « الواتد : الثابت . . ويقال: وتّد فلان رجله فى الأرض (بتضعيف عين الفعل) إذا ثبتها . وقال بشار :

(١) انظر الأغانى ٣/١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) كتاب الأمثال لأبى عبيد تحقيق د. قطامش ١٨٣

(٣) انظر توثيق المحقق له فى موضعه المذكور (كتاب الأمثال ١٨٣)

(٤) المجمل لابن فارس تحقيق زهير سلطان ٧٨٣ .

(٥) انظر الموضع السابق .

(٦) معجم الشعراء فى لسان العرب ٨٣ وقد راجعت تلك المواضع وبينت محتمل العزو ، وبعضها الاحتجاج فيه توكيدى مثل ماق (لحف) .

ولقد قلتُ حين وتّدَ فى الأرض ثبيرٌ أربى على ثهلان (١) .

— ومنه قوله : « ورفض الشىء (بالتحريك) جانبه ، ويجمع أرفاضاً ، قال بشار :

وكأن رَفَضَ حديثها قطعُ الرياض كُسِين زهراً(٢) . ھ.

ثانياً : الاحتجاج بشعر بشار فى النحو (٣) وما إليه :

(أ) جاء فى شرح الكافيــة الشافية لابن مالك (٦٧٢) ھ الاستشهاد ببيت بشار :

رِدُوا ، فوالله ما ذُدناكم أبداً ما دام فى مائنا وِرْدٌ لنُزال

على أن جواب القسم — إذا أريد نفيه — قد ينفى بما ، كما قد ينفى بإن أولا (٤) .

(ب) وفى شرح الرضى الاستراباذى (٦٨٦) ھ للكافية فى روابط الحال الواقعة جملة جاء بقول بشار :

(١) اللسان (وتد) ٤/٤٥٧ سطر ١٥ — ١٨ .

(٢) اللسان (رفض) ٩/١٧ — والفاء فى (رفض) فى البيت ينبغى — عروضيا — أن تكون ساكنة ، ولكن الشاهد جىء به على أن تكون متحركة فهكذا ضبط فى اللسان ، ويدل لهذا الضبط جمع الكلمة على (أرفاض) لأن (فعل) الساكنة العين لا تجمع على أفعال إلا نادرا ، وقد جىء بالشاهد فى التاج ٥/٣٥ فى سياق التحريك أيضاً . والذى جاء فى ديوان الأدب محركاً « إبل رفض إذا تركت ترعى وتبدد فى مراعيها » لا غير ١/٢١٦ وقد ذكر هذا فى اللسان والتاج أيضاً ، والذى جاء فيه فى (فعل) بسكون العين الرفض أقل من الجرعة وهو الماء القليل ١/١١٥ . وليس اللفظ بالتحريك والمعنى المذكور فى الصحاح ولا فى التهذيب ١٢/١٥ . وأيا ما كان فهذا استشهاد لغوى صحيح بشعر بشار وهو المقصود .

(٣) نقصد بالنحو هنا معناه العام الذى يشمل الصرف أيضاً . (انظر شرح الرضى لشافية ابن الحاجب ١/٦) .

(٤) شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق د. عبد المنعم هريدى (ط مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى)٢/٨٤٣ — ٨٤٤ ولم ينسبه المحقق ، وهو فى معجم الشواهد منسوب لبشار وذكر أنه فى الخزانة ٤/٢٧٥ عرضا ، وفى شرح الشواهد للعينى ٣/٦٥٢ ، وفى الهمع ٢/٣١ ، والدرر اللوامع ٢/٢٧ والأشمونى ٢/٢٠٩ .

إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها ∴ خرجتُ مع البازى علىَّ سواد

شاهدا لوقوع الضمير الرابط فى صدر الجملة الخبرية وهذا الصدر خبر مقدم على مبتدئه . وحكم بأن تجرد مثل هذه الجملة الحالية عن واو الحال (كما هو هنا) ليس ضعيفاً (١) .

— ونسب إلى سيبويه أنه احتج بشعر لبشار توقياً لهجائه (٢) .

٢ — مطيع بن إياس المتوفى (١٧٠هـ) (٣)

(١) أولا فى متن اللغة وما إليه :

— جاء فى اللسان (خشش) «.. وقالوا فى المرأة خَشَّة (بالفتح) كأن هذا اسم لها : قال ابن سيدة : أنشدنى بعض مَنْ لقيته لمطيع بن إياس :

نحِّ السوءة السوآء يا حمـاد عن خَشَّهْ

عن التفاحة الصفراء والأترجة الهَشَّهْ » (٤)

— وجاء فيه (حلا) « .. وحلوان اسم بلد .. وقال مطيع بن إياس :

أسعدانى يا نخلتى حلوان ∴ وابكيالى من ريب هذ الزمان (٥)

❊ ❊ ❊

(١) انظر شرح الكافية ١/٢١١ .

(٢) انظر الأغانى (ساسى) ٣/٣٠٩ — ٣١٠ والموشح (ط ٢) ٢٢٣ — ٢٢٤ ، والاقتراح للسيوطى ٧٠ ، والقياس للشيخ محمد الخضر ٣٥ ، وإتحاف الأمجاد ٧٤ . وقد راجعت فهارس الكتاب (ط هارون) ، ومعجم شواهد العربية ، وكتاب شواهد الشعر فى كتاب سيبويه د. خالد عبد الكريم جمعه ١٠١ — ٢٢٦ (الباب الأول) ، ٢٤١ — ٢٦٨ (الفصل الأول من الباب الثانى) فلم أقع على شعر لبشار فى الكتاب .

(٣) انظر عنه الأغانى (الدار) ١٣/٢٧٦ — ٣٣٦ وهو من مخضرمى الدولتين وكان أبوه شاعراً . ولمطيع شعر جيد إلا أن مجونه فى حياته نصح على كثير من شعره .

(٤) ل (خشش) ٨/١٨٧ .

(٥) ل (حلا) ١٨/٢١١ — ٢١٢ .

ثانياً : فى النحو وما إليه :

— جاء فى المغنى لابن هشام فى الكلام عن « مع » وأنها تأتى مفردة (أى غير مضافة) فتكون حالا .. ، وهى فى الإفراد (أى فى هذه الحالة) بمعنى جميعاً عند ابن مالك ، وهو خلاف قول ثعلب : « إذا قلت : « جاءا جميعاً » احتمل أن فعلهما فى وقت واحد ، أو فى وقتين ، وإذا قلت « جاءا معاً » فالوقت واحد » اهـ قال ابن هشام ، وفيه نظر ، وقد عادل بينهما مَنْ قال (وهو مطيع بن إياس) :

كنت ويحيى كيدى واحد ∴ نرمى جميعاً ، ونُرامَى معا » (١) اهـ

والبيت فى الكامل والأغانى وغيرهما (٢)

— ونسب إليه شاهد آخر (٣)

٣ — خلف بن حيان الأحمر (المتوفى نحو ١٨٠ هـ) (٤)

قال عنه أبو عبيدة : « خلف الأحمر معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة » ، وقال الأخفش : « لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف والأصمعى (٥) » وقال عنه ابن قتيبة : « كان عالما بالغريب والنحو والأخبار ، شاعرا كثير الشعر جيده ، ولم يكن فى نظرائه مَن أهل العلم أكثر شعرا منه (٦) » .

(١) المغنى (محيى الدين) ٣٣٣ — ٣٣٤ .

(٢) البيت فى الكامل (أبو الفضل والسيد شحاته) ٤/٩٢ (بكسر ميم نرامى) ، وفى الأغانى (الدار) ١٣/٣٠٨ (وترانا معا) وفى أمالى القالى ٣/١٨ منسوباً إلى من اسمه محمد من بنى مخزوم بسند غير مقنع (ونرامى بفتح الميم) .

(٣) فى المجاز لأبى عبيدة ٢/١٦٩ بيت نسبه محققه لمطيع بن إياس . وسيأتى فى الاحتجاج بشعر التيمى .

(٤) انظر عنه الشعر والشعراء رقم ٩١٢/ص ٧٨٩ وإرشاد الأريب ٤/١٧٩ وإنباه الرواه ١/٣٤٨ والأعلام ٢/٣١٠ وما أحالت إليه المراجع (الأول والأخيران) .

(٥) انظر إرشاد الأريب ٤/١٧٩ .

(٦) الشعر والشعراء ٧٨٩ .

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

– جاء فى لسان العرب : « زها يزهو زَهْوا (بالفتح) أى تكبر. ومنه قولهم : ما أزهاه . . . قال الأحمر النحوى يهجو العتبى والفيض ابن عبد الحميد :

لنا صاحب مولَع بالخلاف .·. كثير الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخُنفساء .·. وأزهى إذا ما مشى من غراب(١)

– وقد ذكر الزمخشرى فى « المستقصى فى أمثال العرب » عند حديثه عن المثل « ألج من الخنفساء » بيتى خلف السابقين (٢).

ثانيا : فى النحو وما إليه :

– ذكر سيبويه قول خلف :

ومنهل ليس له حَوازِق .·. ولضفادى جمه نقانق

شاهدا لإبدال الياء من العين فى كلمة ضفادع للضرورة . (٣)

– وكذلك استشهد به المبرد فى المقتضب (٤)، ودار ذلك الشاهد فى عدة مؤلفات نحوية وصرفية أخرى(٥) بالإضافة إلى لسان العرب (حزق). ولايقدح القول بأنه مصنوع فى وقوع الاستشهاد (٦)

– واستشهد ابن جنى بقول خلف :

فهن يعلُكْنَ حدائداتها

(١) ل (زها) ١٩/ ٨٠ .

(٢) العائق (أبو الفضل) ٣/ ٤١٩ .

(٣) انظر الكتاب (هارون) ٢/ ٢٧٣ .

(٤) انظر المقتضب (المجلس الأعلى) ط ٢ = ١/ ٣٨٢ .

(٥) انظر شرح المفصل) ١٠/ ٢٤ ، ٢٨ وشرح الرضى للشافية ٤/ ٤٤١، والأشمونى ٤/ ٣٣٧ والدرر ٢/ ٢١٣ .

(٦) انظر تعليق العلامة هارون فى الكتاب ٢/ ٢٧٣ .

لجمع الجمع (١) وجىء به فى اللسان (حدد) ، (دوم) أيضا .

– وهناك شاهد اتهم هو بوضعه ، وآخر نسب إليه سهوا (٢) .

٤ – أبو عطاء السندى المتوفى (١٨٠ هـ) (٣)

– قيل عنه فى أكثر من موضع فى معجم لسان العرب إنه كان فصيحاً (٤)

أولا : فى متن اللغة وما إليه .

وقع الاحتجاج بشعر أبى عطاء السندى فى خمسة تراكيب أو ستة فى معجم « لسان العرب » (حبب ، عهد ، رخف ، عوف (أو هذا لحماد) . أتم . زها) (٥) .

– ونبدأ بما فى (أتم) لأن الاحتجاج بشعر أبى عطاء السندى فى هذا التركيب سبق به ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) أصحاب المعاجم المحتواة فى لسان العرب . إذ جاء به ابن قتيبة معرض تخطئته الناس فى تخصيصهم «المأتم» بالمصيبة وقولهم كنا فى مأتم ، حيث يرى هو أن المأتم إنما هو النساء يجتمعن فى الخير أو الشر (٦) قال : « والصواب أن يقولوا كنا فى مناحة . . . قال الشاعر :

(١) انظر الخصائص ٣/ ٢٣٦ .

(٢) الذى اتهم بوضعه شعر فيه صوغ فُعال من أسماء الأعداد إلى عشرة وهو فى الخزانة (هارون) ١/ ١٧٠ وفى معجم الشواهد ٣٨٩ أنه ذكر فى الهمع ١/ ٢٦ والدرر ١/ ٨ والذى نسب إليه سهواً ماجاء فى معجم الشواهد ٥٠١ قافية التلف وهو فى الحيوان ٣/ ٤٩٢ والشعر والشعراء ٧٨٩ لأبى نواس فى رثاء خلف .

(٣) انظر عنه فوات الوفيات (محيى الدين) ١/ ١٣٤ — ١٣٧ ، وتاريخ التراث (الشعر) ٣/ ٢٥٣ ومصادر ترجمته التى ذكرها .

(٤) انظر لسان العرب « أتم » ١٤/ ٢٦٩ سطر ١٠ ، « عهد » ٤/ ٣٠٧/ ٢٥ .

(٥) « معجم الشعراء فى لسان العرب » ٢٨٧ مع « التمام » فى مجلة المجمع العلمى العراقى مجـ ٣٢ ص ٥٢٤ وقد حققت تلك المواضع وبينت المحتمل .

(٦) أدب الكاتب (الدالى) ٢٤ .

عشية قام النائحات وشققت .. جيوبٌ بأيدى مأتم وخدود .

أى بأيدى نساء » (١) اهـ .

ووضح مما ذكره ومن تفسيره « المأتم » فى البيت « بالنساء » أنه يحتج بالبيت على استعمال كلمة مأتم فى تجمع النساء ، وهذا التجمع هنا فى مصيبة ، ثم ذكر شاهدا آخر على استعمال المأتم فى تجمع النساء لغير مصيبة (٢) .

— وقد استشهد أبو إبراهيم الفارابى (٣٥٠ هـ) فى معجمه ديوان الأدب بالبيت نفسه فى معرض تعميم معنى المأتم (٣) .

والبيت نفسه ذكر فى اللسان — عن الجوهرى — شاهدا فى المسألة عينها (٤) .

— وجاء فى لسان العرب (عهد) « ويقال للمحافظ على العهد متعهد . ومنه قول أبى عطاء السندى — وكان فصيحا — يرثى ابن هبيرة :

وإن تُمس مهجورَ الفناء فربما .. أقام به بعد الوفود وفود

فإنك لم تبعُد على متعهد .. بلى كل من تحت التراب بعيد

أراد (بقوله متعهد) محافظ على عهدك بذكره إياك » (٥) اهـ

ثانيا : فى النحو وما إليه :

— جاء فى شرح جمل الزجاجى لابن عصفور (٦٦٩ هـ) بشأن تأنيث الفعل أو تذكيره مع فاعله جمع السلامة « وأبو على الفارسى يفصل فيقول :

(١) نفسه . وقد وثق المحقق نسبة البيت .

(٢) نفسه ٢٤ — ٢٥ .

(٣) انظر ديوان الأدب ١٦٨٤ .

(٤) انظر لسان العرب « أتم » ١٤/٢٦٨ — ٢٦٩ .

(٥) اللسان (عهد) ٤/٣٠٧ — ٣٠٨ .

إن وقع جمع السلامة على مذكر فالإخبار عنه إخبار المذكر ، وإن وقع على مؤنث فخبر عنه إخبار المؤنث و مذكر بدليل قول الشاعر « عشية قام النائحات وشققت » البيت ، وقوله عز وجل « إذا جاءك المؤمنات » (الممتحنة ٢) ثم زعم ابن عصفور أن ذلك لم يكثر كثرة توجب القياس (١) . وقد مر بنا منذ قليل أن هذا البيت لأبى عطاء السندى .

— وجاء فى المغنى لابن هشام (٧٦١ هـ) فى الكلام عن الجملة التابعة لجملة لها محل « قيل : ومن ذلك قوله (يعنى أبا العطاء السندى) :

ذكرتك والخَطّىُّ يخطر بيننا .. وقد نهلت منا المثقَّفة السُّمْرُ

فإنه أبدل « وقد نهلت » من قوله « والخطى يخطر بيننا » بدل اشتمال » اهـ (قال ابن هشام) وليس متعينا لجواز كونه من باب النسق على أن تقدر الواو للعطف . ويجوز أن تقدر واو الحال . وتكون الجملة . . من فاعل ذكرتك على المذهب الصحيح فى جواز ترادف الأحوال . . » (٢) :

— وجاء فى المساعد لابن عقيل (٧٦٩ هـ) وهو شرح لتسهيل الفوائد لابن مالك :

(ويعاقب الإفراد التثنية فى كل اثنين لا يغنى أحدهما عن الآخر) وذلك كالعينين والأذنين فتقول عيناه حسنة ، وعينه حسنتان ، وعينه حسنة ، والأصل عيناه حسنتان . وظاهر كلام المصنف أن ذلك مقيس . وزعم بعضهم أنه غير مقيس ، وأنه إنما جاء فى الشعر . فمن الأول قوله (يعنى امرأ القيس :

لمن زُحلوقة زلّ .. بها العينان تنهل

ومن الثانى قوله :

إذا ذكرت عينى الزمانَ الذى مضى

بصحراء فَلْج ظلتا تكِفان .

(١) انظر شرح جمل الزجاجى بتحقيق د. صاحب أبوجناح ٢/٣٩٣ .

(٢) المغنى لابن هشام (محيى الدين) ص ٤٢٦ .

ومن الثالث قوله (يعني أبا العطاء السندى) :

ألا إن عينا لم تجد يومَ واسط
عليك بجارى دمعها لجمود (١)

ومن الرابع قوله (يعني ذا الرمة) :

وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالألباب مانفعل الخمر (٢)

اهـ . ولنا أن نلحظ أن ابن عقيل جاء ببيت أبي عطاء السندى لمسألته وحده أي ليس معه شاهد آخر ، وأنه عرضه في نفس معرض بيت امرىء القيس قبله . وذى الرمة بعده دون إبداء أي فرق في مستوى الاستشهاد .

٥ – عقيل بن بلال بن جرير (٣)

احتج بشعره أبو سليمان الخطابى (٣٨٨) هـ فجاء في غريب الحديث له : « يروى عن ابن عباس أنه ذكر علياً (رضى الله عنهم) فأثنى عليه وقال : « علمى إلى علمه كالقرارة في المثعنجر » أي كالغدير في البحر . وأصل القرارة : الموضع المطمئن من الأرض يستقر فيه ماء المطر .

قال عقيل بن بلال بن جرير :

وما النفس إلا نطفةٌ بقرارة
إذا لم تكدَّرْ كان صفوا غديرُها) (٤) اهـ

(١) قال محقق المساعد ١/٧٣ في تعليقه هنا إن البيت لأبي عطاء السندى . وأحال إلى معجم شواهد العربية ١/١٠٣ .

(٢) المساعد . تحقيق د. محمد كامل بركات ١/٧٣ .

(٣) قيل عنه إنه شاعر مقل ، وأبوه بلال كان أفضل أولاد جرير وأشعرهم (الشعر والشعراء ٤٦٤ والفهرست ١٥٩) ولم أعثر على تحديد زمن وفاته . ولكن جده جريرا توفى (١١٠هـ) وأبوه بلال توفى نحو (١٤٠ هـ) (الأعلام ط ٤ ج ٢/٧٢) ، وابنه عمارة ابن عقيل توفى (٢٣٩ هـ) وسيأتى ، فرجحت أنه توفى بين (١٧٠ - ٢٠٠ هـ) فيكون ابنه عمارة عاش بعده بين أربعين وسبعين سنة) وانظر عنه الفهرست ١٥٩ وتاريخ التراث العربي مجلد الشعر ٣/٧٢

(٤) غريب الحديث للخطابى تحقيق عبد الكريم العزباوى ٢/٢٠٢ .

– واحتج جار الله الزمخشرى في الفائق ببيت عقيل هذا في القرارة (١) . وكذلك ابن الأثير في النهاية (٢) .

٦ – مروان بن أبي حفصة (١٨٢) هـ

(قال خلف الأحمر ويونس عن بعض قصائده إنه فيها أشعر من الأعشى ، وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء . وما دون لأحد بعده شعراً) (٣) .

في متن اللغة :

جاء في لسان العرب (زمل) « والزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه . قال ابن برى : وهجا مروان بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة قوماً من رواة الشعر فقال

زواملُ للأشعار لا علم عندهم ... بجيِّدها إلا كعلم الأباعر
لعمركَ ما يدرى البعيرُ – إذا غدا ... بأوساقه أو راح – ما في الغرائر (٤)

– وقد جاء له المبرد بقصيدة أولها :

إن الغوانى طالما قتَّلننا ... بعيونهن ولا يدين قتيلا

وفسر غامض ألفاظها ، وحلل بعض ما فيها من مسائل النحو والصرف (٥) .

(١) الفائق تحقيق (محمد أبى الفضل) ٣/١٨١ .

(٢) النهاية تحقيق د. محمود الطناحى ٤/٣٨ .

(٣) انظر الأغانى (الدار) ١٠/٨١ – ٨٢ ، ٩٠ .

(٤) ل (زمل) ١٣/٣٣٠ .

(٥) الكامل (بتحقيق الشيخ إبراهيم الدلجموني) ٢/٢١٣ – ٢١٥ ومما حله من مسائل النحو جواز إسناد الفعل ضمن في نحو ضمن القبر زيدا إلى كل من زيد والقبر وذلك تعليقا على قول مروان ضمن أحور ، كما حل تصريف الفعل اللفيف بمناسبة قول مروان « ولا يدين قتيلا

٧ – المؤمل بن أميل المحاربي المتوفى نحو (١٩٠) هـ

(جاء عنه في الأغاني : « وهو صالح المذهب في شعره ، ليس من المبرزين الفحول ، ولا من المرذولين ، وفي شعره لين ، وله طبع صالح » وفيه أن أبا جعفر المنصور استحسن شعره و[illegible](١)) .

في النحو وما إليه :

احتج به الرضي الأستراباذي في شرحه لكافية ابن الحاجب . وقد جاء بقوله

(حسب المحبين في الدنيا عذابهم)   والله لا عذبتهم بعدها سقرُ

شاهداً على أن الماضي المنفي بلا في جواب القسم ينصرف إلى الاستقبال « .. فيكون ماضيا لفظاً مستقبلا معنى . لأنه حلف على نفي تعذيب النار ، وذلك متوقع (أي مستقبل) بدليل تعلق الظرف به وهو بعدها أي بعد الدنيا (كذا) (قال البغدادي) فعلى هذا يجوز أن يقال « والله لا قام زيد » نص عليه ابن السراج » (٢) اهـ

– وجاء بالبيت نفسه ابن هشام في المغني شاهداً على أن « لا » إذا دخلت على فعل ماض – لكنه مستقبل في المعنى – كما في البيت – فإنه لا يجب تكرار لا .

أما إذا كان ماضيا لفظاً ومعنى فإنه يجب تكرار لا مثل قوله تعالى : « فلا صدق ولا صلى » (٣) .

---

(١) [illegible] ١٩ : ١٤٠ .
(٢) خزانة البغدادي (ط . بولاق) ٣ : ٥٢٢ ، ٤ : ٢٨٢
(٣) مغني اللبيب (ط . عيسى الحلبي) ٢٤٢ – ٢٤٣

١ — مروان النحوي وهو مروان بن سعيد بن عباد المهلبي المتوفى نحو (١٩٠) هـ(١).

كان من أصحاب الخليل بن أحمد ، وكان حاذقاً بالنحو . وكانت بينه وبين أبي عبيدة مناقضات موضوعها التفاخر بالقدرة الشعرية) (٢) .

في النحو وما إليه :

حكى سيبويه بيته :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله   والزاد حتى نعله ألقاها(٣)

شاهداً لكون حتى هنا حرف عطف ، وذلك بعد أن ذكر أن النصب في مثل هذا التركيب مختار ، ثم ذكر بعد البيت أن الرفع أيضاً جائز (٤) .

وقد ورد البيت في كثير من كتب النحو (٥) . ونجتزىء من ذلك بعرض ما جاء في شرح الرضي على الكافية حيث قال بعد ذكره لمجيء البيت شاهداً على أن (حتى) وإن كان يستأنف بعدها الكلام ، إلا أنها ليست متمحضة للاستئناف ، فلم يكن الرفع بعدها أولى ، فهي كسائر حروف العطف . يعني أنه يجوز في نعله النصب والرفع ، أما النصب فمن وجهين أحدهما :

---

(١) [illegible] ٢٠٨ [illegible] ٣٣٢ [illegible] ٣٣٣ [illegible]
[illegible] ٢٠٣ [illegible] ٢٠٨

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] ديوان [illegible] ٤٦ والبغية [illegible] النحوي » [illegible] صراحة [illegible] لا يكون [illegible]

(٤) [illegible] ٢٢

(٥) [illegible] ١٣٤ [illegible] همع ٢ ، ٢٤ ، [illegible] ٢٠٣ [illegible] مصر [illegible]

نصبه بإضمار فعل يفسره (ألقاها) كأنه قال حتى ألقى نعله ألقاها .
ثانيها : أن يكون نصبه بالعطف على الصحيفة ، وحتى بمعنى الواو كأنه قال :
ألقى الصحيفة حتى نعله ، يريد . ونعله .. وأما الرفع فعلى الابتداء ،
وجملة ألقاها هو الخبر فحتى - على هذا ، وعلى الوجه الأول من وجهى
النصب - حرف ابتداء ، والجملة بعدها مستأنفة . اهـ لمزـ .

٩ - أشجع السلمى (المتوفى نحو ١٩٥ هـ)

« ربى أشجع ونشأ بالبصرة ... ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعد فى الفحول وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود . فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس » (١)

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

أ - جاء فى اللسان (طرمذ) « قال ثعلب .. والطرمذار (بكسر الأول والثالث) المتكثر بما لم يفعل . وقيل الطرمذار والطرماذ هو المتمدح ، يقال تمدح أى تشبع بما ليس عنده . قال ابن برى : ويقوى ذلك قول أشجع السلمى :

ليس للحاجات إلا من له وجه وقاح
ولسان طرمذار وغدو ورواح (٢)

ب - وقال ابن الشجرى فى أماليه : « وقد جاء « حبى » بمعنى « حبا »
فى قول أشجع بن عمرو السلمى يمدح جعفر بن خالد البرمكى حين ولاه
الرشيد خراسان

إن خراسان وإن أصبحت ترفع من ذى همة شانا
لم يحب هرون بها جعفرا لكنه حبى خراسانا

---

(١) الأغانى (الهيئة) ٢١٢/١٨
(٢) اللسان (طرمذ) ٥ / ٣٢

أى لم يحب جعفراً بخراسان لكن حبا خراسان بجعفر . فهذا يعضد قول أبى الفتح (يعنى ابن جنى فى ذهابه إلى أن حابيت زيداً معناه حبوته أى أعطيته . وبه فسر بيتاً للمتنبى) ثم قال ابن الشجرى ولو وضع منشد حبا فى موضع حابى لم يكسر الوزن (١) . اهـ المراد .

ثانياً فى النحو وما إليه :

— استشهد الرضى الأستراباذى فى شرح الكافية بقول أشجع السلمى :

كأن لم يمت حىّ سواك ولم تقم ... على أحد إلا عليك النوائح

جاء فى الخزانة . (أنشده شاهداً) على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى فى الشعر أضمروا له عاملا من جنس الأول . أى قامت النوائح (٢)

والبيت من قصيدة فى أمالى القالى — قال أبو على إنه قرأها على أبى بكر ابن دريد (صاحب الجمهرة) وأولها :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ... ولا مَغرب إلا له فيه مادح (٣)

وجاء فى المساعد (شرح ابن عقيل للتسهيل) — شرحاً لقول ابن مالك فى الصفة المشبهة « وإذا قُصد استقبال المصوغة (أى الصفة المصوغة) من ثلاثى على غير فاعل ردت إليه قال ابن عقيل (أى ردت) إلى فاعل » وتقول عافّ وشابع وشارف (يعنى بدل عفيف وشبعان وشريف) . ومنه قوله تعالى « وضائق به صدرك » (هود ١٢) وكذا قراءة بعض السلف « إنك مائت وإنهم مائتون » (الزمر ٣٠) . وقول الشاعر

---

(١) انظر أمالى ابن الشجرى ١ / ٢١١ ، ٢١٩

(٢) الخزانة (بولاق) ١ / ٢٩٥ وجاء هذا الشعر فى النوادر ... أمالى القالى (٣ / ١٦٥) قال وأنشد أبو العباس لبعض المحدثين — هو أشجع السلمى

(٣) أمالى القالى ٢ / ١١٨ وقال محققه إن القصيدة نسبت فى شرح حماسة التبريزى لمطيع بن إياس يرثى بها يحيى بن زياد

وما أنا من رزء وإن جلّ جازع   ولا بسرور بعد موتك فارح(١)

.. هـ المراد . والشاعر هو الأشجع هذا ، والبيت من القصيدة المذكورة قبلا (٢) .

١٠ – أبو الشيص . وهو أبو جعفر محمد بن رزين .
(المتوفى ١٩٦ هـ)

كان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم ، غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد ، وأشجع ، وأبي نواس فخمل » (٣) أي أن الذي أخمله ليس تخطط شعره .

في متن اللغة :

– جاء في اللسان (قرض) « والمقراض واحد المقاريض . وأنشد ابن بري لعدي بن زيد (شاهد) وقال ابن سيدة (شاهد) وقال أبو الشيص

وجناح مقصوص تحيف ريشه   ريب الزمان تحيف المقراض

فقالوا مقراضاً فأفردوه » (٤) اهـ .

١١ – أبو نواس (١٩٥ ، ٠٠/١٩٩ هـ)

جاء في الخزانة : قال أبو عبيدة : أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين . وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في الكل . وما زال العلماء والأشراف يروون شعره ويتفكهون به ، ويفضلونه على أشعار القدماء » .

(١) [illegible] ٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢

(٢) [illegible] ص ٢٢٢ [illegible] شرح [illegible] ص ٨٥٨ [illegible]

(٣) [illegible] ١٦ ، ٤٠٠ .

(٤) [illegible] (قرض) ٩/ ٨٢ [illegible] سيبويه [illegible] .

وقال أبو عمرو الشيباني : « لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقذار (يعني الخمور) لاحتججنا به ، لأنه كان محكم القول لا يخطىء » (١).

وقال الجاحظ – تعليقا على رجز أبي نواس في الكلاب : « وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب ، لأنه كان عالما راوية ؛ وكان قد لعب بالكلاب زمانا ، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب ، وذلك موجود في شعره ، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه ، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحذق بالصنعة . وإن تأملت شعره فضلته ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر ، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء . فإن اعترض عليك هذا الباب ، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ، ما دمت مغلوبا » (٢) .

وقال عنه ابن جني : وكان ممن سبق له – مع طرفه ، وحسن شعره ، وما يؤثر عنه من سرعة البديهة واختراع معنى – معرفة بعلم العرب ، وخدم العلماء ، وأخذ عنهم اللغة ، وقرأ عليهم دواوين العرب . وقال بعض أهل علم العرب .. لولا ما كان يخلط شعره من الخلاعة لاحتج بشعره في كتاب الله تبارك وتعالى »(٣) وقال في ختام شرحه لأرجوزته « لأن تفسير هذه القصيدة قد اشتمل على لغة ، وإعراب ، وشعر ، ومعنى ، ونظير ، وعروض ، وتصريف ، واشتقاق ، وشيء من علم القوافي »(٤) .

وجاء في لسان ابن منظور من كلام ابن جني في أبي نواس بما فوق ذلك أيضا (٥) .

أولا : الاحتجاج بشعره في متن اللغة وما إليه :

جاء في ديوان الأدب للفارابي : « البلبل (بالضم) طائر طرب . قال أبو نواس في الأصمعي .

(١) خزانة البغدادي (هارون) ١ : ٣٤٥
(٢) الحيوان للجاحظ ٢ : ٢٧
(٣) تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (الأثري) ٨ – ٩
(٤) نفسه ص ٢١٧
(٥) انظر لسان العرب (بلبل)

بلبل في قفص يطربهم بنَغْمته (١)

— (وقع في لسان العرب من شعر أبي نواس أبيات في أربعة تراكيب: يأيأ . وخضر ، ونهر ، وهال(٢). فالذى في خضر من باب المعاني العامة ، والذى في نهر من المعاني البلاغية ، وسيأتى الكلام على ما في يأيأ ، وهلل).

- جاء في مجالس ثعلب « وأنشد له (يعنى لأبي نواس) :

وأوقة للطير في أرجائها

قال : الأوقة (بالضم) : الموضع الذى يقع فيه الطير »(٣) اهـ .

وهذا معنى جديد شاهده شعر أبي نواس كما هو واضح . فلم يأت في لسان العرب أو تاج العروس من معاني الأوقة (بالضم) إلا أنها : هبطة تجتمع فيها الماء . وقال ابن شميل : الأوقة الركية مثل البالوعة هوة في الأرض خليقة في بطون الأودية وتكون في الرياض أحيانا أسمها أوقة إذا كانت قامتين فما زاد (يعنى في العمق) وما كان أقل من قامتين فلا أعدها أوقة وفيها مثل فم الركية وأوسع أحيانا وهى الهوة .. »(٤) اهـ المراد .

ب — وجاء في اللسان : « وجعل أبو الدقيش « هل » التي للاستفهام اسما فأعربه وأدخل عليه الألف واللام وذلك أنه قال له الخليل : هل لك في زبد وتمر فقال أبو الدقيش: أشد الهلّ وأوحاه . فجعله اسما كما ترى وعرفه بالألف واللام وزاد في الاحتياط بأن شدده غير مضطر لتتكمل له عدة حروف الأصول الثلاثة . وسمعه أبو نواس فتلاه فقال للفضل بن الربيع :

هل لك والهلّ خَيَر فيمن إذا غبتَ حضر .

وفي رواية (يعنى لكلمة أبي الدقيش) أشد هَلٍّ وأوحاه . وأنشد (بيت أبي نواس)(٥) » .

---

(١) ديوان الأدب ١٠٣/٣ وكلمة « نعمته » تبدو وكأنها « نغاته » أو « نغاته » .
(٢) من معجم الشعراء في لسان العرب د. ياسين الأيوبي ، وراجعتها في اللسان
(٣) مجالس ثعلب ط ٣ ص ١٩ - ٢٠ .
(٤) لسان العرب (أوق) ٢٩٢/١١ - ٢٩٣ ، وانظر تاج العروس (أوق) ٣٨٣/٦ .
(٥) لسان العرب (هلل) ٢٣٣/١٤ - ٢٣٤ .

وقد ذكر ابن الشجرى بيت أبى نواس هذا ضمن تناوله مسألة استعمال الحروف أسماء (١) .

والشاهد هنا أن بيت أبى نواس وتد كلمة أبى الدقيش فى استعمال هل اسما مع تضعيفها وإدخال أل عليها لأن إحدى الروايات تجردها من أل(٢)

ثانيا : فى النحو وما إليه .

ا — أورد ابن جنى (٣٩٢ هـ) ضمن « فصل فى الحمل على المعنى » من إعادة ضمير المذكر عليه مؤنثا لتأويله بمؤنث ، وإعادة ضمير المؤنث عليه مذكراً لتأويله بمذكر بيتا لأبى نواس قال : وأما بيت الحكمى :

(كَمَنَ الشَّنَآن فيه لنا)   ككمون النار فى حجره

فيكون (أى إعادة الضمير المذكر فى (حجره) على النار وهى مؤنثة) على هذا، لأنه ذهب إلى النور والضياء (أى أن النار تؤول بالنور أو الضياء وكلاهما مذكر) ، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على الكمون أى فى حجر الكمون ، والأول أسبق فى الصنعة إلى النفس »(٣) .

ب — تردد بيت أبى نواس :

غير مأسوف على زمن   ينقضى بالهم والحزن (٤)

فى عدة مصنفات نحوية . فتناوله ابن الشجرى (٥٤٢ هـ) بتحليل مطول خلاصته : أن « غير » رفع بالابتداء ، وقد أضيفت إلى اسم المفعول وهو مسند إلى الجار والمجرور (يعنى أن « على زمن » نائب فاعل « مأسوف »)

---

(١) الأمالى الشجرية ٢/٢٢٩ .

(٢) [illegible] اللغة [illegible] (هو فى كلام أبى الدقيش وأبى نواس بمعنى [illegible]) ، عكس أن يعد من النحو من حيث قبوله علامات الاسم

(٣) الخصائص ٢/٤١١ — ٤١٣ .

(٤) نسبه إليه ابن هشام فى المغنى ([illegible]) والشقيطى فى الدرر اللوامع ١/١٢ ومحيى الدين فى واضح المسالك مع الأشمونى ١/٢١٩ .

استغنى المبتدأ عن خبر ،كما استغنى قائم ، ومضروب فى قولك «أقائم أخواك» و« ما مضروب غلاماك » عن خبر .. من حيث سد الاسم المرفوع بهما مسد الخبر .

ولما كانت « غير » للمخالفة فى الوصف جرت مجرى حرف النفى(١) أى أنها استوفت شرط الاعتماد على النفى . فهى كالجملة التامة .

ولعل من حقنا هنا أن نتنبه إلى ما يلى :

١ — إن ابن الشجرى حلل أسلوب أبى نواس هذا إلى ما يبين تأويله ووجهه — دون أن يحيله إلى سابقة فيه ، أى أن الواضح من تحليل ابن الشجرى أن أسلوب أبى نواس هذا كان جديدا وسيأتى . بعد ... ما يؤكد هذا ، ومع ذلك فإنه لم يخطئه ، وإنما بين وجهه وإعرابه بما يعنى أنه أسلوب صحيح .

٢ — ومقتضى الحكم بأنه أسلوب صحيح رغم أنه جديد — أنه يجوز أن يقاس عليه وينسج على منواله . فيقال غير مخوف على الأريب ، وغير مرغوب عن الحق ، وغير مرجو اللئيم ، وغير منتصر الباطل .. إلى نحو ذلك من الصور التى تتفق مع تركيب أسلوب أبى نواس .

— وهذا هو الاحتجاج بعينه حيث أثبتنا بأسلوب أبى نواس نمطا جديدا صحيحا من الأساليب .

٤ — وإنما قدمنا هذا ليكون ردا مسبقا على ما سيأتى بعد من كلام البغدادى ، وكلام غيره فى ما يشبه هذه الصورة .

٥ — أماجدة أسلوب أبى نواس هذا فيشهد لها قول أبى حيان (٨٧٤٥) فى تذكرته : « ولم أر لهذا البيت نظيراً فى الإعراب إلا بيتاً فى قصيدة المتنبى يمدح بها بدر بن عمار الطبرستانى يقول فيها :

ليس بالمنكر أن برزت سبقا
غير مدفوع عن السبق العراب

---

(١) انظر الأمالى الشجرية ١/٣٢ ، ٣٣

فالعراب مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصير التقدير : العراب غير مدفوع عن السبق . والعراب جمع . فلا أقل من أن يقول مدفوعة » (١) اهـ

— وخرج بيت أبي نواس المذكور — التخريج السابق نفسه ملك النحاة الحسن بن صافى (٥٦٨ هـ) — على ما حكى صاحب الخزانة (٢) .

— واستشهد به الرضى الاسترابادى (٦٨٦هـ) فى شرح الكافية — وقال البغدادى عنه فى الخزانة « أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان مجرى (ما) قائم الزيدان لكونه بمعناه » ثم ذكر خلاصة تحليل ابن الشجرى مبينا أنها مذهب ملك النحاة أيضا ، ثم كلمة أبى حيان عن جِدة بيت أبى نواس حيث لم يجد له نظيرا إلا بيت المتنبى السابق ، ثم قال « وهذا البيت لأبى نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده الشارح (أى الرضى) مثالا للمسألة ، ولهذا لم يقل كقوله . وبعده بيت ثان وهو :

إنما يرجو الحياة فتى   عاش فى أمن من المحن » (٣)

وقد قدمنا الرد على كلمة البغدادى التى قال فيها إن الرضى ذكر البيت مثالا لا شاهدا .

— والبيت ذكر فى المغنى على أنه من مشكل التراكيب ، وذكر فيه ثلاثة أعاريب أحدها ماقاله ابن الشجرى قال فى المغنى « وتبعه ابن مالك » .

---

(١) خزانة الأدب للبغدادى (هارون) ٣٤٥/١ وكلام أبى حيان هنا لا ينقصه ماجاء فى المغنى ص ٦٧٦ (لابن هشام المتوفى ٧٦١ هـ) وفى المساعد ٢٠٨ (لابن عقيل ٧٦٩ هـ) من قول شاعر : غير لاه عداك فاطرح اللهو   ولا تغترر بعارض سلم

فلعل هذا أو ذاك أول موضع يذكر فيه هذا البيت ، وصاحب المغنى والمساعد متأخران عن أبى حيان المتوفى (٧٤٥ هـ) ثم إن البيت فيهما مجهول القائل ، ونحو ذلك كذلك فى الأشمونى (مع الصبان ١٩١/١)

(٢) الخزانة (هارون) ٣٤٥/١

(٣) الخزانة (هارون) ٣٤٥/١ والبيت ذكر مرة ثانية فى الخزانة ٣١١/١ ط الأميرية)

والثانى أن غير خبر مقدم . . . قال فى المغنى « قاله ابن جنى وتبعه ابن الحاجب . والثالث أنه خبر لمحذوف .... قاله ابن الخشاب(١) » .

وبيت جاء أيضا فى شرح الأشمونى(٢) ، وشواهد العينى(٣) ، وفى همع الهوامع(٤) حيث قال عنه فى الدرر اللوامع « الشاهد فى قوله على زمن فإنه نائب عن فاعل مأسوف الذى جر بإضافة غير إليه وانتقل إعرابه إليها . وغير هذه بمنزلة (ما) . وهذا البيت استشهد به كثير من اللغويين على ما أورده السيوطى هنا ، ومن جملة من استشهد به الرضى فى شرح الكافية » (٥) اهـ . ثم ذكر قول البغدادى السابق ثم إعرابه على ما ذكره ابن جنى (٦) .

جـ — وخرّج ابن يعيش — وغيره — بيت أبى نواس .

كأن صُغرى وكبرى من فقاقعها
حصباء دُرّ على أرض من الذهب (٧)

بأن أبا نواس استعمل لفظى صغرى وكبرى « هنا استعمال الأسماء (أى لا صفات التفضيل) لكثرة ما يجىء منه بغير تقدم موصوف نحو صغيرة وكبيرة فصار كالصاحب والأجرع والأبطح (٨)» ثم قال «ويجوز أن يكون لم يرد فيه التفضيل بل معنى الفاعل كأنه قال كأن صغيرة وكبيرة من فواقعها على حد « وهو أهون عليه » (٩) اهـ . يعنى أن أهون فى الآية بمعنى هين . والشاهد أنه لم يخطئه كما خطأه آخرون على ما حكى الزمخشرى (١٠).

---

(١) هذا فى المغنى ص ١٢٠ ، وقد ذكر البيت عينه فى المغنى ٦١٦ أيضاً ، وهو منسوب فى الموضعين

(٢) الأشمونى مع الصبان ١ / ١٩١

(٣) شرح الشواهد للعينى ١ / ٥١٣

(٤) همع الهوامع ١ / ٩٤

(٥) الدرر اللوامع ١ / ١٢ .

(٦) انظر السابق

(٧) أى من حيث إن صغرى وكبرى جاءتا على صيغة فعلى مؤنث أفعل التفضيل وحالة المطابقة هذه لا تأتى إلا معرفة (بالإضافة أو بأل) وقد وقعت فى البيت غير معرفتين

(٨) أى لا يلزمها التعريف ضرورة

(٩) كلام ابن يعيش فى شرح المفصل ٦ / ١٠٣

(١٠) عن شرح المفصل ٦ / ١٠٠

حـ — وجاء فى المغنى لابن هشام (٧٦١هـ) فى الكلام عن «ثم» أنها حرف عطف يقتضى ثلاثة أمور : التشريك فى الحكم ، والترتيب ، والمهلة — وفى كل منها خلاف .. » ثم قال « وأما الترتيب فخالف قوم فى اقتضائها إياه تمسكا بقوله تعالى « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » .

... وقول الشاعر :

إن من ساد ، ثم ساد أبوه

ثم قد ساد قبل ذلك جده » (١)

والشاعر هو أبو نواس .

د — وجاء فيه فى الكلام عن « عن » أن ثالث وجوهها أن تكون اسما بمعنى جانب . ويتعين ذلك فى ثلاثة مواضع .. الثالث : أن يكون مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد . قاله الأخفش . وذلك كقول امرىء القيس .. وقول أبى نواس :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء

وداونى بالتى كانت هى الداء » (٢)

هـ — وجاء فى شفاء الغليل لشهاب الدين الخفاجى المصرى :
« قاسه : معروف ، يتعدى بعلى ، وعداه أبو نواس بالباء أيضاً فى قوله :

من قاس غيرَكُمُ بكم قاسَ الثِّمادَ إلى البحور

وأما تعديته بإلى هنا . وفى قول المتنبى :

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه إليك ، وأهل الدهر دونك ، والدهر

فقال الواحدى : إنما وصل القياس بإلى لأن فيه معنى الضم والجمع :

---

(١) مغنى لابن هشام (محيى الدين) ١/١١٧

(٢) نفسه ١٥٠

كأنه قال : من أضمه إليك فى الجمع بينكما والموازنة . وقيل : ضمن معنى الانتهاء أى منتهياً إليك » (١) اهـ .

وأخذ الشهاب الخفاجى (المتوفى ١٠٦٩ هـ) تعدية أبى نواس الفعل قاس بالباء بالتسليم ، مع تسويتها بتعدية الفعل نفسه بعلى كما هو واضح من قول الشهاب « أيضاً » فى السياق . وكذلك أخذ الشيخين الواحدى المتوفى ٤٦٨ هـ والخفاجى — وكل منهما إمام جليل فى العربية والتفسير (٢) — تعدية الفعل قاس بإلى ، مع تأويل عمله هذا بأن الفعل فيه معنى الضم والجمع أو الانتهاء ، ودون إشارة إلى أى مطعن فى أسلوب أبى نواس هذا — مع أنه لم يُسبَق إليه . وإلا لأتيا بشعر من سبقه أقول إن قبول الشيخين للأسلوب وتوجيهه يعنى الإقرار بفصاحته . وبأنه يستعمل ويقاس عليه .

و — جاء فى لسان العرب : « واليؤيؤ طائر يشبه الباشق من الجوارح والجمع اليآيئ ، وجاء فى الشعر اليآئى (بتقديم الهمزة على الياء الأخيرة) قال الحسن بن هانىء فى طردياته :

قد أغتدى والليل فى دُجاه كطُرَّة البُرْد على مثناه

بيؤيؤ يعجب من رآه ما فى اليآئى يؤيؤ شرواه

قال ابن برى كأن قياسه عنده اليآيئ . إلا أن الشاعر قدم الهمزة على الياء .. » (٣) اهـ .

— هذا ، إلى نحو ثلاثين قافية لأبى نواس فى نحو أربعين موضعاً من كتب النحو واللغة (لا كتب البلاغة) جاءت فى معجم شواهد العربية

---

(١) شفاء العليل للخفاجى ٢١٥

(٢) الإمام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى له ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم ، وشرح ديوان المتنبى ، والإغراب فى علم الإعراب وغير ذلك انظر بغية الوعاة ١/١٤٥ ، والخفاجى له كتب كثيرة فى ... منها شرح درة الغواص ، وشفاء العليل ، وشرح الشفاء للقاضى عياض . وله حاشية جليلة على تفسير البيضاوى انظر الكلام عنه وعن مؤلفاته فى تقديم د عبد المنعم خفاجى لشفاء العليل

(٣) لسان العرب (يأيأ) ١/١٩٧ وانظر المساعد لابن عقيل شرح التسهيل ٤/٢٨

انتقيتها منه ، وأحصيتها ، وراجعت كثيراً منها فتبين أن أكثرها شواهد لغوية صحيحة .

١٢ — ربيعة بن ثابت الرقى (١٩٨ هـ)

قال عنه مروان بن أبى حفصة إنه أشعر المحدثين ، ولما خطأ الأصمعى أسلوب « شتان ما بينهما » رد أبو زيد كلامه ، واحتج بقول ربيعة : « لشتان ما بين اليزيدين . . » البيت . قال الأصفهانى : وفى استشهاد مثل أبى زيد على دفع مثل الأصمعى بشعر ربيعة كفاية له فى تفضيله » اهـ (١) :

أولا : فى متن اللغة وما إليه .

• استشهد المبرد فى الكامل فى حديثه عن التمتمة — من عيوب النطق — بقول ربيعة الرقى ذاماً ليزيد بن أسيد السلمى ، ومفضلا عليه يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب :

فلا يحسب التمتام أنى هجوته
ولكننى فضلت أهل المكارم (٢)

• واحتج الزمخشرى بشعر ربيعة فى الفائق : جاء فيه « وقال النضر : طيبة (بالفتح) اسم يثرب .

وأنشد لربيعة الرقى :

وطيبـــة فى طيبها سميت بطيبة طابت فنعم المحل (٣)

ثانيا : فى النحو وما إليه :

استشهد النحاة : الرضى (٤) ، وابن يعيش (٥) ، وابن هشام (٦) ، ببيت ربيعة الرقى .

---

(١) انظر الأغانى (الدار) ١٠/٢٥٤ – ٢٥٥
(٢) الكامل (الدلجمونى) ٢/١٦٠ (٣) الفائق ٢/٣٧٣ .
(٤) انظر الخزانة (بولاق) ٣/٤٥ ؛ (هارون) ٦/٢٥٧ .
(٥) شرح المفصل ٤/٣٧ (٦) شذور الذهب (محيى الدين) ٤٠٤ .

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

على صحة أسلوب شتان ما بين زيد وعمرو وإن كان ذلك قليلا والأكثر شتان زيد وعمرو، وشتان ما زيد وعمرو. قال ابن السيد البطليوسى: «ولم ير الأصمعى هذا البيت حجة لأن ربيعة هذا محدث وكان عنده ممن لا يحتج بشعره. وهذا غلط لأن شتان اسم للفعل يجرى مجراه فى العمل فلا فرق بين ارتفاع «ما» به فى بيت ربيعة وارتفاع اليوم من شعر الأعشى، كما أنك لو قلت بعد ما بين زيد وعمرو لجاز باتفاق» (١) اهـ

١٣ — محمد بن مناذر المتوفى (١٩٨ هـ)

«محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم فى العلم باللغة، وإمام فيها، وقد أخذ عنه أكابر أهلها . . . وكان إماما فى علم اللغة وكلام العرب» (٢).

أولا: فى متن اللغة وما إليه:

— جاء فى لسان العرب بشأن اختلاف اللغويين فى «فاظت نفسه» أو «فاظت نفسه» أيتهما تقال: «أبو القاسم الزجاجى: يقال «فاظ الميت» بالظاء، و«فاضت نفسه» بالضاد. وفاظت نفسه بالظاء جائز عند الجميع إلا الأصمعى، فإنه لا يجمع بين الظاء والنفس. والذى أجاز فاظت نفسه بالظاء يحتج بقول الشاعر:

كادت النفس أن تفيظ عليه إذ غدا حشو ريطة وبرود (٣)

اهـ والشاعر هو محمد بن مناذر كما سيتبين بعد.

---

(١) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد (دار الجيل ١٩٧٣) ص ٣٨٩ وقوله اليوم فى شعر الأعشى يقصد قوله:

شتان ما يومى على كورها ويوم حيان أخى جابر

(٢) الأغانى (الهيئة المصرية العامة ١٨/ ١٦٩، ١٧٠) وانظر فى ترجمته تاريخ التراث (الشعر) ٤/ ٥٣ ومصادر ترجمته التى ذكرها.

(٣) لسان العرب (فيظ) ٩/ ٣٣٤

ثانياً في النحو وما إليه .

جاء في المغني « قولهم في كاد إثباتها نفي ونفيها إثبات . فإذا قيل « كاد يفعل » فمعناه أنه لم يفعل . وإذا قيل « لم يكد يفعل » فمعناه أنه فعله . دليل الأول قوله تعالى « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك » وقوله .

كادت النفس أن تفيض عليه إذ غدا حشو ريطة وبرود

ودليل الثاني « وما كادوا يفعلون » (١) اهـ المراد ، وهذا عرض لما يقال . ولابن هشام رأى غير هذا (٢) .

ـ وجاء في أوضح المسالك لابن هشام أيضاً بشأن اقتران خبر كاد وكرب بأن وأنه يغلب أن يكون مجرداً منها ، ويقل اقتران خبرهما بأن . قال : « فمن الغالب قوله تعالى « فذبحوها وما كادوا يفعلون » .

ومن القليل قوله :

كادت النفس أن تفيض عليه (٣) هـ .

وقال شارحه ومحققه الشيخ محمد محيي الدين إن البيت لمحمد بن مناذر . وعرف به ، وذكر بعض القصيدة التي منها البيت . ومناسبته(٤) لكنه لم يتبع البيت هنا بقوله إن المصنف ذكره تمثيلا لا احتجاجاً ـ كما يفعل كثيراً بعد الاحتجاج بشعر المولدين . ربما لأن البيت هنا جاء معطوفاً على ما هو « دليل » بما لا يسمح بالقول بغير ذلك .

ـ وجاء ابن هشام بالبيت أيضاً للمسألة نفسها في شذور الذهب(٥) .

---

(١) المغني (محيي الدين) ٦٢١ - ٦٢٢ .

(٢) انظره في المغني ٦٢٢ .

(٣) أوضح المسالك لابن هشام ومعه عدة السالك محيي الدين ٣١٣/١ - ٣١٥ .

(٤) نفسه ٣١٥/١ .

(٥) شذور الذهب (محيي الدين) ٢٧٢ .

- وجاء به لنفس المسألة بهاء الدين بن عقيل فى المساعد وهو شرحه لتسهيل ابن مالك(١) .

- كما جاء به الأشمونى فى شرحه للألفية للمسألة نفسها أيضاً (٢) . ونسبه المحقق هو وفى الشذور لابن مناذر مع ذكر طرف من قصيدته وقصتها . وأحال محقق المساعد على معجم شواهد العربية الذى نسب البيت لابن مناذر (٣) .

١٤ - أبان بن عبد الحميد اللاحقى المتوفى نحو (٢٠٠ هـ) (٤)

هو من أسرة شعراء ، إذ كان هو ، وأبوه ، وجده ، وابنه ، وأخوه شعراء ، وإن كانوا - ما عداه وابنه - من المقلين . وسبق فى الكلام عن بشار أن الجاحظ وصفه بأنه مطبوع . وكذا فعل البغدادى(٥) .

أولا : فى متن اللغة وما يليه :

- جاء فى ديوان الأدب فى الكلام عن باب فعِل يفعَل (بكسر عين الماضى وفتح عين المضارع) من السالم : « وما كان وقعاً من هذا الباب فإن نعته على فاعل مثل قدمت البلد فأنا قادم . وركبت الدابة فأنا راكب . وربما جاء على فاعل وفَعِل (بفتح فكسر) مثل قولك حذر الأمر فهو حاذر وحذر . قال الشاعر :

---

(١) المساعد ١/٢٩٥

(٢) شرح الأشمونى ومعه واضح المسالك لمحيى الدين ١/٤٩٨ - ٤٩٩

(٣) انظر المواضع السابقة فى الشذور والمساعد وشرح الأشمونى .

(٤) نصر فى ترجمته الأغانى (الهيئة المصرية) ٢٣/١٥٥ - ١٦٧ ، ثم تاريخ التراث (الشعر) ٤/٦٩ والأعلام ١/٢٧ وما أحالا عليه .

(٥) انظر تاريخ التراث ٤/٦٩ - ٧١ ، والبيان والتبيين ١/٥٠ ، والخزانة (هارون) ٨/١٧٣

حَذِرٌ أموراً لا تُخف وآمن ما ليس منجيه من الأقدار (١)

أقول وإنما احتسبنا هذا هنا من « متن اللغة وما إليه » لأن الأمر هنا أمر ورود الصيغة عن العرب . وليس أمر صوغ جديد فيحسب من الصرف . ولا أمر عمل صيغة فيحسب من النحو كما جاء به سيبويه لذلك .

ثانياً في النحو وما إليه :

- احتج سيبويه إمام النحاة – ببيت اللاحقى السالف شاهداً لإعمال صيغة فَعِل . حيث نصبت كلمة « أموراً » بكلمة حذر فى البيت (٢) .

- وقد احتج بالبيت نفسه للمسألة نفسها الزجاجى (٣٣٩ هـ) فى الجمل وابن عصفور فى شرحه (٣) .

– وكذلك فعل أبو محمد عبد الله بن على الصيمرى فى كتابه التبصرة والتذكرة (٤).

---

(١) ديوان الأدب ٢/٢٥٦ .

(٢) انظر الكتاب (هارون) ١/١١٣ وقد قيل عن البيت إنه مصنوع كما قيل إنه لابن المقفع (انظر تعليق المحقق هنا ، والمقتضب ٢/١١٥ والخزانة (هارون) ٨/١٦٩ – ١٧٢ .

(٣) البيت فى الجمل ٩٣ وفى شرحه ١/٥٦٢ .

(٤) انظره بتحقيق د. فتحى على الدين ص ٢٢٧

الفصل الثانى

شعراء القرن الثالث(١) الذين احتج بشعرهم

١٥ — أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (٢٠٢ هـ)(٢)

(قيل عنه : « مقرىء نحوى لغوى ، صاحب أبا عمرو بن العلاء ، وهو الذى خلفه فى القراءة بعده ، . . أخذ علم العربية عن أبى عمرو والخليل . قال ابن المبارك : أكثرت السؤال عنه وعن محله من الصدق ومنزلته من الثقة فقالوا هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ، ولا يرغب عنه فى شىء ، وقد روى عنه الغرائب أبو عبيد القاسم بن سلام وكفى به ، وما ذاك إلا عن معرفة منه به » (٣) .

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

— جاء فى اللسان (عجه) : « والعنجهى (بضم الأول والثالث والياء مشددة) : ذو الأبَّهة . . . وقال الفراء فيه عنجهية . . . وهى الكبر والعظمة . ويقال العنجهية الجهل والحمق . قال أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى يهجو شيبة بن الوليد (وأنشد قصيدة منها :)

رب ذى إربة مقل من الما ل وذى عنجهية مجدود (٤)

— وله شاهد صحيح فى تركيب (أير) (٥) .

---

(١) عددنا من توفى فى أول سنة من قرن ما من شعراء ذلك القرن — اصطلاحاً فقط . وقد فعل ذلك ابن سعيد فى « الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة » .

(٢) انظر عنه تاريخ التراث (الشعر) ٢٠٨/٤ .

(٣) انظر الخزانة (هارون) ٢٧٣/١١ . (٤) اللسان (عجه) ٤٠٨/١٧ .

(٥) اللسان (أير) ٩٨/٥ والشاهد فيه استعمال الفعل الثلاثى واسم الفاعل واسم المفعول من هذا التركيب .

وشاهد ثالث فى تركيب (هبنق) هو :

عش بجَدٍّ وكن هبنقةَ القيسـ ـى نُوكاً أو شيبة بن الوليد(١)

استشهد به على أن هبنقة القيسى رجل كان يضرب به المثل فى الحمق . . والبيت ناطق بذلك .

ثانياً : فى النحو وما إليه :

إذا صرفنا النظر عن شعر تكلفه فى مسألة نحوية ترددت فى أمالى الزجاجى ومجالسه (٢) ، وعن شعر آخر له فى المجالس أيضاً (٣) . فإن أمامنا شاهدين من شعره فى مسألتين نحويتين .

— فقد استشهد الرضى فى شرح الكافية بقوله :

سيان كسر رَغيفه أو كسر عظم من عظامه

لمجيء أو بمعنى الواو للمساواة بين شيئين(٤) وذلك واضح فى البيت .

— واستشهد السيوطى فى الهمع بقول أبى محمد اليزيدى هذا :

فلولا المعافاة كُنَّا كَهُم ... (ولولا البلاء لكانوا كَنَا)

على أن الضمائر المنفصلة قد تستعمل مجرورة . بدليل ما حكى أنا كأنت ، وكهو . وقوله « كهم » فى البيت . (٥) .

وبعد ، فإن هذا البيت مع ما أشرنا إليه من الشعر الذى تكلفه هنا

(١) اللسان هبنق ١٢ / ٢٤٣ وهو فى شرح ابن يعيش ٦ / ٩٢ بلفظ القيسى أو مثل شيبة الخ .

(٢) أمالى الزجاجى ٦٠ — ٦١ ومجالسه ٢٩١ .

(٣) مجالس الزجاجى ١٧٢ .

(٤) انظر شرح الكافية ٢ / ٣٧٠ وجيء به فى الخزانة (هارون) ١١ / ٧١ وساق البغدادى نقلا عن أبى على ذكر فيه البيت ناسباً إياه إلى « بعض المحدثين » .

(٥) انظر همع الهوامع للسيوطى (تحقيق د. مكرم) ١ / ٢١١ قال المحقق عن البيت هو لأبى محمد اليزيدى معلم المأمون وهو لا يحتج بكلامه إلا على رأى من يرى أن العالم اللغوى يحتج بقوله كما يحتج بروايته .

الرجل يقدح فى أهليته أن يستشهد بكلامه . ومع أننا نؤرخ ما وقع فلولا أن ماذكرناه — مما استشهد بشعره فيه — سائغ وله شواهد أخرى لاستبعدناه .

١٦ — الإمام محمد بن إدريس الشافعى المتوفى ٢٠٤ هـ

— وفصاحة الإمام الشافعى متعالمة يطول استيفاء الكلام عنها ، فنجتزىء بكليمات تجمل الشهادة لفصاحته .

— فمن علمه باللغة : أخرج الخطيب البغدادى . . قال : كان أصحاب الأدب يأتون الشافعى فيقرءون عليه الشعر فيفسره ، وكان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها » (١) . وقال الأصمعى : « صححت أشعار البدويين — وفى رواية أشعار هذيل — على فتى (٢) من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعى » وعنه « قرأت شعر الشنفرى على الشافعى بمكة » (٣) . وقال المبرد : « وكان الشافعى من أشعر النـاس وأعلمهم بالقراءات » (٤) وقال يونس بن عبد الأعلى : « كان إذا أخذ فى العربية قال هذه صناعته » (٥) .

— وعن فصاحته قال عبد الملك بن هشام ٢١٨ هـ صاحب السيرة وهو لغوى أيضا : « طالت مجالستنا للشافعى فاسمعت منه لحنة قط ، ولا كلمة غيرها أحسن منها » (٦) « .. فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا اعتبرها المعتبر لايجد فى العربية كلمة أحسن منها » (٧) . وقال الحسن بن محمد الزعفرانى

(١) المزهر ١ / ١٦٠ .

(٢) ولد الأصمعى سنة ١٢٨ هـ ، والشافعى سنة ١٥٠ هـ فالأصمعى أسن من الشافعى بأكثر من ٢٠ سنة .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٣٠ والمزهر ١ / ١٦٠ والخبر عن شعر الشنفرى من المزهر وحده .

(٤) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٨ .

(٥) نفسه ٩ / ٣٠ .

(٦) ، (٧) الرسالة للشافعى (شاكر) ١٣ — ١٤ .

٢٥٩) هـ — الذى قيل عنه إنه لم يكن فى وقته أفصح منه ولا أبصر باللغة — « ما رأيته لحن قط » (١) . وقال الجاحظ : « نظرت فى كتب الشافعى فإذا هو در منظوم لم أر أحسن تأليفا منه » (٢) وقال ابن أبى الجارود : « ما رأيت أحدا إلا وكتبه أكثر من مشاهدته إلا الشافعى فإن لسانه كان أكثر من كتابه » (٣) .

— وعن الاحتجاج بكلامه قال عبد الملك بن هشام : « الشافعى بصير باللغة يؤخذ عنه ، ولسانه لغة فا كتبوه » (٤) « الشافعى حجة فى اللغة » (٥) وقال ثعلب : « العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعى ، وهو من بيت اللغة ، والشافعى يجب أن يؤخذ منه اللغة ، لا أن يؤخذ عليه اللغة » (٦) قال الشيخ أحمد شاكر يعنى يجب أن يحتجوا بألفاظه نفسها لا بما ينقله فقط اهـ . وقد صرح بهذا ابن أبى الجارود فى قوله : « كان يقال إن الشافعى لغة وحده يحتج بها » (٧) .

وروى عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه « كلام الشافعى فى اللغة حجة » (٨) وسيأتى كلام الأزهرى عنه .

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

(أ) سئل أبو عمر الزاهد (٣٤٥ هـ) وهو غلام ثعلب (الإمام اللغوى ٢٩١ هـ) عن حروف (= كلمات) أخذت عن الشافعى مثل قوله

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠ وانظر عن الزعفرانى ٢/ ٣١٩ وكان يتولى قراءة كتب الشافعى فى درسه مع حضور الإمامين أحمد وأبى ثور فى الدرس .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٩ .

(٣) ذاته ٩/ ٢٨

(٤) ذاته ٩/ ٣٠ .

(٥) بغية الوعاة للسيوطى ٢/ ١١٥ .

(٦) الرسالة (شاكر) ص ١٤ .

(٧) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠ .

(٨) الاقتراح للسيوطى ٥٧ .

« مالح » (١) فقال : « كلام الشافعى صحيح . سمعت ثعلبا يقول : يأخذون عن الشافعى وهو من بيت اللغة يجب أن تؤخذ عنه » (٢) وما أسلفناه فى الفقرة السابقة يوضح المراد بهذه العبارة .

(ب) صنف أبو منصور الأزهرى (٣٧٠ هـ) صاحب معجم تهذيب اللغة وإمام أهل العربية فى عصره كتاب « الزاهر فى غريب ألفاظ الشافعى » (٣) وقال فى مقدمته — بعد أن ذكر درسه للقرآن الكريم والحديث الشريف وآثار الصحابة والتابعين : « . . عطفت على النظر فى المؤلفات التى صنفها فقهاء أمصار المسلمين من الحجازيين والعراقيين وغيرهم من الأئمة المتقنين وذوى البصائر المميزين فدرستها وأخذت حظى من فوائدها ، وألفيت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعى — أنار الله برهانه ولقاه رضوانه — أثقبهم بصيرة ، وأبرعهم بيانا ، وأغزرهم علما ، وأفصحهم لسانا ، وأجزلهم ألفاظا ، وأوسعهم خاطرا . فسمعت مبسوط كتبه من بعض مشايخنا وأقبلت على دراستها دهرا ، واستعنت بما استكثرته من علم اللغة على تفهمها ، إذ كانت ألفاظه رحمه الله عربية محضة ، ومن عجمة المولدين مصونة . . » وواضح أن تخصيص هذا الإمام اللغوى كتابا لشرح ألفاظ الشافعى يعنى الإيمان بكمال فصاحته ، وأن ألفاظه ثروة ينبغى أن تشرح لتضاف إلى المفردات الأصيلة للغة .

ثانيا : فى النحو وما إليه :

جاء فى المساعد لابن عقيل (٧٦٩ هـ) فى شرح بعض أحكام الظروف من حيث الإضافة أن الظرف اللازم للإضافة معنى إذا أفرد من الإضافة

---

(١) أى صفة للشىء الذى فيه طعم الملح . وفى اللسان (ملح ٣/ ٤٣٧ - ٤٣٨) أنكر يونس والجوهرى وغيرهما أن يقال ماء مالح وإنما يقال ملح بالكسر ومليح ومملوح وملح كمعظم . لكن لفظ مالح ثبت عن أبى الدقيش وابن الأعرابى وأورد له ابن برى خمسة شواهد مما يحقق صحة كلام الشافعى .

(٢) المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله ١/ ٥٤ بتصرف يسير وكلمة ثعلب هنا سبقت من قبل موضحة .

(٣) طبع كتاب الزاهر فى الكويت بتحقيق د. محمد جبر الألفى فانظره .

لفظا ، وعطف على المضاف اسم عامل فى مثل المحذوف لم يغير حكم الظرف – بمعنى أنه يبقى على ماكان عليه من إعراب كقبل وبعد ، أو بناء كإذ . نحو :

قبلَ وبعدَ كل قول يغتنم ∴ حمد الإله البر وهاب النعم

وكذا :

أمامَ وخلفَ المرء من لطف ربه ∴ كوالىء تزوى عنه ما كان يحذر(١)

اهـ . وقال محقق المساعد عن البيت الأول : رواه الجرجانى فى أسرار البلاغة ، ونسبه للشافعى رضى الله عنه (٢) . وعن الثانى إنه لايعرف قائله .

أقول وفى البيتين شاهدان أيضا للفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعطوف .

١٧ – كلثوم بن عمرو العتابى (٢٠٨ هـ)

قال عنه المرزبانى : شاعر مجيد مقتدر على قول الشعر ، وهو كاتب مترسل ، وله ألفاظ ثبتت ورسائل تدون اهـ . وذكر الزركلى من كتبه « الألفاظ » ، « الخيل » ، « الآداب » ، « الأجواد » ، « فنون الحكم » (٣).

فى متن اللغة :

جاء فى اللسان (برد) : « الجوهرى : وقول الشاعر : بالمرهفات البوارد . قال يعنى السيوف وهى القواتل (يقصد أن البوارد فى وصف السيوف المرهفة معناها القواتل من قولهم ضرب حتى برد أى مات) قال ابن برى صدر البيت :

وأن أمير المؤمنين أغصَّنى

مغصّهما بالمرهَفات البوارد» (٤) اهـ

---

(١) انظر المساعد ٢/٣٥٠ – ٣٥٢ .

(٢) السابق ص ٣٥٢ ومحقق المساعد هو د محمد كامل بركات

(٣) انظر عنه معجم الشعراء للمرزبانى ٣٥١ ، والأعلام (ط ٤ جـ ٥/٢٣١) والمراجع التى أحال عليها .

(٤) اللسان (برد) ٤/٥٥ – ٥٦ .

والبيت من قصيدة للعتابى ذكره فى اللسان مع قصة القصيدة (١) .

– وجاء فيه (أخذ) : «وتَخِذْتُ مالا أى كسبته : ألزمت التاء الحرفَ (يعنى الكلمة) كأنها أصلية . قال الله عز وجل « لو شئت لتَّخِذْتَ عليه أجرا » (٢) قال الفراء : قرأ مجاهد « لتَخِذْتَ » (يعنى بفتح التاء الأولى بدون شد) قال وأنشدنى العتابى .

« تَخِذَها سرية تُقَعِّده »

قال (يعنى الفراء) وأصلها افتعلتُ . قال أبو منصور وصحت هذه القراءة عن ابن عباس ....» (٣)

١٨ – مسلم بن الوليد (صريع الغوانى) المتوفى (٢٠٨ هـ)

قال عنه المرزبانى : شاعر مفلق مستخرج للطيف المعانى بحلو الألفاظ. وقال عنه أبو المحاسن : كان فصيحاً بليغاً . (٤)

فى النحو :

– جاء فى المساعد لابن عقيل شرح التسهيل لابن مالك بشأن ذكر خبر المبتدأ الواقع بعد لولا وحذفه : «وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه . ومنه قول المعرى:

يذيب الرعب منه كل عضب ∴ فلولا الغمد يمسكه لسالا

قال المصنف بعد هذا الكلام « وهذا الذى ذهبت إليه هو مذهب

---

(١) نفسه .

(٢) سورة الكهف ٧٧ .

(٣) اللسان (أخذ) ٤/٦ .

(٤) انظر معجم الشعراء ٣٧٢ ، والنجوم الزاهرة ٢/٨٦ ثم انظر الأعلام ٧/٢٢٣ والمراجع التى أحال عليها .

الرمانى والشجرى والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس قال : ومن ذكر الخبر بعد لولا قول أبى عطاء السندى :

لولا أبوك ولولا قبله عمر   ألقت إليك معد بالمقاليد

وأشار بقوله وغفل عنه أكثر الناس إلى ما عليه الجمهور من إطلاق القول بوجوب حذف الخبر بعد لولا بناء على أنه لا يكون إلا كونا مطلقا، وتأويل ما ورد بخلاف ذلك . اهـ (١)

والذى استشهد بهذا الشعر هو المصنف أى الإمام ابن مالك . أما الشعر فقال محقق المساعد تبعاً لما فى معجم الشواهد إن البيت لمسلم بن الوليد (وهو فى) ديوانه ١٦١ .

ولنا أن نلحظ اعتزاز ابن مالك بما جاء به من تفصيل قال به قبله الرمانى والشجرى والشلوبين ويبدو هذا الاعتزاز فى تعبيره عن ترك أكثر الناس له بالغفلة عنه ، ويدخل فى هذا الاعتزاز ماجاء به من شاهد لذكر الخبر بعد لولا . وهو بيت مسلم بن الوليد على ما قدمنا .

— وجاء فى المذكر والمؤنث لأبى بكر بن الأنبارى (٣٢٨هـ) بشأن تذكير الضريح وتأنيثه « ويقال ضريح وضريحة للقبر . أنشدنا ابن البراء (يعنى على التذكير) :

وحل ضريحه إذ حل فيه   طريفُ المجد والحسب التليد

وأنشدنا عبد الله قال أنشدنا يعقوب قال أنشد أبو زيد :

أخارج إن تصبح رهينَ ضريحة   ويصبح عدو آمنا لا يُفزَّع

فقـــد كان يخشاك البرئُ ويتقى
أذاك ، ويرجو نفعك المتضعضع) (٢) اهـ

والبيت الأول من قصيدة فى رثاء يزيد بن مزيد رواها أبو على القالى

(١) المساعد تحقيق د. محمد كامل بركات ١/ ٢٠٩ .
(٢) المذكر والمؤنث ٤٦٠ وأحال المحقق على الأمالى ٢/ ٨٤ .

فى أماليه عن أبى بكر بن الأنبارى هذا . والقصيدة لمسلم بن الوليد أو لأبى محمد التيمى (١) المتوفى ٢٠٩ هـ

١٩ — أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمى (٢٠٩ هـ) (٢)

— جاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (٢١٠ هـ) فى قوله تعالى « لا فيها غول » (الصافات ٤٧) « مجازه ليس فيها غول . والغول (بالفتح) أن تغتال (أى الخمر) عقولهم قال الشاعر :

وما زالت الكأس تغتالنا   وتذهب بالأول الأول » اهـ (٣)

والشاعر هو التيمى هذا (٤) .

— وجاء فى لسان العرب (أتم) — بشأن الخلاف فى معنى كلمة المأتم أهو كل مجتمع من رجل أو نساء فى حزن أو فرح ، أم هو النساء خاصة يجتمعن فى حزن أو فرح ، أم هى النوح والنياحة والمصيبة — على ما تقوله العامة ، وأن بعض اللغويين خطأ استعمال العامة للكلمة بهذا المعنى ، وقال إن الصواب أن يقال كنا فى مناحة فلان — « قال ابن برى : لا يمتنع أن يقع المأتم بمعنى المناحة والحزن والنوح والبكاء، لأن النساء لذلك اجتمعن، والحزن هو السبب الجامع ، وعلى ذلك قول التيمى فى منصور بن زياد :

والناس مأتمهم عليه واحد   فى كل دار رَنَّةٌ وزفير

(١) انظر الأمالى ٢/ ٨٤ .
(٢) انظر عنه الأغانى (الهيئة المصرية) ٢٠/ ٤٤ — ٥٩ وفيه شعر له من الطبقة العالية ، وأن الخلفاء وغيرهم أعجبوا بشعره وانظر تاريخ التراث ٤/ ١٠٢ والمصادر التى ذكرها .
(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٦٩ .
(٤) نسبه محقق المجاز إلى مطيع بن إياس . ولم يوثق هذه النسبة ثم نسب إلى أبى عبيدة قوله إن مطيعا مولد لا يحتج بشعره والبيت فى الأغانى (الهيئة المصرية) ٢٠/ ٤٤ منسوباً إلى التيمى هذا فى ترجمته . والبيت أيضاً فى طبقات ابن المعتز ١٩٢ منسوباً إلى عوف بن محلم الخزاعى (٢٢٠) هـ وقد استبعدت هذه النسبة الأخيرة لأن عوفا معاصر لأبى عبيدة متأخر عنه ، ولأن الشعر فى خروجون ها بالتيمى وبمطيع أنسب منهما بعوف هذا ، ولكنى استبعدت النسبة إلى مطيع لأن المحقق لم يوثقها والله أعلم .

ثم ذكر بيتا لزيد الخيل (وهو زيد الخير) ، وآخر لغيره ، وثالثا للفرزدق(١) — أى أنه احتج ببيت التيمى لاستعمال المأتم بمعنى المناحة ، وقدمه على بيت زيد الخير المتوفى (٩ هـ) ، وبيت الفرزدق المتوفى (١١٠ هـ) وغيرهما .

• واحتج ابن جنى لقراءة سعيد بن جبير « منشرة » (بوزن اسم المفعول من أنشر) فى قوله تعالى « صحفا منشرة » بأنه وإن كان العرف أن يقال نَشَرت الثوب (أى والصحيفة) — يعنى من باب نصر ، وأنشر الله الموتى فنشروا هم (هذا من باب قعد لازم) فإنه قد جاء عنهم أيضا « نشر الله الميت (من باب نصر متعد) واحتج لذلك بقول التيمى :

ردت صنائعُه إليه حياته   ∴   فكأنه من نشرها منشور

وعلله بأنه على تشبيه الميت بالشىء المطوى : فاستعمل فى الميت ما يستعمل فى الثوب المطوى فقيل نشره الله (من باب نصرَ) ، ومن هنا جاء الشاعر باسم المفعول منه منشور . وبناء على جواز استعمال نشره مكان أنشره لشبه مفعول هذا بمفعول ذاك ، فإنه يجوز أن يستعمل أنشره فى ما يستعمل فيه نشره وهو الصحيفة والثوب : وعلى ذلك قرئ « صحفا منشرة » « كأن الصحف كانت بطيها ميتة ، فلما نشرت حيت بذلك ، فقيل « منشرة » (٢) .

— وهناك شاهد آخر تردد نسبته بين التيمى ومسلم بن الوليد .(٣)

---

(١) ل (أتم) ٢٦٩/١٤

(٢) انظر المحتسب ٣٤٠/٢ وقد صرح ابن جنى بنسبة البيت إلى التيمى . وهذا ما قاله ابن برى فى البيت المذكور هنا والناس مأتمهم . . الخ وهو من القصيدة نفسها ، وقال إنها فى رثاء منصور بن زياد . والقصيدة فى الكامل (أبو الفضل وشحاته) ٢٩/٤ ينسب إلى « رجل من خزاعة » ، وينحل كثيراً ، ونسبه الأخفش إلى قطرب . وابن برى محقق ثقة . . ونسبة البيت إلى قطرب لا تخرجه عن دائرة الاحتجاج بالمولدين لأن قطربا توفى ٢٠٦ هـ . .

(٣) انظر فى كتاب المذكر والمؤنث لمحمد بن القاسم الأنبارى ص ٤٦٠ .

٢٠ — بشر بن المعتمر (المتوفى ٢١٠ هـ) (١)

« له مصنفات فى الاعتزال ، منها قصيدة فى أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين » (٢)

في متن اللغة وما إليه :

(جيء فى اللسان بشواهد من شعر بشر بن المعتمر فى تراكيب ربح ، صفح ، هيش ، ألق) (٣) .

ففى لسان العرب (ربح) « والربح (كصرد) والرباح بالضم والتشديد (يعنى كتفاح) القرد الذكر . قاله أبو عبيد فى باب فُعّال . قال بشر بن المعتمر :

وإلْقَةٌ تُرغثُ رُبّاحها   والسهل والنَّوْفل والنَّضْر

الإلقة هاهنا : القردة ، ورباحها : ولدها ، وترغث : ترضع(٤) وذكر البيت نفسه (فى ألق) ضمن قصيدة لبشر شاهدا للإلقة القردة (٥) .

٢١ — محمد بن يسير الرياشى (٢١٠ هـ) (٦)

(قال عنه ابن قتيبة إنه يتمثل بكثير من شعره . وكذلك قال ابن المعتز « له حكم كثيرة » ونماذج شعره تحق ذلك ، حتى قال ابن المعتز

---

(١) انظر عنه الأعلام ٢٨/٢ ولسان العرب (ربح) ٢٦٩/٣ .

(٢) الأعلام (ط ٤) ٥٥/٢ .

(٣) من معجم الشعراء فى لسان العرب وقد راجعتها . والذى فى (صفح) « رضيعة صفح » وصفح هذا اسم رجل غدر به .

(٤) اللسان (ربح) ٢٦٨/٣ .   (٥) اللسان (ألق) ٢٨٩/١١ .

(٦) ترجمته ونماذج عالية الطبقة من شعره فى الشعر والشعراء ٨٧٩ وطبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٠ — ٢٨٣ والأغانى (الدار) ١٧/١٤ — ٥٠ ، وانظر لترجمته أيضا تاريخ التراث (الشعر) ٥٥/٤ والمصادر التى ذكرها .

عن بعضها إنه سار فى العرب والعجم » . ثم وصفه بأنه أنعت الناس للحيوان والطير والشاء)(١) .

فى النحو وما إليه :

ذكر الأشمونى فى شرحه للألفية من مواضع الجر بحرف الجر مع حذفه : حالة المعطوف — على ما تضمن مثل حرف الجر المحذوف — بحرف متصل نحو « وفى خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار) » أى وفى اختلاف الليل . وقوله :

أخلِق بذى الصبر أن يحظَى بحاجته ومُدمِن القَرْع للأبواب أن يلجا

أى وبمد من » (٢) اهـ . والبيت لمحمد بن يسير هذا (٣) .

— وفى حاشية العلامة الخضرى على شرح ابن عقيل للألفية فى مسألة الخلاف فى الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالظرف أو المجرور ، إذا كان كل منهما متعلقاً بفعل التعجب أيضاً — من حيث إجازة ذلك الفصل ومنعه — قال الخضرى « محل الخلاف مالم يكن فى المعمول ضمير يعود على المجرور وإلا تعين الفصل كـ « ما أحسن بالرجل أن يصدق » ثم حلل بيتاً جاء فيه « ما أحرى بذى اللب أن يرى صبوراً » بأن « الأصل : ما أحرى أن يرى ذو اللب صبوراً ، أى ما أحق الرؤية صبوراً ، بصاحب العقل ... ، فأن يرى مفعول أحرى ، فصل بينهما بذى اللب ، وهو فصل واجب لمكان الضمير فى يرى كما مر) ثم قال (ومثله أخلق بذى الصبر .. (البيت) : فأن يحظى فاعل بأخلق حذفت منه الباء ، وفصل بينهما بذى الصبر وجوباً ، والأصل أخلق بأن يحظى الصابر بحاجته ، أى ما أحق الفوز بالمطلوب بالصابر ، وما أحق الولوج أى الدخول لمدمن قرع الأبواب أى الملازم له (٤)) اهـ .

(١) انظر الشعر والشعراء ٨٧٩ ، وطبقات ابن المعتز ٢٨١ ، ٢٨٣ .
(٢) انظر شرح الأشمونى مع حاشية الصبان ٣/٢٣٤ .
(٣) انظره ضمن قصيدة له فى الشعر والشعراء ص ٨٧٩ وفى الأغانى (الدار) ١٤/٤٢ .
(٤) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل ٢/٤١ .

٢٢ — أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (٢١١ هـ)

(قيل عنه إنه أشعر الناس . وقيل : أطبع الناس (فى الشعر) بشار ، والسيد (الحميرى) وأبو العتاهية . وممن استحسن شعره : الأصمعى ، والفراء ، وابن الأعرابى ، والجاحظ ، وشهد له بالتقدم بشار وأبو نواس ، وغيرهما) (١) .

فى متن اللغة وما إليه :

احتج فى التهذيب للفعل ودع (بوزن وهب) بمعنى ترك بقوله :

وكان ما قدمـــوا لأنفسهم أكثَرَ نفعــاً من الذى وَدَعوا

قال محقق التهذيب إن البيت لأبى العتاهية (٢) ، وجاء فى اللسان بالشطر الأخير وحده (٣) .

— وجىء فى الفائق للزمخشرى بشاهد منسوب إلى أبى العتاهية (٤) — لكنها نسبة غير مسلمة (٥) .

(١) انظر عنه الأغانى (الدار) ٤/١ — ١١٢ ، وعن شعره ٤/١ — ٢ ، ٩ — ١٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ١١٠ ، ٧٢ .
(٢) انظر تهذيب اللغة (ودع) ٣/١٣٦ .
(٣) انظر ل (ودع) ١٠/٢٦٤/٣ — ٤ .
(٤) انظر الفائق ٤/٩٠ قال « البثار جمع بثر قال (أبو العتاهية) :
فإن حفروا بئرى حفرت بثارهم وإن بحثوا عنى ففيهم مباحث » اهـ
(٥) جاء فى ترجمة أبى دلامة زند بن الجون فى الأغانى ١٠/٢٣٨ — ٢٣٩ بهذين البيتين لأبى دلامة :
إن الناس غطونى تغطيت عنهم وإن بحثوا عنى ففيهم مباحث
وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث
وجىء بهما منسوبين إليه أيضاً فى لسان العرب (نبث) ٣/١٤ .

٢٣ — أبو المنهال عوف بن محلم الخزاعى المتوفى (نحو ٢٢٠) (١)

[قال ابن المعتز عن شعره إنه « كله مختار ، ليس فيه بيت ساقط ولا ناقص (٢) » وقال ابن شاكر عن أبى المنهال هذا « أحد العلماء الأدباء ، الرواة الفهماء . . . الشعراء الفصحاء . كان صاحب أخبار ونوادر ، ومعرفة بأيام الناس (٣)] .

(فى النحو وما إليه)

— احتج بشعره الإمام هبة الله بن الشجرى (٥٤٢ هـ) — وهو بصدد بيان أن الواو الداخلة على الجملة الاعتراضية ليست واو الحال . قال «ويدل على أن الواو الداخلة على الجملة المعترضة ليست واو الحال شيئان . أحدهما : أن الحال لاتقع معترضة ، والثانى أن قوله « والله يكلؤها » (يعنى من قول ابن هرمة إن سليمى — والله يكلؤها — ضنت بشىء الخ) دعاء . وجملة الدعاء لاتقع حالا . وقد جاء الدعاء بالفعل مع هذه الواو فى قول أبى محلم الشيبانى (كذا) :

إن الثمانين — وبـُلـّغـْتـَها — قد أحوجت سمعى إلى ترجمان(٤)

اهـ . فهو يستشهد بالبيت على مجىء الجملة الدعائية المعترضة — فعلية . أما قوله أبو محلم الشيبانى فهو وهم ، لأن البيت ثابت لعوف بن محلم الخزاعى أبى المنهال الذى كان فى حاشية آل طاهر وتوفى نحو ٢٢٠هـ والبيت من قصيدة له

(١) هناك أبو المنهال نفيلة (أو بقيلة) الأكبر الأشجعى له شعر فى ل (أزر) ٥/٧٥ ، (حقل) ١٣/٤٨٦ . وهناك فى ل (ضأل) ١٣/٤١٣ ، (أين) ١٦/١٨٥ شعر فيه أنا أبو المنهال فى بعض الأحيان . وفى تاريخ التراث (الشعر) ٥/١٨٢ ثلاثة بهذه الكنية . وصاحبنا هذا هو عوف بن محلم الخزاعى (من بنى سعد) وليس عوف بن محلم الشيبانى (انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ١٨٦) .

(٢) طبقات ابن المعتز ١٩١ .

(٣) فوات الوفيات (محيى الدين) ٢/٢٣٣ وشرح شواهد المغنى ٢/٨٢١ .

(٤) الأمالى الشجرية ١/٢١٥ .

فى مدح عبد الله بن طاهر فى قصة ذكرت فى طبقات ابن المعتز (١) ، وأمالى القالى (٢) ، والحماسة البصرية (٣) ، وفوات الوفيات (٤) ، وشرح شواهد المغنى (٥) . وقد ميز ابن المعتز بينهما (٦) .

— والبيت المذكور استشهد به ابن هشام فى المغنى مرة للجملة المعترضة بين ما أصله المبتدأ والخبر (٧) ، ومرة أخرى للجملة المعترضة التى تتميز عن الحالية بكونها دعائية (٨) . وجاء به فى الشذور أيضاً لهذا (٩) .

— والبيت فى أمالى القالى (١٠) (القصيدة) ، وهمع الهوامع (١١) — تميز الجملة الإعتراضية بجواز كونها طلبية ، وفى الدرر اللوامع (١٢) .

٢٤ — أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله العتبى المتوفى ٢٢٨هـ

— (كان من أفصح الناس وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين . وكان العتبى شاعراً صاحب أخبار وآداب ، وله كتاب الخيـــل ، وكتاب الأعاريب ، وأشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن ، وكتاب الأخلاق (١٣)) .

للعتبى هذا شاهد مشهور هو :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فأعرضن عنى بالخـــدود النواضر

(١) طبقات ابن المعتز ص ١٨٨ .

(٢) ١/٥٠ . (٣) ١/٥٩٤ .

(٤) تحقيق (محيى الدين) ٢/٢٣٥ . (إحسان عباس) ٣/١٦٢ - ١٦٤ .

(٥) ٢/٨٢١ .

(٦) انظر الطبقات ١٨٦ .

(٧) المغنى لابن هشام (محيى الدين) ٣٨٨ .

(٨) نفسه ص ٣٩٥ — ٣٩٦ .

(٩) شذور الذهب ٤٥ .

(١٠) أمالى القالى ١/٥٠ .

(١١) الهمع للسيوطى (مكرم) ٤/٥٥ .

(١٢) الدرر اللوامع ٢٠٧ .

(١٣) انظر الفهرست لابن النديم ١٧٦ ، والأنساب للسمعانى ٣٨٣ .

وقد احتج به الإمام ابن مالك فى شرح الكافية الشافية للغة إظهار علامة الضمير فى الفعل عند إسناده إلى الظاهر غير المفرد (١) .

- كما استشهد به العلامة ابن عقيل فى المساعد (٢) ، وابن هشام فى الشذور (٣) ، والأشمونى فى منهج السالك (٤) .

٢٥ - أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمى (العمانى) المتوفى نحو (٢٢٨هـ)

قال عنه القفطى : «كان يوزن بالعجاج ورؤبة ، بل كان أطبع منهما .. »(٥)

أولا : فى متن اللغة :

- احتج بشعره ابن قتيبة (٢٧٦هـ) على أن التحنيب فى يدى الفرس ، والتجنيب فى رجليه - وهما يستحبان فيه - معناهما الانحناء (القليل) فى اليدين والرجلين بقول العمانى :

ترى له عظم وَظِيفٍ أحدبا (٦) .

- وجاء فى الجمهرة لابن دريد (٣١١هـ) «والهجف الجافى الغليظ . ظليم هِجَفّ» ثم ذكر ابن دريد أنه سأل أبا حاتم (٢٥٥هـ) ثم أبا عثمان الأشناندانى (٢٨٨هـ) عن قول الراجز :

وجَفَّر النحل فأضحى قد هَجَفْ   واصفرَّ ما اخضر من البقل وجفْ

فقال الأشناندانى : «هجف إذا لحقت خاصرتاه بجنبيه من التعب» وأنشد فيه بيتنا (٧) اهـ والرجز للعمانى هذا (٨) .

---

(١) انظر شرح الكافية الشافية ٢/٥٨٢ .
(٢) المساعد لابن عقيل شرح التسهيل ١/٣٩٣ .
(٣) شذور الذهب محيى الدين ١٧٩ .
(٤) انظر شرح الأشمونى مع واضح المسالك لمحيى الدين ٢/١١٦ .
(٥) انظر عنه لسان العرب (طسم) والأعلام ٦/١٢٣ (ط ٥) .
(٦) أدب الكاتب (الدالى) ١١٩ .
(٧) الجمهرة ٢/١٠٩ وفى اللسان (هجف) ١١/٢٥٩ - التوزى بدل الأشناندانى .
(٨) انظر جمهرة ٢/١٠٩ والأعلام سرقطى ١/١٥٧

- وفى الجمهرة أيضاً «وربما سميت الحياض إذا امتلأت ماء زلفا (بالتحريك) . والزلف واحدتها زلفة (بالتحريك فيهما) وهى الأجاجين الخضر . هكذا أخبرنى أبو عثمان الأشناندانى عن التوزى عن أبى عبيدة ، وقد كنت قرأت عليه رجز العمانى :

حتى إذا ماء الصهاريج نشف   من بعد ما كانت مِلاءً كالزَّلَف

وصار صَلصالُ الغدير كالخزف

فسألته عن الزلف فذكر ما ذكرته آنفاً» (١) اهـ

- وفى ديوان الأدب للفارابى (٣٥٠هـ) «والفم (يعنى بالفتح وتضعيف الميم) لغة فى الفم (يعنى بالتخفيف) وهى قليلة . وقال :

يا ليتها قد خرجت من فُمِّه

الهاء للكلمة» (٢) اهـ . والشطر مع ثان له فى اللسان (فمم) بالضم وأجاز الفتح - وهو معزو للعمانى باسمه كاملا وقال محقق ديوان الأدب إنه نسب فى خزانة الأدب إلى العجاج (٣) .

- وقد احتج الإمام أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) بشأن معنى الزلف ببيت العمانى الذى احتج به ابن دريد (٤) .

- كما احتج لقولهم رمى الرمية فأخطفها أى أخطأها بقوله :

فانقض قد فاتَ العيونَ الطَّرْفا   إذا أصاب صيده أو أخطفا (٥)

---

(١) الجمهرة ٣/١٢ .
(٢) ديوان الأدب ٣/١١ .
(٣) الموضع نفسه وأحال على الخزانة ٢/٢٨٠ وفى مجالس العلماء للزجاجى ٣٨ رجز للعمانى كأنه من نفس الأرجوزة لخبر يشبه ما هنا .
(٤) انظر المجمل ٤٣٨ .
(٥) المجمل ٢٩٤ وفيه فانقد . وأخذت بما فى اللسان ١٠/٤٢٦ .

واحتج أبو عثمان المعافرى السرقسطى (بعد ٤٠٠هـ) فى كتاب الأفعال ببيت العمانى فى معنى هجف (١) — على ما سبق فى الجمهرة ، وببيته فى قولهم أخطف الرامى أى أخطأ قريباً(٢) — على ما سبق فى المجمل لابن فارس .

— واستشهد جار الله الزمخشرى (٥٣٨هـ) فى كتابه المستقصى فى أمثال العرب — بقول العمانى :

إنك إن يَقصِد إليك سهمى

ينتظم الفؤادَ قبـل النظم

فارْقَ على ظلعك قبل الكشم » (٣)

على قولهم فى المثل ارق على ظلعك أوارقاً على ظلعك (٤)

وقد جاء الاحتجاج بشعر العمانى فى تراكيب (خطف ، زلف ، تيم ، طهم ، قمم ، هنا) فى لسان العرب (٥) ومنها فى (تيم) « قال ابن الأعرابى : الاتّيام أن تذبح الإبل والغنم بغير علة . قال العمانى :

يأنف للجـارة أن تَتّاما

ويعقر الكُومَ ويعطى حاما

(أى أن الممدوح يكفى جارته فلا تحتاج أن تذبح شاتها من غير علة ، ويعطى حاما) أى يطعم السودان من أولاد حام (٦) .

★ ★ ★

(١) انظر كتاب الأفعال للسرقطى ١/١٥٧ .
(٢) انظر كتاب الأفعال ١/٤٦٨ .
(٣) انظر المستقصى فى أمثال العرب ١/١٤٢ .
(٤) يقال ارق . . أى لا تحمل على نفسك ما لا تطيق ، وارقاً . . أى كف فرق عالم مساويك. ولها معان أخرى انظر اللسان (رقأ ١/٨٢ ، ظلع ١٠/١١٥ ، رق ١٩/٤٩)
(٥) معجم الشعراء فى لسان العرب٣٧٧ (وقد راجعت التراكيب وأضفت إليها تم) .
(٦) اللسان تيم ١٤/٣٤٣ وما بين القوسين منه فى شرح بيت للحطيئة بمعنى بيت العمانى .

ثانياً : فى النحو وما إليه :

(أ) استشهد الرضى (٦٨٦هـ) فى شرحه لكافية ابن الحاجب بقول العمانى فى وصف فرس :

كأن أذنيـــه إذا تشوفا

قادمةً ، أو قاما محـرفا

على أن أصحاب الفراء جوزوا نصب الجزءين بكأن أيضاً (١) .

(ب) وجىء بهذا البيت لتلك المسألة أيضاً فى مغنى اللبيب على أن النصب بكأن « زعم قوم » ونسب لبيت إلى أبى نخيلة (٢) . ولكن الأشمونى جاء بالبيت نفسه مع عدة شواهد أخرى للمسألة . وقال فى نسبة هذا العمل لكأن « وحكى قوم منهم ابن سيدة أن قوماً من العرب تنصب بهـا الجزءين معاً » وصوب محققه الشيخ محمد محيى الدين نسبة البيت إلى العمانى (٣) . وكذلك نسبه الشنقيطى فى الدرر إلى العمانى (٤) .

— والبيت فى همع الهوامع للمسألة نفسها أيضاً (٥) .

(حـ) وقد جىء فى المخصص لابن سيدة بالبيت نفسه : « الحُذُنّتان (بضمتين والنون مشددة مفتوحة) : الأذنان . وأنشد :

يا ابن التى حُذُنّتاها باع

ابن جنى : أراد يا ابن التى (حذنتاها) كل واحدة منهما باع . كما قال :

تخـال أذنيـه إذا تشوفا قادمـة أو قلمـا محرفا »

اهـ . (و « تخال » بدل « كأن » رواية أو تصحيح من الرشيد) .

— ومعنى هذا أن ابن جنى ، وابن سيدة احتجا بشعره أيضاً .

(١) انظر الخزانة (هارون) ١٠/٢٣٧ .
(٢) مغنى اللبيب (محيى الدين) ١٩٣ .
(٣) شرح الأشمونى ومعه واضح المسالك ١/٥٣٥ — ٥٣٦ .
(٤) الدرر اللوامع ١/١١٢ .
(٥) همع الهوامع (النعسانى) ١/١٣٤ ، (مكرم) ٢/١٥٦ .

٢٦ — أبو تمام حبيب بن أوس (الطائى الكبير) المتوفى (٢٣١ هـ)

« شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعانى ، غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره . والسليم من شعره النادر شىء لا يتعلق به أحد . . . ، وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لايشق الطاعنون عليه غباره . . . ومارأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له فى جيده نظيرا ولا شكلا » (١) .

أولا : فى متن اللغة وما إليه .

ا — جاء فى لسان العرب (بهرم) : « وبهرام اسم المريخ وإياه عنى القائل :

أما ترى النجم قد تولى ‍ ‍ ‍ ‍ وهم بهرام بالأفول

وقال حبيب بن أوس :

له كبرياء المشترى وسعوده ‍ ‍ ‍ ‍ وسورة بهرام وظرف عطارد(٢)

ب — وجاء فيه فى تركيب (مضر) :

« الجوهرى : قيل لمضر الحمراء ولربيعة الفرس لأنهما لما اقتسما الميراث أعطى مضر الذهب — وهو يؤنث — وأعطى ربيعة الخيل . ويقال كان شعارهم فى الحرب العمائم والرايات الحمر ، ولأهل اليمن الصفر . وقال الجوهرى سمعت بعض أهل العلم يفسر قول أبى تمام يصف الربيع :

محمرة مصفرة فكأنها ‍ ‍ ‍ ‍ عصب تيمن فى الوغى وتمضر(٣)

أى أن الجوهرى يحكى استشهاد بعض أهل العلم بفهم أبى تمام لعلة تسمية مضر بالحمراء ونسبة الصفرة إلى ربيعة أن ذلك راجع إلى لون عمائم الشعبين لا إلى ما قيل من رجوع ذلك إلى اللون الغالب على ما ورثه كل

(١) الأغانى (الدار) ١٦/ ٣٨٣ ، ٣٨٤

(٢) لسان العرب (بهرم) ١٤/ ٣٢٧ .

(٣) اللسان (مضر) ٧/ ٢٦ .

منهما عن أبيه : الذهب الأحمر لمضر والخيل الصفر لربيعة . وعلة التسمية داخلة فى مجال الدلالة (١) .

جـ — وجاء فى شفاء الغليل لشهاب الدين الخفاجى (الإمام اللغوى ١٠٦٩ هـ) فى الكلام عن تحديد المراد (بالحشوية) وأصل تسميتهم هذه . قال الخفاجى : « وقال أبو تمام :

أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم ‍ ‍ ‍ ‍ شعوب تلاقت دوننا وقبائل

قال التبريزى فى شرحه : أراد بالحشو العامة » (٢) اهـ . والشاهد هنا هو احتجاج الخفاجى باستعمال أبى تمام للفظ الحشو بذلك المعنى الذى حدده التبريزى بما يعنى قبوله هو أيضا . وقد جاء فى لسان العرب « والحشو من الكلام الفضل الذى لا يعتمد عليه ، وكذلك هو من الناس . وحشوة الناس (بالضم) رذالتهم » اهـ . فهذا وإن كان قريبا من معنى العامة إلا أن هذا أخص — ولذا يبقى لاستعمال أبى تمام للفظ بالمعنى الذى حدده التبريزى قيمته — هذا مع أن اللسان لم يورد لما ذكره شاهدا .

ثانيا : فى النحو وما إليه :

ا — احتج الزمخشرى (٥٣٨ هـ) وهو إمام فى اللغة والتفسير(٣) بشعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى — المتوفى ٢٣١ هـ . فقد جاء فى الكشاف « وإذا أظلم عليهم قاموا » : « وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد — وهو

(١) التوضيح نقول إن الخيل توصف بالصفرة فيعنى بها السواد والدهمة (اللسان صفر) وكان نزار عند موته أعطى ربيعة ابنه حبالا سودا من شعر وقل هذا وما أشبهه لك . وفسر الأفعى ذلك لما احتكم إليه أبناء نزار فى ميراثهم من أبيهم فقال لربيعة لك الخيل الدهم وما أشبهها فقيل له ربيعة الفرس (انظر سبائك الذهب ٢٠ فى الكلام عن نزار) ثم إن مساكن أبناء ربيعة تفرقت بين اليمن وشرق الجزيرة إلى العراق فنسبوا إلى اليمن بينما غلب أبناء مضر على الحجاز (انظر سبائك الذهب ومعجم قبائل العرب ٢/ ٤٢٤ ، ٣/ ١٠٧) .

(٢) شفاء الغليل للخفاجى طبعة د. محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٣) محمود بن عمر الزمخشرى صاحب تفسير الكشاف ومعجم أساس البلاغة والمفصل .

الظاهر ، وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل . وتشهد له قراءة يزيد ابن قطيب « أُظْلِمَ » على مالم يسم فاعله . وجاء فى شعر حبيب بن أوس :

هُما أظلما حالَىَّ ثمت أجليا ... ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل مايقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء: « الدليل عليه بيت الحماسة » ، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » (١) اه .

ب — واحتج بأبى تمام أيضا العلامة رضى الدين الاستراباذى المتوفى ٦٨٦ هـ (شارح الشافية والكافية لابن الحاجب) فى عدة مواضع من شرح الكافية . ومن هذه المواضع استشهاده بقوله :

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه

بشأن بعض حالات تقديم الخبر (٢) — وقال البغدادى فى الخزانة عن هذا الاستشهاد إن الرضى أورد البيت نظيراً لقوله :

« بنونا بنو أبنائنا . . . »

لا شاهداً » (٣) . وسنناقش قولة البغدادى هذه بعد .

حـ — واحتج بأبى تمام أيضا الخطيب التبريزى (شارح الحماسة المتوفى ٥٠٢ هـ) ، وشهاب الدين الخفاجى (١٠٦٩ هـ) .

جاء فى شفاء الغليل للخفاجى : « جاز القنطرة : يقال جاز فلان القنطرة إذا كمل فلم يلتفت إلى القدح فيه . . . وتجاوزه مر به وتعداه ، ولا يتعدى بعن . لكنه وقع فى كلام المولدين معدى بها . وقال أبو تمام :

فلا ملك فردُ المواهب والنُّهى
تجاوزنى عنه . ولا رشأ فرد

---

(١) تفسير الكشاف ١/١٦٩ .
(٢) انظر شرح الرضى للكافية ١/٩٧ ، والقياس للشيخ محمد الخضر .
(٣) الخزانة ط ٢ (هارون) ١/٤٤٩ .

وفسره التبريزى بالتنحية ولم ينتقد عليه (١) » اه

— وستأتى مواضع أخرى للاحتجاج بشعر أبى تمام فى بيان الاحتجاج بشعر البحترى .

— هذا ، إلى عدة شواهد لغوية صحيحة من بين عشرات الشواهد التى ذكرت لأبى تمام فى معجم الشواهد . كاستشهاد الرضى الاستراباذى فى شرح الشافية ببيت من شعره على أن همزة إنسان زائدة (٢) ، وابن هشام فى شذور الذهب على مجىء لفظة « سنون » مرفوعة(٣) ، والأشمونى فى شرحه على استعمال ذو الموصولة للعاقل وغيره (٤).

وفى معجم الشواهد إشارات إلى شواهد لأبى تمام فى الإنصاف لابن الأنبارى ، والمحتسب لابن جنى ، وشرح المفصل لابن يعيش(٥) . أما ما كان من شعره فى الخصائص ، وأمالى ابن الشجرى فقد راجعتها فوجدت ما فى الخصائص ، وما اهتديت إليه مما فى الأمالى الشجرية كان الاستشهاد به فى مجال المعانى العامة لا اللغة .

٢٧ — عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير المتوفى (٢٣٩ هـ) .

قال عنه فى الأغانى : « عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، ويكنى أبا عقيل ، شاعر مقدم فصيح ، وكان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء فى الدولة العباسية فيجزلون صلته . . وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة » ثم روى أن المبرد قال : « ختمت الفصاحة فى شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل » ، وأن سلماً حفيد أبى عمرو بن العلاء قال : « كان جدى

---

(١) شفاء الغليل (ط د. خفاجى) جزء ص ٩٤ .
(٢) شرح شافية ابن الحاجب (نور الحسن و . .) ٤/٢٩٧ .
(٣) شذور الذهب (محيى الدين) ٥٨ .
(٤) الأشمونى (ومعه الصبان) ١/١٥٧ .
(٥) راجع اسم أبى تمام فى معجم الشواهد والصفحات التى فيها مواضع الشواهد التى يشير إليها .

أبو عمرو يقول ختم الشعر بذى الرمة ، ولو رأى جدى عمارة بن عقيل لعلم أنه أشعر فى مذاهب الشعراء من ذى الرمة .. وأنه أشد استواء فى شعره من جرير لأن جريرا أسقط فى شعره وضعف ، وما وجدوا لعمارة سقطة واحدة فى شعره(١)» «وكان أبو محلم يقول ختم الشعر بعمارة بن عقيل(٢)»

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

— احتج بشعره أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى (٣٢٨ هـ)

— فجاء فى كتابه الأضداد : « الغساق ... غسق لمعنيين أحدهما أظلم ، ... والآخر سال من الغساق وهو ما يغسق من صديد أهل النار . قال عمارة :

ترى الضيف بالصلعاء تغسق عينه

من الجوع حتى تحسب الضيف أرمدا (٣)

— وجاء فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات .. « وقال الطوسى وغيره حباب الماء النفاخات التى تراها فوق الماء ، الواحدة حبابة (كسحابة) قال عمارة بن عقيل فى الحباب :

ولا متقلب الأمواج يبقى .·. إلى نجواته السفن الحباب

فجعل الحباب هاهنا الموج» (٤) اهـ .

— واحتج بشعره أبو سليمان الخطابى المتوفى (٣٨٨ هـ)

— جاء فى غريب الحديث : « قال الأصمعى أزى يأزى (كرمى يرمى) أزيا (بضم فكسر فتضعيف) إذا انقبض ودنا بعضه من بعض . وأنشدنى بعض أهل اللغة :

---

(١) الأغانى (ط ١٢٨٥هـ) ٢٠/١٨٧ .
(٢) نفسه ٢٠/١٢٣ .
(٣) كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنبارى تحقيق محمد أبى الفضل ص ٥ .
(٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (هارون) ص ١٣٨ .

هذا زمان مُوَلٌّ خيرُه آزى .·. صارت رءوسٌ به أذنابَ أعجازِ»(١) اهـ

وصدر هذا البيت فى اللسان ، جاء به ابن برى ونسبه لعمارة (٢)

— وجاء فيه : « يقال مضى لطيته : أى لنيته ووجهته ، وقد بعدت عنا طيته قال ذو الرمة .. وقال عمارة بن عقيل :

بل أيها الراكب الماضى لطيَّته .·. بلِّغْ حنيفة وانشر فيهم الخبرا (٣)

— واحتج بشعره أبو عثمان السرقسطى فى كتاب الأفعال . جاء فيه : « غثر الطائر غثرة كالغبرة والأنثى غثراء : قال عمارة :

حتى اكتسيت من المشيب عمامة .·. غثراء أُغفر لونها بخضاب» (٤)

— واحتج فى لسان العرب بشعر عمارة فى تراكيب خدر ، غثر ، حيص ، بوزق ، زنبق ، زهق ، هدلق ، هرق ، يلمق (٥)

— جاء فى (حدر) : قال ابن الأعرابى أصل الخدارىّ (يعنى من قولهم للعقاب خُدارية لشدة سوادها) أن الليل يُخْدر الناس أى يُلبسهم ، ومنه قوله والدَّجْن مُخْدِر أى ملبس ومنه قيل للأسد خادر . قال الأزهرى وأنشدنى عمارة لنفسه (٦) :

فهن جائلة الوشاح كأنها .·. شمس النهار أكلّها الإخدار

أكلها أبرزها وأصله من الانكلال وهو التبسم» (٧) اهـ .

---

(١) غريب الحديث للخطابى تحقيق عبد الكريم العزباوى ١/١٣٩ .
(٢) اللسان (أزا) ١٨/٣٣ وابن برى كثير الاحتجاج بعمارة بن عقيل
(٣) انظر الكامل للمبرد/الدلجمونى ٢/٢٣٩ .
(٤) كتاب الأفعال ٢/٣٧ .
(٥) معجم الشعراء فى لسان العرب ٢٩٤ والتمام د. حمود القيسى مجلة المجمع العلمى العراقى ٣٣/٥٢٧ وقد راجعت تلك التراكيب .
(٦) كذا عبارة اللسان والذى فى التهذيب ٧/٢٦٥ يقضى أن هذه رواية الأزهرى عن العراقى عن ابن السكيت عن عمارة وهو الصواب الذى لا يتأتى غيره .
(٧) اللسان (خدر) ٥/٣١٣ — ٣١٤ .

— وجاء فى (حيض) : « وقال المبرد : سمى الحيض حيضاً من قولهم حاض السيل إذا فاض . وأنشد لعمارة بن عقيل :

أجالت حصاهن الذَّوارى وحيَّضت ... عليهن حيضاتُ السيولِ الطَّواحم

والذوارى والذاريات : الرياح» (١) اهـ .

— وانظر اللسان فى سائر التراكيب التى أسلفنا أن لعمارة شعراً استشهد به فيها .

— وجاء فى المقتضب للمبرد (محمد بن يزيد المتوفى ٢٨٢/٢٨٥ هـ) :

« .. أما قوله : « فظلت أعناقهم لها خاضعين » ففيه قولان : أحدهما أنه أراد بأعناقهم جماعتهم من قولك أتانى عنق من الناس أى جماعة . وإلى هذا كان يذهب بعض المفسرين . وهو رأى أبى زيد الأنصارى . وأما ما عليه جماعة أهل النحو وأكثر أهل التفسير فيما أعلم فإنه أضاف الأعناق إليهم يريد الرقاب ، ثم جعل الخبر عنهم لأن خضوعهم بخضوع الأعناق . ومن ذلك قول الناس : ذلت عنقى لفلان وذلت رقبتى لك . قال عمارة :

فإنى امرؤ من عصبة خندفية ... أبت للأعادى أن تديخ رقابُها

جعل « للأعادى » تبييناً ولم يدخله صلة أن »(٢) اهـ . قال المحقق الشيخ عبد الخالق عضيمة رحمه الله : « ويظهر أنه يريد بعمارة عمارة بن عقيل فقد روى له كثيراً فى الكامل(٣) » اهـ .

---

(١) اللسان (حيض) ٤١٢/٨ .

(٢) المقتضب (تحقيق عضيمة) ١٩٩/٤ وقد ذكر المحقق فى تعليقه هنا أن الصواب فى قوله [illegible] من داخ يديخ : ذل وأنها جاءت بالواو أيضاً داخ يديخ ويدوخ : ذل وخضع . وقيل إن أبا عبيدة وحده حكى ذيخه (بالمعجمة) بمعنى ذلله . وبين المحقق أن قول المبرد « جعل » « للأعادى » تبييناً يريد به أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف . ولا يجوز تعلقه بالفعل تديخ لأنه صلة أن ، ولا يتقدم ما يتعلق بالصلة على الموصول .

(٣) المقتضب ١٩٩/٤ .

— وقد اعتد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو على القالى بتفسير عمارة اللغوى لبعض الشعر الجاهلى (١) .

ثانيا : فى النحو وما إليه :

— جاء أبو الفتح بن جنى فى « المنصف » شرح « التصريف » للمازنى ببيت عمارة السابق (الذى ذكره المبرد) برواية :

وإنى امرؤ من عصبة خندفية ... أبت للأعادى أن تذل رقابها

= وقد جاء به المبرد من قبل احتجاجاً لتعبير العرب عن ذلة الأشخاص وخضوعهم بذلة الرقاب والأعناق كما قال تعالى « فظلت أعناقهم لها خاضعين » وكما قال عمارة فى هذا البيت(٢) .

أما ابن جنى فجاء به لبيان منع البصريين تقديم معمول الصلة أو شىء منها على الموصول ، وأن ماجاء من ذلك إنما هو على نية تقدير عبارة كالتى فيها الموصول قبل ذلك الشىء أو المعمول المقدم . كالشطر الذى أنشده المازنى : (كان جزائى بالعصا أن أجلدا)

وكالبيت الذى أنشده أبو العباس :

تقول وصكت صدرها بيمينها ... أبعلى هذا بالرحى المتقاعس

وكالبيت الذى أنشده أبو العباس أيضاً :

وإنى امرؤ من عصبة خندفية ... أبت للأعادى أن تذل رقابها

فالتقدير كان جزاؤه أن يجلد بالعصا ، و « المتقاعس بالرحى ، أبت أن تذل رقابها للأعادى ، ويسمون هذا المتعلق الذى قدم على الصلة تبيينا مخرجاً عن الصلة (٣) .

---

(١) انظر أمالى القالى (الأصمعى) ١٨٥/١ فى شرح بيت لسلامة بن جندل ، ٣٥/٢ فى شرح بيت لطفيل .

(٢) انظر المقتضب ١٩٩/٤ .

(٣) انظر المنصف بتحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ١٣٠/١ ويلحظ ما فى هذه الرواية من تعبير طفيف (وإنى ـ تذل) .

— وقد جيء بالبيت نفسه للمسألة نفسها في « الإنصاف » لأبي البركات الأنباري (١) .

— وجاء في شرح الأشموني للألفية : « وأما الثانية (يعني من أنواع كم) وهي الخبرية فمميزها يستعمل تارة كمميز عشرة ، فيكون جمعاً مجروراً ، وتارة كمميز مائة فيكون مفرداً مجروراً . . . . ومن الثاني قوله (يعني عمارة ابن عقيل) :

وكم ليلة قد بتها غير آثم (بناحية الحجلين منعمة القلب)

وقوله (يعني الفرزدق) :

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشاري » ا هـ (٢)

— ولنا أن نلحظ اتفاق عبارة الاستشهاد بكل من البيتين ، وتقديم الأشموني لبيت عمارة على بيت الفرزدق . مما يعني أنه ينظر إلى الشاهدين نظرة واحدة تماماً .

— هذا وبيت الشاهد مذكور أيضاً في شرح شواهد الألفية للعيني (٣) ، وهو مع بعض القصيدة في أمالي القالي بلفظ « ومن ليلة . . » (٤) .

٢٨ — أبو العميثل عبد الله بن خليد المتوفى (٢٤٠ هـ) (٥)

(كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر . وكان يفخم كلامه ويعربه ، وله كتاب التشابه ، وكتاب الأبيات السائرة ، وكتاب معاني الشعر (٦) .)

---

(١) الإنصاف بتحقيق محيي الدين ومعه الانتصاف له ٥٩٥ — ٥٩٦ .
(٢) الأشموني — مع الصبان ٤/٨٠ .
(٣) على ما في معجم شواهد العربية .
(٤) انظر أمالي القالي (تحقيق الأصمعي) ٢/٦٠
(٥) انظر الفهرست لابن النديم ٧٢ — ٧٣ .
(٦) السابق نفسه .

أولا : في متن اللغة وما إليه :

— جاء في كتاب الأفعال لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي (بعد ٤٠٠ هـ شهيداً) « هجأ الطعام الجوع سكنه » واستشهد له بقول أبي العميثل :

هجأ الجود مادحيه فهم بين مضيف أعراضه ومضاف (١) .

— وجاء في لسان العرب « قال أبو سعيد سمعت أعرابياً يقول بحضرة أبي العميثل : يسمى هذا النبت الذي يلزق بالثياب فلا يكاد يتخلص بتهامة : البلسكاء فكتبه أبو العميثل وجعله بيتاً من شعر ليحفظه قال :

تخبرنا بأنك أحوذي وأنت البلسكاء بنا لصوقا

ذكره على معنى النبات » (٢) ا هـ .

وهذا يحسب له رواية .

ثانياً : في النحو وما إليه .

(أ) استشهد الرضي الاستراباذي ٦٨٦ هـ في شرح الكافية ببيت من قصيدة لأبي العميثل ، جاء في أمالي القالي أنها قرئت على ابن دريد ، وأبو علي القالي يسمع (٣) . جاء في خزانة الأدب : « وأنشد . . .

وكلتها ثنتين كالماء منهما وأخرى على لوح (٤) أحر من الجمر

(شاهداً) لما تقدم قبله أعني أن الموصوف إذا كان بعضاً من مجرور بمن سواء تقدم المجرور كما مضى ، أو تأخر كما هنا (يعني الضمير في منهما) وهذا ذكر الشاهد فإن التقدير كلمتين منهما كلمة كالماء ، وأخرى أحر من الجمر . وتقدم المجرور أكثري (٥) » ا هـ .

(ب) واستشهد ببيته في البلسكاء — العلامة ابن عقيل (٧٦٩ هـ) في شرح

---

(١) انظر كتاب الأفعال ١/١٣٠ ، ١٣٩ .
(٢) لسان العرب (بلسك) ١٢/٢٨٣ .
(٣) أمالي القالي ١/٩٨ .
(٤) اللوح بالفتح ، وبالضم أيضاً العطش .
(٥) الخزانة (هارون) ٥/٥٩ .

قول ابن مالك فى التسهيل « ولا يتحمل غير المشتق ضميراً ما لم يؤول بمشتق » قال : « أى فيتحمل إن أول بمشتق نحو زيد أسد أى شجاع . ففى أسد ضمير مستتر وكذلك فى البلسكاء فى قوله :

تخبرنا بأنك أحوذى ... وأنت البلسكاء بنا لصوقا

والبلسكاء حشيشة تلصق بالثياب كثيراً . . » (١) اهـ

٢٩ — دعبل بن على الخزاعى (٢٤٦هـ) (٢)

— قيل عنه إنه خاتمة الشعراء . ووصفه الأصفهانى بأنه مطبوع ، وقال البحترى « دعبل بن على أشعر عندى من مسلم بن الوليد . لأن كلام دعبل أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم » (٣) .

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

— احتج بشعره جار الله الزمخشرى فى الفائق حيث جاء فى شرحه قول عمرو بن مسعود يصف نفسه وقد أسن « ما تسأل عمن ذبلت بشرته ، وقطعت ثمرته . . » قال ثمرته : نسله . . ويجوز أن يكنى بها عن العضو ، ويريد انقطاع قدرته على الملامسة وانقطاع شهوته لقوله (فى بقية الكلام) « وأجم النساء » وقد أنشد بعضهم :

مازال عصياننا لله يرذلنا ... حتى دفعنا إلى يحيى ودينار
إلى عليجين لم تقطع ثمارهما ... قد طال ما سجدا للشمس والنار

يريد لم يختنا » (٤) قال محقق الفائق الشعر لدعبل فى ديوانه (٥) .

ثانياً : فى النحو وما إليه :

(أ) جاء فى أوضح المسالك لابن هشام المتوفى ٧٦١هـ فى الكلام عن حالات كون تقدم الفاعل على المفعول واجباً — الحالة الثانية : أن يحصر

(١) المساعد لابن عقيل (تحقيق د. بركات) ١/٢٢٧ .
(٢) انظر عنه الأغانى (الهيئة المصرية) ٢٠/١٢٠ — ١٨٧ ثم تاريخ التراث (الشعر) ٤/٩٠ ، والأعلام ٢/٣٣٩ ومصادر ترجمته التى ذكراها .
(٣) انظر الأغانى (الهيئة المصرية) ٢٠/١٢٣ ، ١٢٠ ، ١٣٦ على التوالى .
(٤) الفائق تحقيق محمد أبى الفضل ١/١٧٤ — ١٧٥ .
(٥) انظر الموضع سبق نفسه

المفعول بإنما ، نحو « إنما ضرب زيد عمراً » ، وكذا الحصر بإلا عند الجزولى وجماعة . وأجاز البصريون والكسائى والفراء وابن الأنبارى تقديمه على الفاعل كقوله (وهو دعبل الخزاعى) :

ولما أبى إلا جماحا فؤاده ... (ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل)

وقوله (قيل إنه لمجنون بنى عامر ، ولم يوجد فى ديوانه) :

(تزودت من ليلى بتكليم ساعة) ... فما زاد إلا ضعف ما بى كلامها

وقوله (وهو زهير بن أبى سلمى) :

(وهل ينبت الخطى إلا وشيجه) ... وتغرس إلا فى منابتها النخل (١) اهـ

ولنا أن نلاحظ أن ابن هشام قدم بيت دعبل وهو بعد نطاق الاحتجاج كما وضع ، على بيت المجنون وهو إسلامى توفى سنة ٨٠هـ ، وهذا على بيت زهير بن أبى سلمى وهو جاهلى . وهذا يعنى تسويته بين تلك الشواهد فى الاستشهاد بها لا أنه جاء ببيت دعبل تمثيلا فقط .

(ب) وبعد فقد ذكر فى معجم شواهد العربية أن بيت دعبل هذا استشهد به فى شرح الأشمونى ، والتصريح ، وفى الهمع ، والدرر اللوامع (٢) .

٣٠ — أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى (الطائى الصغير) المتوفى (٢٨٤هـ)

(قال عنه أبو الفرج الأصفهانى : « شاعر فاضل فصيح ، حسن المذهب ، نقى الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء » وقال له أبو تمام : « أنت والله يا بنى أمير الشعراء غداً بعدى ») (٣) .

(١) أوضح المسالك لابن هشام تحقيق الشيخ محمد محيى الدين ٢/١٢٠ — ١٢٣ ، وتكملة الأبيات ونسبتها ، مع نفى وجود بيت المجنون فى ديوانه ، وكذلك القول بأن ابن هشام جاء ببيت دعبل تمثيلا كل ذلك من عمل شارح أوضح المسالك الشيخ محمد محيى الدين .
(٢) الأشمونى ٢/٥٧ ، والتصريح على التوضيح ١/٢٧٢ ، والهمع ١/١٦١ والدرر ١/١٤٣ .
(٣) الأغانى (الهيئة المصرية) ٢١/٣٧ ، ٤٩ .

أولا : فى متن اللغة وما إليه .

(أ) جاء فى شفاء الغليل (استطراد) أن الاستطراد لغة هو مصدر استطرد الفارس من قرنه فى الحرب بأن يفر من بين يديه يوهمه الانهزام، ثم يعطف عليه على غرة منه مكيدة له . وأن معناه اصطلاحاً الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، ولم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثانى — قال الحاتمى (١) : إن أول من سماه البحترى، وقيل إنه سمعه من أبى تمام » (٢) .

(ب) وجاء فى شفاء الغليل أيضاً : « والأسطول مركب تهيأ للقتال ونحوه قال البحترى :

يسوقون أسطولا كأن سفينه   سحائب صيف من جهام ومُمطر (٣)

ثانياً : فى النحو وما إليه :

جاء فى شفاء الغليل : « فيض معروف . والمستفاض بمعنى المشهور خطأ . والصواب المستفيض .

صرح به أكثر أهل اللغة . أقول (الخفاجى) قد سمع فى كلام من يوثق به . قال البحترى :

أفرطت لوثة ابن أيوب والشائع من فن رأيه المستفاض .

وقال أبو تمام :

صلتان أعداؤه حيث حلوا   فى حديث من عرفه المستفاض .

قال التبريزى فى شرحه : أهل اللغة يزعمون أنه لا يقال إلا حديث مستفيض . والقياس لا يمنع أن يقال مستفاض . وهو من فيض الماء .

(١) الحاتمى هو محمد بن الحسن بن المظفر أخذ عن ابن دريد وأبى عمر الزاهد، توفى (٣٨٨ هـ) .

(٢) شفاء الغليل (استطراد) ص ٥٠ (طبعة د. خفاجى) وانظر الأغانى (الهيئة) ٤٨/٢١ .

(٣) شفاء الغليل (سطل) ١٤٥ .

فإذا قيل مستفيض فمعناه ; مشهور، واستفاض الناس فى الحديث وأفاضوا فيه، وحديث مستفيض ومستفاض منه (كذا ولعلها : فيه) على الحذف والإيصال .

ويمكن أن يكون استفاض الحديث من فوضت إليه الأمر (أى عينه واو) وتكون الياء منقلبة عن الواو كمستعين » (١) .

٣١ — عبد الله بن المعتز (٢٩٦ هـ)

قال عنه الأصفهانى إنه « ممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد، وأحسن وبرع، وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا، وأدبا وشعرا وظرفا، وتصرفا فى سائر الآداب .. وشعره .. فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين، ولا تقصر عن مدى السابقين . . » (٢) وقد وصف الثعالبى أبا فراس بالبلاغة والبراعة، وشعره بأنه بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة .. ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك، ثم قال : ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا فى شعر عبد الله بن المعتز . . » (٣) .

فى النحو وما إليه :

قال ابن هشام فى المغنى فى الكلام عن ليت : « وحكمه (أى ليت) أن تنصب الاسم وترفع الخبر . قال الفراء وبعض أصحابه : وقد ينصبهما كقوله :

ياليت أيام الصبا رواجعا

وبنى على ذلك ابن المعتز قوله :

مرت بنا سحرا طير فقلت لها   طوباك . ياليتنى إياك — طوباك

(١) شفاء الغليل (فيض) ص ١٩٩ .

(٢) انظر الأغانى ١٠/٢٧٤ م ٢٧٤ — ٢٨٧ حيث ترجمته فيه .

(٣) انظر اليتيمة (إيليا الحاوى) ١/٥٧ — ٥٩ .

ل عندنا محمول على حذف الخبر ، وتقديره « أقبلت » — لا
ه — خلافا للكسائى لعدم تقدم إنْ ولو الشرطيتين . ويصح بيت
معتز على إنابة ضمير النصب عن ضمير الرفع(١) » . ا هـ فهذا يدخل
فى الاحتجاج من باب التخريج .

وجاء فى المغنى لابن هشام فى لزوم إضافة إذ إلى جملة : « وقد يحذف
أحد شطرى الجملة فيظن من لاخبرة له أنها أضيفت إلى المفرد كقوله :

هل ترجعن ليال قد مضين لنا
والعيش منقلب إذ ذاك أفنانا

والتقدير إذ ذاك كذلك » (٢) ا هـ .

وجاء فى الهمع لنفس المسألة إلا أنه ذكر الشطر الأخير فقط (٣) .
وتناوله السيوطى فى شرح شواهد المغنى ثم قال : « رأيت فى الأغانى(٤)
مايدل على أن هذا البيت لعبد الله بن المعتز » ، وأورد عجزه « والدار
جامعة أزمان أزمانا » فالبيت إذاً ليس من شرط هذا الكتاب»(٥) ا هـ .

وجاء فى شفاء الغليل (ناى) « ناى ترم من الملاهى ، أعجمى معرب »
قال الأعشى .

والناى نرم ، وبربط ذو بحة والصنج يبكى شجوه أن يوضعا

قاله أبو منصور . وأصله بالفارسية ناى نرمين ثم عرب فى الشعر
القديم ، وكثر استعماله فى كلامهم ومنهم من أبدل الياء همزة كابن المعتز
فى قوله :

أين التورعُ من قلب يهيم إلى ساق بهيج وحسن العود والناء

(١) المغنى لابن هشام (محيى الدين) ٢٨٥ .
(٢) المغنى (محيى الدين) ٨٤ .
(٣) الهمع للسيوطى — مكرم ٣/ ١٧٤ .
(٤) البيت بعجزه الذى سيذكره فى الأغانى دار الكتب ١٠/٢٧٧
(٥) شرح شواهد المغنى للسيوطى ١/٢٤٧ — ٢٤٨ .

وقال آخر :

أما ترى الصبح يخفى فى دُجُنَّتِـه كأنما هو سقط بين أحشاء
والطير فى عذبات الدوح ساجعة تطابق اللحن بين العود والناء

وعربيه زمخر ، واسمه القصب ، وصاحبه قاصب وقصاب ، وجمعه
نايات . قال الشريف الرضى :

كفلت باللهو وافيةً لك نايات وعيدان

وقال ابن المعتز : يضج بالنايات والعيدان »(١) ا هـ .

— وقد جاء فى الأمالى الشجرية فى مسألة عودة الضمير على غير مذكور
للعلم به — بعد أن أورد شواهد أصلية كثيرة .

قال : ومنه فى شعر المحدثين قول دعبل :

إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق

أراد مضطلعا بالخلافة . وقول ابن المعتز :

ونَدمان دعوت فهب نحوى وسلسلَها كما انخرط العقيق

أضمر الخمر لأن ذكر الندمان دل عليها . ومن ذلك قول المتنبى :

خليلى ما هذا مُناخا لمثلنا فشُدَّا عليها وارحلا بنهار

أضمر المطايا لدلالة ذكر المناخ عليها . وهذا فى الشعر القديم والمحدث
غير محصور »(٢) ا هـ .

(١) شفاء الغليل للخفاجى طبعة د. محمد عبد المنعم خفاجى ٢٥٩ — ٢٦٠ .
(٢) الأمالى الشجرية ١/٥٩ — ٦٠ .

الفصل الثالث

شعراء القرن الرابع الذين احتج بشعرهم

٣٢ — أبو عبد الله محمد بن عبد الله (المفجع) المتوفى (٣٢٩) ﻫ

(لقى ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره ، وهاجى ابن دريد ، وله عدة كتب فى اللغة والنحو)(١) .

نسب إليه صاحب معجم الشعراء فى لسان العرب شعراً فى تركيبي (نزك) ، (لبن) (٢) .

والذى فى نزك ليس للمفجع وإنما هو رواه عن الكسائى (٣) ، والذى فى (لبن) شاهد صحيح فيه كنية عن متاع الرجل استشهد لها ابن برى ببيت للمفجع (٤) .

٣٣ — أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي المتوفى (٣٥٤ ﻫ)

(قال عنه ابن جنى : « وهو قريع دهره فى الشعر ، ونسيج وحده ، لا يختلف اثنان ممن يوثق بفهمه ومعرفته وجودة نقده الشعر — فى رصانة لفظه ، ومخترع كثير من معانيه ، ولو تناسب شعره للحق الصدر من

---

(١) انظر عنه الفهرست ١٢٣ ومعجم الأدباء ١٧/١٩٠ — ٢٠٥ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ٤٢٩ له كتاب معانى الشعر تناول فيه حد الإعراب ، الهجاء ، المطايا ، الشجر والنبات ، اللعز وله كتاب غريب شعر زيد الخيل ، وعرائس المجالس .

(٢) انظره ط ٢ ص ٤٠١ .

(٣) انظر اللسان (نزك) ١٢/٣٨٨ .

(٤) اللسان لبن ١٧/٢٦١ .

المحدثين ، وجاوز كثيراً منهم (١) » اهـ . وواضح أن معنى مجاوزته صدر المحدثين لحوقه بالمتقدمين فى بعض شعره على الأقل .

وقال عنه الشهاب الخفاجى فى شرح درة الغواص : « أجعل ما يقوله المتنبى بمنزلة ما يرويه » (٢) وهذا عين ماقاله الزمخشرى فى أبى تمام .

* * *

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

— اعترض ابن برى على ذكر الجوهرى فى الصحاح وصف فصوص الفرس بأنها ظماء — فى تركيب (ظمأ) وقال إنها من باب المعتل بدليل قولهم ساق ظمياء أى قليلة اللحم . ثم قال : « ولما قال أبو الطيب قصيدته التى منها :

فى مسرج ظامية الفصوص طمرة ... يأبى تفردها لها التمثيلا

كن يقول إنما قلت ظامية بالياء من غير همز لأنى أردت أنها ليست برهلة كثيرة اللحم (٣) اهـ فابن برى هنا يستشهد ببيت المتنبى وتوضيحه على أن ظماء جمع ظامية وأنها من المعتل لا المهموز :

— وللمتنبى أبيات فى تراكيب (ضطر ، أول ، قوم ، بون ، رأى) فى اللسان - جىء بها لتنزل على معان ذكرت من قبل أنها تأكيد للاستشهاد لا تأسيس (٤) .

— واحتج ابن هشام لكون الصفة من شبم هى شبم (بوزن فطن) بقول أبى الطيب :

(١) تفسير أرجوزة أبى نواس (الأثرى) ٤٠ - ٤١ .
(٢) القياس للشيخ محمد الخضر حسين ٣٦ .
(٣) اللسان (ظما) ١/١١٢ .
(٤) معجم الشعر . فى لسان العرب وتدرجه ك

واحرّ قلباهُ ممن قلبه شبم (١)

= واستشهد الشهاب الخفاجى على أن الفذلكة معناها إجمال عدد فصل من قبل بقول المتنبى :

نُسقوا لنا نَسق الحساب مقدما ... وأتى — فذلك إذ أتيت مؤخراً

ثم قال : « قال الواحدى الفذالك جمع فذلكة . وهى جملة الحساب لقولهم فيها : فذلك كذا (٢) اهـ .

= واستشهد على القلب فى كلمة « مشخلب » (= أردأ الخرز) بحيث تقدم الخاء على الشين بقول المتنبى :

بياضُ وجه يريك الشمس حالكة ... ودر لفظ يريك الدر مخشلبا (٣)

ثانياً : فى النحو وما إليه :

أ — احتج به الإمام الواحدى (٤٦٨ هـ) حيث خرج تعديته الفعل «قاس» بـ « إلى » فى قوله :

بمن نضرب الأمثال ، أم من نقيسه ... إليك ، وأهل الدهر دونك ، والدهر؟

على أن فى « قاس » معنى الضم والجمع ، كأنه قال من أضمه إليك فى الجمع بينكما والموازنة ، أو أن (قاس) ضمنت معنى الانتهاء (٤) ؛ فهذا التخريج يعنى الثقة فى سلامة سليقة الشاعر وفصاحته ، بحيث يقبل تصرفه فى التعبير ، ويتأول له شأن كلام العرب الفصحاء ، ولولا ذلك لرد عليه .

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تحقيق حسن أبوناجى ص ٩٧
(٢) شفاء الغليل (فهرست) ٢٠٤ — ٢٠٥ .
(٣) شفاء الغليل (مشخلب) ص ٢٣٥ وفيه أن الواحدى قال إن اللفظ ليس عربياً وإن العرب تقول له الخضض .
(٤) شفاء الغليل (قاس) تحقيق د. خفاجى ٢١٥ .

ب — واحتج به ابن السيد البطليوسى (٥٢١ هـ) — وهو إمام لغوى كبير (١) — فأورد فى الاستشهاد على صحة إضافة آل إلى الضمير فى قول المتنبى :

والله يسعد كل يوم جدَّه ويزيد من أعدائه فى آله

ثم قال : « وأبو الطيب وإن كان ممن لا يحتج به فى اللغة ؛ فإن فى بيته هذا حجة من جهة أخرى : وذلك أن الناس عنوا بانتقاد شعره ، وكان فى عصره جماعة من اللغويين والنحويين – كابن خالويه(٢) (٣٧٠هـ) ، وابن جنى (٣٩٢ هـ) وغيرهما . وما رأيت منهم أحداً أنكر عليه إضافة آل الى المضمر (٣) ؛ وكذلك جميع من تكلم فى شعره من الكتاب والشعراء، كالواحدى (٤٦٨ هـ) وابن عباد (٣٨٥ هـ) (٤) ؛ والحسن ابن وكيع (٣٩٣ هـ) . ولا أعلم لأحد منهم اعتراضاً على هذا البيت(٥) .

حـ — واحتج بشعره الإمام هبة الله بن الشجرى (٥٤٢ هـ) فى استعمال الحروف (الثنائية) أسماء مع إعرابها وتنوينها دون تضعيف ودون إدخال (ال) عليها . وبعد أن ذكر شاهدين للتضعيف ، وإدخال أل قال : « ومن المعرب المنون قول المتنبى :

من اقتضى بسوى الهندى حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

يعنى إذا سئل هل قضيت حاجتك ؟ قال لم تقض (٦) »

---

(١) عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى له شرح على : الموطأ ، أدب الكاتب ، سقط الزند ، ديوان المتنبى ، أبيات الجمل وغير ذلك (البغية ٢/٥٥) .

(٢) الحسين بن أحمد بن خالويه له : الجمل فى النحو ، الاشتقاق ، شرح الدريدية ، المقصور والممدود ، القراءات . . وغير ذلك (البغية ١/٥٣٠) .

(٣) مسألة إضافة آل إلى الضمير فى المساعد ٢/٣٤٧ والأشمونى (مع الصبان) ١/١٣ .

(٤) إسماعيل بن عباد الوزير الملقب بالصاحب له معجم المحيط باللغة ، والكشف عن مساوىء المتنبى ، وجوهرة الجمهرة وديوان شعر . . (البغية ١/٤٤٩) .

(٥) القياس للشيخ محمد الخضر حسين ص ٣٧ — ٣٨ .

(٦) الأمالى الشجرية ٢/٢٢٩ — ٢٣٠ بتصرف وإيجاز .

— ولنلاحظ هنا أن ابن الشجرى لم يقدم مع بيت المتنبى شاهدا آخر للجزئية التى يشهد لها .

د — وسئل ابن الشجرى عن صحة بيت أعملت فيه « لا » فى المعرفة . فعلل لاختصاص عملها بالنكرة بأنها ليست أصيلة فى العمل ، وإنما تعمل تشبيهاً بليس ، فهى ضعيفة فى العمل فعملت فى النكرات لأنها ضعيفة أيضاً . ثم قال : « وجاء فى شعر المتنبى إعمال « لا » فى المعرفة فى قوله :

إذا الجود لم يُرزَق خلاصاً من الأذى
فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

قال : ووجدت أبا الفتح عثمان بن جنى غير منكر لذلك ، ولكنه قال بعد إيراد البيت : شبه « لا » بـ « ليس » فنصب بها الخبر » . ثم ذكر (ابن الشجرى) أنه مر به بيت للنابغة يؤول بإعمالها فى المعرفة . ثم وجد لبيت النابغة رواية صريحة فى ذلك الإعمال (٢) .

= وجاء فى مغنى اللبيب من أحكام لا العاملة عمل ليس : « الجهة الثالثة أنها لا تعمل إلا فى النكرات خلافاً لابن جنى وابن الشجرى . وعلى ظاهر قولهما جاء قول النابغة :

وحلت سواد القلب : لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا

وعليه بنى المتنبى قوله « إذا الجود . . (البيت) (٢) .

— ولنا أن نلحظ :

— أن ابن جنى لم يخطىء المتنبى ، بل وجه أسلوبه الذى أعمل فيه لا فى المعرفة — رغم اشتراط تنكير معمولها إذا أعملت — بأنه شبه « لا » بليس . ومعنى هذا التوجيه أن الأسلوب صحيح ويمكن أن يقاس عليه .

---

(١) الأمالى الشجرية ١/٢٨١ — ٢٨٢ بتصرف وإيجاز .

(٢) مغنى اللبيب (محيى الدين) ٢٤٠ .

= وأن ابن الشجرى اعتد بموقف ابن جنى هذا فى توجيه كلام المتنبى وعدم تخطئته .

= وأن ابن الشجرى حلل رواية بيت النابغة التى ليست صريحة فى إعمال لا فى المعرفة لبيّن إعمال لا — متقوياً ببيت المتنبى — قبل أن يجد الرواية الصريحة .

= وأن ابن هشام عد موقف ابن جنى وابن الشجرى هذا المبنى أساساً على عدم إنكار عبارة المتنبى ، وعلى توجيه هذه العبارة — عد ذلك قولا أى مذهباً لهما .

* * *

هـ — واستشهد رضى الدين الاستراباذى (٦٨٦هـ) بشعر المتنبى فى ثلاثة مواضع منها قول المتنبى :

إنما أنفس الأنيس سباع ٭ يتفارسْن جهرة واغتيالا

على أن همزة (إنسان) أصلية لأن الأنيس هنا بمعنى الإنس (بالكسر)، وقد سبق أن احتج ببيت من شواهد سيبويه :

فقلت إلى الطعام فقال منهم ٭ فريق نحسد الإنس الطعاما

على أن « الإنس » (بالكسر) يدل على أن همزة إنسان أصل ، وأنه مأخوذ من « الأنس » (بالضم) لا من النسيان (١) ، وكذلك الأنيس بمعنى الإنس (بالكسر) فالكلمات الثلاث من الأنس (بالضم) .

* * *

و — واستشهد ابن هشام (٧٦١ هـ) فى المغنى وغيره بشعر المتنبى . ومن ذلك ما جاء فى المغنى :

---

(١) انظر شرح الشافية المحقق ٤/٢٩٥ — ٢٩٦ وينبغى أن تكون همزة « أنس » فى السطر ١٠ من ص ٢٩٦ أعلى الألف ليستقيم الكلام . هذا وقد سقط الشاهدان من شرح الرضى للشافية وموضعهما جـ ٢/٣٤٩ — وقد ذكر المحققون أن هناك اختلافاً فى نسخ شرح الشافية وأن بعض النسخ سقط منها شواهد (انظر جـ ٤ ص ٣ هامش) .

« تنبيه : أضيفت إذ إلى الجملة الاسمية فاحتملت الظرفية والتعليلية فى قول المتنبى :

أمِنَ ازْديارك فى الدجى الرقباء ٭ إذ حيث كنتِ من الظلام ضياء . الخ (١)

— وجاء فى المساعد فى باب التنازع بشأن أحكام الضمير غير المرفوع من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير قال ابن مالك : « ولا يلزم حذفه أو تأخيره معمولا للأول ، خلافاً لأكثرهم ... » .

قال ابن عقيل : « فيجوز عند المصنف ضربته وضربنى زيد ، ومررت به ومر بى زيد بإثبات الهاء » وعليه :

إذا كنت ترضيه ، ويرضيك صاحب ٭ جهاراً فكن للغيب أحفظ للعهد

وقوله :

ألا هل أتاها على نأيها ٭ بما فضحت قومها غامد (٢)

اهـ (الشاهد تقدم الضمير المنصوب فى « أتاها » على مرجعه غامد) والبيت الأخير هذا للمتنبى (٣) .

— وهناك فى المساعد بيت آخر للمتنبى اختلف فى تأويله ابن جنى وابن عصفور (٤) .

— هذا ، إلى مئة واثنتى عشرة قافية (أعنى ١١٢ بيتا) من شعر المتنبى استشهد بها فى مئة وستين موضعا من حوالى ثمانية عشر مصنفا من مصنفات النحو والصرف التى شملها معجم شواهد العربية (٥) ،

---

(١) المغنى (محيى الدين) ٨٦ وهناك إعراب البيت وشرحه .

(٢) المساعد ١/٤٥٦ — ٤٥٧ .

(٣) على ما فى معجم الشواهد ١٠٢ وقال محقق المساعد إنه لم يعثر على قائل البيت الأول .

(٤) انظر المساعد ٢/٥٢٩ — ٥٣٠ .

(٥) أحصيت تلك القوافى والمواضع والمصنفات بتتبع ما ذكر فى معجم شواهد العربية . ثم إنى درست كثيراً منها فى مواضعها من مصنفاتها فوجدت معظم ما ذكر فى الخصائص لابن

وعدا ما فى كتب النحو والصرف التى لم يشملها المعجم كشرح الكافية الشافية لابن مالك ، والمساعد لابن عقيل على التسهيل ، وأوضح المسالك وغيرها وعدا ما فى كتب تنقية اللغة ونقدها كشفاء الغليل للخفاجى . وربما نقف بعد عند شىء من هذا .

٣٤ — أبو فراس الحمدانى (٣٥٧ هـ)

قال عنه الثعالبى : كان فرد دهره .. أدبا وفضلا .. ومجدا وبلاغة وبراعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا فى شعر عبدالله ابن المعتز . وأبوفراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام : وكان الصاحب بن عباد يقول « بدىء الشعر بملك ، وختم بملك : يعنى امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبى يشهد له بالتقدم والتبريز .. (١) » اهـ وقال عنه الشهاب الخفاجى « أبوفراس ثقة ممن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » اهـ (٢)

فى النحو وما إليه .

— جاء فى شفاء الغليل للخفاجى : « تعالىْ فى الأمر بفتح اللام (أى وسكون الياء) قال ابن هشام وكسرها لحن (٣) كما تستعمله العوام ولحن أبا فراس فى قوله فى شعره المشهور :

= جنى والأمالى لابن الشجرى والحماسة للمرزوقى من أبيات للمتنبى إنما هى فى مجال المعنى الفكرى أو الشعرى ، أما ماجاء فى غيرها كالمغنى والتصريح والشذور وشرح المفصل لابن يعيش والأشمونى والهمع والدرر اللوامع وشرح شواهد الشروح للعينى والخزانة للبغدادى فكل شواهد شعر المتنبى فيها — أوجبها — هى فى النحو والصرف ، وبعضها نوقش أو يقبل المناقشة فى اعتداده شاهداً ، ولكن نسبة مثل هذا لا يمكن أن ينزل كثيراً بعدد الشواهد الصحيحة فى مجموع المواضع التى وردت فيها تلك الشواهد وهى تصل إلى مئة وستين موضعاً .

(١) يتيمة الدهر (إيليا الحاوى) ١/٥٧ — ٥٩ ، وترجمته فيها ١/٥٧ — ١٢٩ .

(٢) شعره عدد (د عبد سعيد حدجى) ٨٤ — ٨٥

(٣) انظر شرح شذور الذهب (محيى الدين) ٢٢ — ٢٣ .

تعالِى أقاسمكِ الهموم تعالِى

.. وأصلها الأمر لمن كان فى سُفل أن يأتى محلا مرتفعاً ، ثم استعملت لمطلق المجىء . وما زعموه من اللحن ليس كما قالوا ، فإنه سمع وقرىء به . وأبوفراس ثقة ممن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . قال فى الدر المصون فى تفسير قوله تعالى « تعالوا إلى كلمة سواء .. » .... وقرأ الحسن وأبو السمال وأبو واقد : تعالُوا بضم اللام ، ووجه بأنه استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى اللام بعد حذف حركتها . والذى يظهر فى توجيهها أنهم تناسوا الحرف حتى توهموا أن الكلمة بنيت على ذلك ، وأن اللام هى الآخر فى الحقيقة فلذلك عوملت معاملة الآخر فضمت قبل واو الضمير وكسرت قبل يائه ، كما قالوا لم أبل . وقال الزمخشرى فى سورة النساء وعلى هذه القراءة قول الحمدانى : تعالِى أقاسمكِ الهموم تعالِى — بكسر اللام . وعاب بعض الناس عليه (أى على الزمخشرى) استشهاده بشعر هذا المولد المتأخر . وليس بعيب ، فإنه ذكره استئناسا ، كما بينته فى أول سورة البقرة فكيف يعاب عليه ما عرفه ونبه عليه . » اهـ (١) ولنا تعليقنا فيما بعد على خاتمة كلام الخفاجى هذه .

ب — وجاء فى أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك — لابن هشام فى أحكام الفاعل أن فعله يوحد مع تثنيته وجمعه كما يوحد مع أفراده ... وحكى البصريون عن طيىء وبعضهم عن أزد شنوءه نحو ضربونى قومك قال (عمرو بن ملقط) :

ألفيتا عيناك عند القفا .

وقال ... وقال (أبوفراس الحمدانى) :

نتج الربيع محاسنا .:. ألقحنها غرُّ السحائب . (٢)

(١) شفاء الغليل ٨٤ — ٨٥ .

(٢) أوضح المسالك ومعه عدة السالك للشيخ محمد محيى الدين ٢/٩٨ — ١٠٢ .

اهـ . قال العلامة الشيخ محمد محيي الدين في شرحه : « الشاهد فيه قوله « ألقحنها غر السحائب » حيث ألحق نون النسوة بالفعل الذى هو ألقح ، مع كونه مسندا إلى الاسم الظاهر بعده ، وهو قوله غر السحائب ». ثم قال: « هذا، واعلم أن كثيرا من النحاة ومنهم المؤلف هنا — يذكرون هذا البيت في شواهد هذه المسألة ، وأبوفراس قائله ليس ممن يستشهد بكلامه على قواعد العربية . فإما أن يكون مجهول النسبة عن هؤلاء فظنوه لشاعر يستشهد بقوله ، وإما أن يكونوا قد عرفوا نسبته إلى قائله، ولكنهم يذكرونه للتمثيل به لا للاستشهاد » (١) اهـ المراد . وسنناقش كلام الشيخ الأخير هذا بعد .

— وقد ذكر ابن هشام البيت نفسه في شذور الذهب شـاهدا على المسألة نفسها . (٢).

(١) نفسه ٢/١٠٣ .

(٢) شذور الذهب ومعه منتهى الأرب للشيخ محمد محيي الدين ١٧٨ .

الفصل الرابع

شعراء القرن الخامس الذين احتج بشعرهم

٣٥ — أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نُباتة السعدى (٤٠٥هـ) (١)

[من شعراء سيف الدولة . قال عنه أبوحيان : « شاعر الوقت ، حسن الحذو على مثال سكان البادية ، لطيف الائتمام بهم ، خفيّ المغاص في واديهم » (٢) وقال عنه ابن خلكان : كان شاعرا مجيدا ، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى . . . » (٣) .

أولا : في متن اللغة وما إليه :

جاء في شفاء الغليل « . . . نعم المَلَق والمَلَقَة (بالتحريك فيهما) بمعنى الماء في منخفض الأرض صحيح بإطلاق اسم المحل على الحالّ لوروده في اللغة بمعنى ما استوى من الأرض . ووقع في شعر من يوثق به بمعنى الخضوع قال ابن نباتة السعدى :

وغاض طافى الملقات فى الفسق

وانكدرّ الليل على باقى الغسق .

قال الصولى فى شرحه : الملقات الجبال ، وانكدر انصب — ولم ينكره . وقال إن الملق الخضوع ، ومنه قيل للأكمة المفترشة ملقة أيضا . » (٤) اهـ أقول كأن الصولى خرّج استعمال ابن نباتة للفظ الملقة

(١) تنظر ترجمته في وفيات الأعيان (تحقيق محيي الدين) ٢/٣٦٢ وفي الأعلام ٤/٢٣ — ٢٤ .

(٢) هذه عن الأعلام ٤/٢٣ (٣) وفيات الأعيان ٢/٣٦٢ .

(٤) شفاء الغليل (ملق) ٢٣٨ .

بمعنى الأكمة المفترشة على أساس أن الملق مستعمل فى الخضوع وهو انخفاض معنوى ، والأكمة المفترشة منخفضة السطح نسبيًا بمعنى أنها مستويته غير ناتئته . وهذا التخريج عكس الأصل الذى هو حمل المعنوى على الحسى إلا أن ينظر فى الخضوع إلى أصله الحسى أيضا .

ثم أقول إن هذا الاستعمال أعنى الملقة بمعنى الأكمة المفترشة (وهو المقصود فى تفسير الملقات بالجبال هنا) ليس جديدا بحيث يحتاج إلى احتجاج . فقد ورد فى اللسان بنصه (١) . ولكن الشاهد هنا هو تخريج الصولى لكلام ابن نباتة واحتجاج الخفاجى بهما .

ثانياً : فى النحو وما إليه :

جاء فى الأمالى الشجرية أن العرب جمعوا لفظ كسرى (لقب ملك الفرس) جمعين على غير القياس الأكاسرة ، والكسور . ثم قال : « واستعمل الكسور أبونصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة فى قصيدة مدح بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة ، وابنه أبا منصور فقال :

وتفرّست فيه غير مُخاب . (أنه) كائن أبا الكسور (٢) .

(وقد ذكر هذا الجمع فى اللسان (كسر) وتاج العروس (كسر) بدون شاهد) (٣) .

٣٦ — الشريف محمد بن الحسين الرضى المتوفى (٤٠٦ هـ)

قال عنه الثعالبي : « هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر ، على كثرة شعرائهم المفلقين .. ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالى القدح ، الممتنع عن القدح ، الذى يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها » ونقل ذلك ابن خلكان . ومن

(١) ل ملق ١٢/٢٢٥/٢ . (٢) الأمالى الشجرية ١/ ٩٥ .

(٣) انظر اللسان كسر ٦/٤٥٧ سطر ١٢ وتاج العروس ٣/٥٢٢ .

كتبه مجاز القرآن ، والمجازات النبوية ، وحقائق التأويل فى متشابه التنزيل ، وغيرها (١) .

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

— جاء فى شفاء الغليل للشهاب الخفاجى :

« شعشعة الشمس بمعنى انتشار ضوئها لم يسمع من العرب ، حتى إن العلامة قال فى شرح ديباجة المطالع : « شعشعة من ذكاء » ثم نبه بعض الأدباء له ولغيره ، وإنما وردت بمعنى المزج كما قال فى بيت المعلقات :

مشعشعة كأن الحُصّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

(قال الخفاجى) : لكنها وردت فى كلام من يوثق به : قال الشريف الرضى (توفى ٤٠٦هـ) :

ضوء تشعشع فى سواد ذؤابتى
لا أستضىء به ولا أستصبح

وقال مهيار (٤٢٨ هـ) :

لـكن عميد الدولة الشمس الذى
عنت الوجوه لنوره المتشعشع

وقال الصورى (عبد المحسن بن غلبون الصورى ٤١٩هـ) :

وتشعشعت عوعاء(٢) من شمسه شمس لهـا مكسوفة صفراء

(قال الخفاجى) ولم أقف على نقل فيها حتى رأيت العلامة الشامى (محمد بن يوسف صاحب السيرة ٩٤٢ هـ) قال فى سيرته فى قوله ..

(١) انظر اليتيمة (محيى الدين) ٣/ ١٣١ وفيها نماذج من شعره إلى ص ١٥١ ، وانظر وفيات الأعيان (محيى الدين) ٤/ ٤٤ — ٤٨ وعن ترجمته انظر تاريخ التراث (الشعر) ٤/ ١٨٧ وما أشار إليه من المراجع ، وكذلك الأعلام ٦/ ٩٩ .

(٢) قوله عوعاء كذا هى فى الشفاء تحقيق د. عبد المنعم خفاجى . والذى فى لسان العرب وتاج العروس (عوى) أن العواء (ككتانة) ويقصر : منزل من منازل القمر ، خمسة كواكب أو أربعة كأنها كتابة ألف ولعل هذا هو المقصود . وليس فى المعجمين (عوع) إلا العوعاء والعوعاة (بالفتح) الصوت واللجبة .

نشاهد في عدن ضياء مشعشعاً
يزيد على الأنوار في النور والمدى

« ضياء مشعشع . منتشر » . « وهو ثقة »(١) اهـ كلام الخفاجي .

ثانيا : في النحو وما إليه :

ا — احتج بشعره العلامة بهاء الدين بن عقيل المتوفى (٧٦٩ هـ) في شرحه لتسهيل ابن مالك المسمى المساعد على تسهيل الفوائد . في مسألة نصب المضارع بأن مضمرة بعد واو المعية إذا وقع ذلك المضارع بعد أمر أو نهي أو دعاء أو استفهام الخ . قال ابن عقيل : « فالأمر : فقلت ادعي وأدعو .. (البيت) ، والنهي كقول أبي الأسود : لا تنه عن خلق وتأتي مثله (البيت) . . . والاستفهام : ما أنشده بعض النحويين :

أتبيت ريانَ الجفون من الكرى
وأبيتَ منك بليلة الملسوع

قال شيخنا : ولا أدري أهو مسموع أم مصنوع(٢) » اهـ .

وهذا البيت للشريف الرضي وهو في ديوانه(٣) . ولنا أن نلحظ أن ابن عقيل يشير إلى نحويين سبقوه أنشدوا البيت مستشهدين به ، وأن شيخه (أبا حيان المتوفى ٧٤٥ هـ) عرف ذلك الشاهد . وسياق كلام ابن عقيل يدل على أن البيت أنشده ذلك (البعض) من النحويين قبل شيخه أيضا . وبثبوت البيت في ديوان الرضي يسقط تشكك الشيخ فيه — إلا أن يكون قد أراد بالمصنوع ما كان من كلام (المولدين) حسب التحديدات التي أسلفناها .

• هذا : وقد احتج العلامة أبو الحسن الأشموني (نحو ٩٠٠ هـ) بالبيت نفسه في المسألة نفسها فقال : « والرابع الاستفهام كقوله :

(١) شفاء الغليل ١٥٧ .
(٢) المساعد تحقيق د. محمد كامل بركات ٣/ ٩١ .
(٣) قال محقق المساعد البيت في ديوان الشريف الرضي ١/ ٤٩٧ .

أتبيت ريان الجفون من الكرى
وأبيت منك بليلة الملسوع (١)

اهـ . ولم يعلق بشيء .

ب — أما العلامة الشيخ يس بن زين الدين الحمصي المتوفى ١٠٦١ هـ فقد جاء في حاشيته على التصريح بالبيت نفسه لكن ليستشهد به على عمل بات عمل كان وأخواتها فقال بعد سرد أخوات كان نحو : وكان ربك قديرا ، .... وأتبيت ريان الجفون .. (البيت) (٢) . وقد استشهد به في الهمع أيضا(٣) . وقال في الدرر اللوامع بعد أن ذكر البيت — « واستشهد به على النصب بأن مضمرة بعد الواو في جواب الاستفهام والبيت من شواهد الأشموني ... ولم أعثر على قائله »(٤) اهـ . وقد أسلفنا أنه من شعر الرضي وهو في ديوانه .

٣٧ — عبد المحسن بن محمد (ابن غلبون) الصوري (٤١٩ هـ)

٣٨ — ومهيار الديلمي (٤٢٨ هـ)

• عن ابن غلبون قال الثعالبي وابن خلكان : « أحد المحسنين الفضلاء والمجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام » وزاد ابن خلكان له ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان »(٥)

• وعن مهيار قال ابن خلكان إنه تخرج على الشريف الرضي في وزن الشعر ، ووازن كثيرا من قصائده ، وكان شاعرا جزل القول ، مقدما على أهل وقته .. ثم ذكر ثناء الباخرزي وابن بسام على شعره . ونقل الزركلي

(١) شرح الأشموني ٣/ ٣٠٧ .
(٢) حاشية الشيخ يس ١/ ١٨٤ .
(٣) همع الهوامع تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ٤/ ١٢٧ .
(٤) الدرر اللوامع ٢/ ١٠ .
(٥) يتيمة الدهر (ايليا الحاوي) ١/ ٤٦٩ ، ووفيات الأعيان (محيي الدين) ٢/ ٣٩٧ وترجمته فيهما وفي الأعلام ٤/ ١٥٢ ترجمة وإشارة إلى مصادر ترجمته .

قول الحر العاملي « جمع مهيار بين فصاحة العرب، ومعاني العجم » . وقول الزبيدي إنه شاعر زمانه ، وقول بعض العلماء إن خيار مهيار خير من خيار الشريف الرضي » (١) .

وذكره الشهاب الخفاجي ضمن من يوثق به على ما سيأتي .

• تقدم في احتجاج الشهاب الخفاجي بشعر الشريف الرضي أنه قال بصدد بيان صحة استعمالهم « شعشعة الشمس » بمعنى انتشار ضوئها — وهو تعبير قيل إنه لم يسمع من العرب — قال إن هذا الاستعمال ورد في كلام من يوثق به ثم ذكر من هؤلاء الذين يوثق بهم الصوري (وهو عبد المحسن ابن غلبون ٤١٩ هـ) القائل :

وتشعشعت عوعاء من شمسه ... شمس لها مكسوفة صفراء(٢)

ومهيار الديلمي القائل :

لكن عميد الدولة الشمس الذي ... عنت الوجوه لنوره المتشعشع

ثم قال الخفاجي — كما أسلفنا — ولم أقف على نقل فيها حتى رأيت العلامة الشامي (وهو محمد بن يوسف صاحب السيرة (٩٤٢ هـ) قال في سيرته في قوله :

نشاهد في عدن ضياء مشعشعا ... يزيد على الأنوار في النور والهدى

ضياء مشعشع : منتشر — وهو ثقة » (٣) إ هـ كلام الخفاجي .

٣٩ — أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى (٤٤٩) هـ :

يكفي في توثيق قدرته اللغوية أن نذكر بأنه صاحب «اللزوميات» و« سقط الزند » وشرحه « ضوء السقط » ورسالة الغفران وغيرها ، وأنه شرح دواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي . . (٤) .

(١) انظر وفيات الأعيان (محيي الدين) ٤/ ٤٤١ ، والأعلام ٧/ ٣١٧ ، وللمزيد من ترجمته ارجع إلى مصادرها التي ذكرت في الأعلام .
(٢) شفاء الغليل ١٥٧ . (٣) نفسه .
(٤) انظر عنه وفيات الأعيان ١/ ٩٤ — ٩٨ والأعلام ١/ ١٥٧ ومصادر ترجمته التي أشار إليها .

أولا — في متن اللغة وما إليه :

جاء في « شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » لجمال الدين بن هشام قوله « شبم : البرد الشديد . . وقد شبم الماء وخصر (كلاهما كفرح) وخرص الرجل (كفرح) اشتد برده مع الجوع والأفعال الثلاثة على فعِل يفعَل (يعني كفرح) ومصدرهن على الفَعَل بفتحتين ، ووصفهن بزنة الماضي . وقال أبو الطيب :

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم

وقال المعري :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم ... والعذب يهجر للإفراط في الخَصَر(١)

ثانيا : في النحو وما إليه :

• تردد قول المعري :

يذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالا

في بضع من أمهات كتب النحو شاهدا على ذكر خبر المبتدأ بعد لولا جوازا إذا كان كونا مقيدا — أو خاصا ، والكلام مشعر به . جاء بالبيت الإمام جمال الدين بن مالك (٦٧٢)هـ في شرحه للكافية الشافية (وهي من نظمه أيضا) قال : « فإن كان الإخبار بكون مقيد ، وكان المبتدأ ، الجواب مشعرا به (٢) جاز الإثبات والحذف كقول المعري في صفة سيف :

. . . . فلولا الغمد يمسكه لسالا(٣) اهـ

ولم يعقب على البيت بأنه محدث أو مولد أو أنه جاء به تمثيلا فحسب — مثلا .

• وجاء به الإمام جمال الدين بن هشام (٧٦١)هـ في أوضح المسالك مصححا

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير لجمال الدين بن هشام ٩٧ .
(٢) أي بالقيد إذا لم يذكر ويقصد بالجواب جواب لو لا
(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك د. هريدي ١/ ٣٥٥ — ٣٥٦ .

إياه وذكر أن الجمهور لحنوا المعرى(١) ، وكذا جاء به فى الشذور — بعد تعميم حذف الخبر بعد لولا — ثم قال بعده « فآثر ذكر الخبر وهو يمسكه»(٢) ولم يعقب بشى آخر.

وجاء به العلامة ابن عقيل (٧٦٩هـ) فى المساعد للمسألة نفسها على الوجه الذى ذكره له ابن مالك. ثم قال ابن مالك: « وهذا الذى ذهبت إليه هو مذهب الرمانى والشجرى والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس — يعنى القائلين بوجوب حذف الخبر بعد لولا مطلقا — بناء على أنه لا يكون إلا كونا عاما، وتأويل ماورد بخلاف ذلك. » ثم قال: ومن ذكر الخبر بعد لولا قول أبى عطاء السندى (كذا والصواب أنه لمسلم بن الوليد فى ديوانه) :

لولا أبوك ولولا قبله عمر ألقت اليك معد بالمقاليد(٣)

والذى جاء فى التصريح وفى شرح الأشمونى مماثل لما قال ابن عقيل وأضاف الأشمونى الرد على تلحين الجمهور للمعرى بأنه ورد مثله فى الشعر الموثوق به كقوله :

لولا زهير جفانى كنت معتذرا

قال: ويغنى عن تلحينه جعل يمسكه بدل اشتمال من الغمد»(٤)اهـ.

* * *

وزكى الدمامينى تثنية أبى العلاء للمشترك مرادا به معنيان فى قوله:

ألم تر فى جفنى وفى جفن منصلى غرارين ذا نوم، وذاك مشطب(٥)اهـ

(١) أوضح المسالك معه عدة السالك محيى الدين ١/ ٢٢١ — ٢٢٣ .
(٢) الشذور ومعه منتهى الأرب محيى الدين ٣٦ — ٣٧ .
(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ١/ ٢٠٩
(٤) الأشمونى ١/ ٢٦٨ .
(٥) الدرر اللوامع للشنقيطى ١/ ١٧ — ١٨ .

الفصل الخامس

شعراء القرن السادس الذين احتج بشعرهم

٤٠ — أبو محمد القاسم بن على الحريرى المتوفى (٥١٦)هـ

صاحب «درة الغواص فى أوهام الخواص . وملحة الإعراب ، وصاحب المقامات الشهيرة التى اشتملت — كما قال ابن خلكان — على شىء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها : ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل ، وكثرة اطلاعه ، وغزارة مادته »(١)

(أ) جاء فى المغنى لجمال الدين بن هشام (٧٦١ هـ) :

« الرابع (أى من معانى كأن) : التقريب قاله الكوفيون . وحملوا عليه كأنك بالشتاء مقبل . وكأنك بالفرج آت . وكأنك بالدنيا لم تكن . وبالآخرة لم تزل . وقول الحريرى :

كأنى بك تنحط إلى اللحد وتنغط . (٢) اهـ .

(ب) وجاء فى همع الهوامع (٣) أن من شروط التثنية : « اتفاق

(١) وفيات الأعيان (محيى الدين) ٣/ ٢٢٧ ، وانظر عنه أيضاً الأعلام ٥/ ١٧٧ وما ذكره من مصادر ترجمته .
(٢) مغنى اللبيب (محيى الدين) ١٩٢ .
(٣) همع الهوامع تحقيق العلامة عبد السلام هارون ود. عبد العال سالم مكرم دار البحوث العلمية ١/ ١٣٩ — ١٤٣ .

لفظ فلا يثنى ولا يجمع الأسماء الواقعة على مالا ثانى له فى الوجود كشمس وقمر والثريا — إذا قصدت الحقيقة . وهل يشترط اتحاد المعنى ؟ فيه أقوال : أحدها نعم ، وعليه أكثر المتأخرين فمنعوا تثنية المشترك والمجاز وجمعها ، ولحنوا (المعرى) فى قوله :

جاد بالعين حين أعمى هواه ∴ عينه فانثنى بلا عينين.

والثانى : لا ، وصححه ابن مالك تبعاً لأبى بكر بن الأنبارى (محمد ابن القاسم ٣٢٧) قياسا على العطف ، ولوروده فى قوله تعالى « وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق » . وقوله صلى الله عليه وسلم « الأيدى ثلاثة : فيد الله العليا ، ويد المعطى ، ويد السائل السفلى » (١) .

وجاء فى الدرر اللوامع للعلامة أحمد بن الأمين الشنقيطى تعليقا على قوله : ولحنوا المعرى فى قوله : —

جاد بالعين حين أعمى هواه ∴ عينه فانثنى بلا عينين.

قال : « أورده على أن المشترك لا تجوز تثنيته ، وأن مثل هذا البيت خطأ . قلت البيت ليس للمعرى بل هو للحريرى أورده فى مقامته العاشرة. على أن تلحينه ليس بجيد . ويكفى فى ذلك أن ابن الخشاب (٥٦٧هـ)(٢) لم يتعرض له فى هذا البيت مع تحامله عليه . والمسألة إذا ورد فيها خلاف ولو ضعيفا لا يسوغ فيها اعتراض . وأكثر النحاة على ما ذهب إليه السيوطى من أن من شروط المثنى أن يتحد لفظه ومعناه . قال فى التسهيل « وفى المعنى على رأى » .

قال الدماميني : فلا تجوز تثنية المشترك باعتبار مدلولاته المختلفة ، وعلى هذا الرأى أكثر المتأخرين .

---

(١) نفسه ١٤٣ .

(٢) عبد الله بن أحمد بن الخشاب قيل فيه إنه كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، وإنه كان فى درجة أبى على الفارسى (البغية ٢/ ٢١) .

قال ابن الحاجب : وهل يجوز أن تأخذ الاسم المشترك فتثنيه باعتبار مدلولين كقولك عينان فى عين الشمس وعين الماء — لما فيه من خلاف ؟ الظاهر أن جوازه شاذ . والأكثر المستعمل على خلافه .

ومما جاء على الطريقة العليا قول أبى العلاء :

ألم تر فى جَفنى وفى جَفن منصلى ∴ غرارين ذا نوم وذاك مُشَطَّب

المنصل بالضم السيف ، والغرار بكسر الغين المعجمة : النوم القليل ، وحد السيف . والمشطب السيف الذى فيه شطب على زنة غرف : أى طرائق فى متنه ، وعليه قول الحريرى . . وأنشد البيت . قال فهذا وأمثاله عند المحققين مما يحمل على الشذوذ . فعلمت أن تلحينه غير جيد لقول ابن مالك ، « على رأى » ، ولتردد ابن الحاجب فى ذلك ، ولقول الدماميني إنه مما يحمل على الشذوذ » (١) .

---

(١) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع للعلامة الشنقيطى (دار المعرفة) ١٧/١ ١٨

الباب السابع

الأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين

لاشك أنه مما يجلى أهم جوانب قضية الاحتجاج بشعر المولدين هذه أن نعرف الأئمة الذين وقعت منهم تلك الاحتجاجات ، فإن لمعرفة مدى كثرتهم ، وممن هم من بين الأئمة المعروفين أثراً بالغاً في الأحكام المستخلصة من احتجاجهم هذا ، وفي وثاقة تلك الأحكام المستخلصة .

* * *

أولا : في مجال متن اللغة وما إليه :

وقعت احتجاجات بشعر المولدين في هذا المجال من كثيرين من أئمة اللغة نتناول هنا أبرزها :

١ — فهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ) — في كتابه مجاز القرآن — يحتج لتفسيره « الغول » في قوله تعالى « لافيها غول ... » أنه أن تغتال الخمر عقولهم بقول مطيع بن إياس (١٧٠هـ) :

وما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول .(١)

٢ — وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) احتج لتفسير التحنيب في يدى الفرس ، والتجنيب في رجليه — بأنه انحناء وتوتير — بقول محمد بن ذؤيب العماني (٢٢٨هـ) :

---

(١) مجاز القرآن . تحقيق سزكين ٢/ ١٦٩ وفي التعليق نسب المحقق البيت لمطيع بن إياس ثم قال : « وقال أبو عبيدة : مطيع مولد لا يحتج بشعره » اهـ . والآية الكريمة من سورة الصافات ٤٧ .

ترى له عظم وظيف أحدبا » (١)

٣ — وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) احتج لقولهم حاض السيل وفاض إذا سال بقول عمارة بن عقيل (٢٣٩هـ) :

أجالت حصاهن الذّوارى وحيّضت ... عليهن حيضات السيول الطواحم.

جاء ذلك في تهذيب اللغة ، ثم في لسان العرب . (٢)

---

٤ — وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) احتج للهجأ — وهو كل ما كنت فيه فانقطع عنك وأنه يقصر ويهمز — بقول بشار (١٦٧هـ)

وقضيت من ورق الشباب هجا ... من كل أحور راجع حسه .

ووقع ذلك في تهذيب اللغة .(٣) .

---

٥ — وأبو بكر بن دريد (٣٢١هـ) روى معنى هَجَفَ في قول محمد ابن ذؤيب العماني (٢٢٨هـ) :

---

(١) أدب الكاتب (الدالى) ١١٩ والحجة في تعبيره عن نفس ظاهرة التحثيب والتحنيب بالحدب وهو الحنء . واحتج في تحديده لمعنى كلمة مأتم بأنه تجمع النساء في خير أو شر بقول أبي عطاء السندى (١٨٠هـ) :

عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بأيدى مأتم وخدود

(انظر : أدب الكاتب ، تحقيق الدالى ٢٤) .

(٢) انظر تهذيب اللغة (حيض) ٥/١٥٩ — وهو في لسان العرب ٨/٤١٢ — مع إغفال الرواية . كما احتج لتعبير العرب عن الذل والخضوع بإسناد الذل (وما بمعناه) إلى الرقاب والأعناق بقول عمارة هذا :

وإنى امرؤ من عصبة خندفية ... أبت للأعادى أن تديخ رقاب

وجاء هذا في المقتضب للمبرد (انظره بتحقيق عضيمة ٤/١٩٩ وانظر مقال المحقق عن الفعل داخ أو ذاخ . ومعناه ذل) .

(٣) في التهذيب (هجأ) ٦/٣٤٨ [illegible] : الهجأ يقصر ويهمز ، وهو كل .. الخ

— كما جاء في مجالس ثعلب ، والمنسوب الكذابه في شعر عمارة ، ورواه ابن سيدة ثم جاءت في اللسان . (مجالس ثعلب ص ٣٢٠ ، ولسان العرب (لسن/١٧/٢٧٢/١١) .

« وجفر الفحل فأضحى قد هجف »

عن الأشناندانى سعيد بن هارون (٢٥٦هـ) (١)

٦ — وأبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى (٣٢٧هـ) احتج — في كتابه الأضداد — لورود غسق بمعنى سال بقول عمارة بن عقيل (٢٣٩هـ) :

ترى الضيفَ بالصلعاء تغسقُ عينُه ... من الجوع حتى تحسبَ الضيفَ أرمدا (٢) .

٧ — وأبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابى (٣٥٠هـ) — في معجمه ديوان الأدب — احتج في تعريف البلبل بأنه طائر يطرّب بقول أبي نواس (١٩٥ — ١٩٨هـ) في الأصمعى .

« بلبل في قفص يطربهم بنغمته » (٣)

---

(١) انظر الجمهرة ٢/١٠٩ (هجف : التقت خاصرتاه بجنبيه من التعب) . وفي الجمهرة أيضاً أن ابن دريد سأل أباحاتم (٢٠٥هـ) عن الظبظاب (بالفتح) فلم يعرف فيه حجة جاهلية إلا أنه قال : فيه بيت بشار ، وليس بحجة ، وأنشد :

بنيتى ليس بها ظبظاب

(الجمهرة ١/١٢٧ . والظبظاب بثر في العين ، وهو العيب أيضاً (انظر اللسان) .

— كما روى معنى الزلف (بالتحريك) في قول العمانى هذا أيضاً :

من بعد ما كانت ملاء كالزلف

عن الأشناندانى عن أبي محمد عبد الله بن محمد التوزى (٢٣٣هـ) عن أبي عبيدة (٢١٠هـ) (انظر الجمهرة ٣/١٢ (الزلفة : المركن — وهو الطست الذى تغسل فيه الثياب ونحوها) .

(٢) انظر الأضداد له بتحقيق محمد أبي الفضل ص ٥ . كما احتج في شرحه القصائد السبع الطوال الجاهليات — لبعض معانى حباب الماء (كسحاب) بقول عمارة أيضاً :

ولا متقلب الأمواج يبقى ... إلى نجواته السفن الحباب

قال : فجعل الحباب ها هنا الموج . اهـ (انظر شرح السبع الطوال الجاهليات له (هارون) ١٣٨) .

(٣) انظر ديوان الأدب ٣/١٠٣ . كما احتج ببيت أبي عطاء السندى (١٨٠هـ) الذى احتج به من قبل ابن قتيبة في تحديد معنى « المأتم » (نفسه ٤/١٦٨) ، واحتج لورود الصفة « حذر » (مثل كتف) ببيت أبي يحيى اللاحق (نحو ٢٠٠هـ) :

حذر أمورا لا تخاف وآمن ... ما ليس منجيه من الأقدار =

٨ — وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٣٧٠ هـ) جاء فى معجمه تهذيب اللغة باحتجاجات لغوية من شعر المولدين فى تراكيب كثيرة، منها احتجاجه لــ «وتــد» (بالتضعيف) فلان رجله فى الأرض إذا ثبتها بقول بشار (١٦٧ هـ) .

ولقد قلت حين وتــّد فى الأرض ثبير أربى على ثهلان (١)

٩ — وأبوسليمان حمد بن محمد الخطابى (٣٨٨ هـ) احتج فى كتابه غريب الحديث ببيت عمارة بن عقيل (٢٣٩ هـ) :

= (نفسه ٢/٢٠٥) واحتج بشطر ترجع نسبته إلى العمانى (٢٢٨ هـ) بشأن استعمال كلمة فم بتضعيف الميم مع ضم الفاء هنا — وهو قوله :

ياليتها قد خرجت من فمه

(الشطر فى ديوان الأدب ٣/١١ ، وهو منسوب إليه باسمه كاملا فى اللسان (فمم) ١٥/٢٥٧ وقال محقق ديوان الأدب إن الشطر نسب فى الخزانة ٢/٢٨٠ إلى العجاج . وأقول إن فى مجالس العلماء للزجاجى ٣٨ — ٣٩ رجزاً للعمانى يشبه ما هنا فى قافيته وفى قصته كأنه وشطرنا هذا من أرجوزة واحدة .)

(١) التهذيب ١٤/١٤٨ . كما احتج للفعل ودع (بوزن وهب) ماضى يدع — بقول أبى العتاهية :

وكان ما قدموا لأنفسهم أكثر نفعاً من الذى ودعوا

(التهذيب ٣/١٣٦) ، واحتج للصلعاء : الأرض (أو الرمال) التى لا نبات فيها ولا شجر بقول عمارة (٢٣٩ هـ) :

ترى الضيف بالصلعاء تفسق عينه من الجوع حتى تحسب الضيف أرمدا

(التهذيب ٢/٣٢)— واحتج — إلى ذلك — :

— بشعر بشار فى تراكيب (هجأ ، وقد ، دهل) (انظر التهذيب ٦/٣٤٨ ، ٩/٢٥٠ ، ٦/٢٠٠ على التوالى) .

— وبشعر خلف الأحمر (١٨٠هـ) فى تراكيب (نقد ، طبق ، طرق ، دهق ، سبل) (التهذيب ٩/٣٦ ، ٩/٥ ، ١٦/٢٤١ ، ٦/٥٠٠ ، ١٢/٤٣٢ على التوالى).

— وبشعر أبى عطاء السندى (١٨٠ هـ) فى تركيب (أتم) (نفسه ١٤/٣٤١) .

— وبشعر مروان بن أبى حفصة (١٨٢ هـ) فى تركيب (شنع) (نفسه ١/٤٣٣) .

— وبشعر أبى العتاهية (٢١١هـ) فى تركيب (ودع) (نفسه ٣/١٣٦) .

— وبشعر عمارة بن عقيل (٢٣٩ هـ) فى تراكيب (حذر ، وحيض) (نفسه ٧/٢٦٥ ، ٥/١٥٩ على التوالى) .

هذا زمان مُوَلٌ خيرُه آزى صارت رءوسٌ به أذناب أعجاز

علىٰ قولهم أزى يأزى (كرمى) أزِيًا (على فعول) إذا انقبض ودنا بعضه من بعض (١) .

١٠ — وأبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) احتج فى معجم المجمل بقول العمانى (٢٢٨ هـ) :

(فانقض قد فات العيون الطُّرّفا)
إذا أصاب صيدَه أو أخطفا .

على قولهم رمى الرمية فأخطفها وذلك إذا أخطأها . (٢)

١١ — وأبونصر إسماعيل بن حماد (الجوهرى) (نحو ٤٠٠ هـ) جاء فى معجمه تاج اللغة وصحاح العربية بكثير من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين نفصل مثلا واحدا ونجمل الباقى :

احتج للبوارد بمعنى السيوف القواتل (من قولهم ضربه حتى برد أى مات) بقول كلثوم بن عمرو العتابى (٢٠٨ هـ) :

(١) انظر غريب الحديث للخطابى تحقيق عبد الكريم العزباوى ١/١٢٩ — والذى فى متنه أنشدنى بعض أهل اللغة . وذكر المحقق أن الشطر الأول فى اللسان — أقول : وهو فى اللسان (أزا) ١٨/٢٣ والذى استشهد به ابن برى ، ونسبه إلى عمارة ، ومجىء ابن برى به يرجح أنه عمارة بن عقيل . وقد احتج ببيت عقيل بن بلال بن جرير (أواخر القرن الثانى) :

وما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تكدر كان صفوا غديرها

على أن القرارة (كسحابة) الموضع المطمئن من الأرض يستقر فيه ماء المطر (نفسه ٢/٢٠٢)

(٢) انظر المجمل بتحقيق زهير سلطان ص ٢٩٤ واللسان (خطف) وقد أخذنا بالرواية التى فيه بدل (انقد) فى المجمل . كما احتج ببيت بشار :

(أفى دولة المهدى حاولت غدرة) ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

لاسم الكرد (بالضم) ذلك الجنس من الناس . (المجمل ص ٧٨٣ . قال المحقق : ينسب لبشار فى ملحق شعره — ٤/٤٢ . واحتج بقول العمانى أيضاً :

حتى إذا ماء الصهاريج نشف
من بعد ما كانت ملاء كالزلف

على أن الزلف بالتحريك الأجاجين الخضر جمع زلفة بالتحريك أيضاً ، وقد مر هذا (انظر المجمل ص ٤٣٨) .

(وأن أمير المؤمنين أغصّنى مغصهما) بالمرهفات البوارد (١)

١٢ - وأبو عثمان سعيد بن محمد المعافرى السرقسطى (بعد ٤٠٠ هـ) احتج فى معجمه كتاب الأفعال بقول أبى العميثل عبدالله بن خليد (٢٤٠هـ):

هجأ الجودُ مادحيه فهم بين مضيف أعراضَه ومضاف.

على قولهم هجأ الطعام الجوع : سكّنه . (٢)

١٣ - وأبو الحسن على بن أحمد (بن سيدة) المتوفى (٤٥٨ هـ) احتج فى معجمه «المحكم» بشعر المولدين فى عدة مواضع ، منها قول أبى نواس (١٩٥-١٩٨ هـ):

هل لك والهل خير فيمن إذا غبت حضر

فى استعمال «هل» اسما مع إدخال (ال) عليها . (٣)

---

(١) انظر الصحاح (برد) وكذا اللسان (برد) ٤/٥٥ . واحتج إلى ذلك أيضاً :
- بشعر أبى العطاء السندى (١٨٠ هـ) فى (حبب) و (أتم) [illegible]
- وبشعر أبى نواس الحسن بن هانىء (١٩٥ - ١٩٨ هـ) فى (يايا).
- وبشعر أبى محمد اليزيدى (٢٠٢هـ) فى (أير).
- وبشعر بشر بن المعتمر (٢١٠ هـ) فى (ربح) و (هيش) [illegible]
- وبشعر أبى تمام (٢٣١ هـ) فى (مضر).
(انظر الصحاح فى التراكيب المذكورة).

(٢) انظر كتاب الأفعال للسرقسطى ١/١٣٠ ، ١٣٩ . كما احتج بشطرى العمانى بشأن (محف) على ما سبق فى الجمهرة ، وبشأن (أخطف) على ما سبق فى المجمل (كتاب الأفعال ١/١٥٧ ، ٤٦٨ على التوالى) ، وبقول عمارة بن عقيل :

حتى اكتسيت من المشيب عمامة غثراء أغفر لونها بخضاب

على أن الغثرة (بالضم) كالغبرة ووصف المؤنث منها غثراء . (نفسه ٢/٣٧).

(٣) انظر المحكم ٤/٧٥ . - واحتج - إلى ذلك أيضاً - :
- بشعر مطيع بن إياس (١٧٠ هـ) فى تركيب خشش (نفسه ٤/٣٥٨).
- وبشعر عمارة بن عقيل (٢٣٩ هـ) فى تركيبى (غثر) و (لسن) (المحكم ٥/٢٨٤ ولسان العرب (لسن) ١٧/٢٧٢)

وجار الله الزمخشرى (٥٣٨ هـ) - فى «الفائق فى غريب الحديث» له - احتج لطَيّبة بالفتح اسم يثرب بقول ربيعة الرقى (٢٠٨ هـ):

وطَيْبة فى طيبها سُمّيت بطيبة طابت فنعم المحل (١)

١٥ - وأبو محمد المقدسى عبد الله بن برى (٥٨٢ هـ) جاءت فى القدر الذى طبع من التنبيه والإيضاح له احتجاجات لغوية بشعر المولدين منها قول أبى الطيب المتنبى (٣٥٤ هـ):

فى سرح ضمية القصوص طمرة يأبى تفردها لها التمثيلا (٢)

وبقوله : «إنما قلت ظامية بالياء من غير همز لأنى أردت أنها ليست برهلة كثيرة اللحم» - يعنى لأنها عطشى - على أن (ظماء) فى قولهم عن الفرس : إن فصوصه لظماء هو من باب المعتل وليس من باب المهموز.

١٦ - وفى معجم «لسان العرب» لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (ابن منظور المصرى) (٧١١ هـ) (وهو جمع لما فى التهذيب والصحاح والمحكم والنهاية وتنبيهات ابن برى على الصحاح) فيه غير ما ذكرناه من الاحتجاجات بشعر المولدين - احتجاجات بشعر :

- مطيع بن إياس (١٧٠ هـ) فى تركيب (حلا).
- وأبى العطاء السندى (١٨٠ هـ) فى (رخف ، رها)؛

---

(١) انظر الفائق بتحقيق محمد أبى الفضل ٢/٣٧٣ . كما احتج للقرارة : المطمأن يستقر فيه ماء المطر ببيت عقيل بن بلال الذى أسلفناه (الفائق ٣/١٨١) ، واحتج للندغ (بالفتح والكسر) شجر أخضر له ثمر أبيض ترعاه النحل - بقول خلف (١٨٠ هـ) :

هاتيك أو عصماء فى أعلى اشرف تظل فى الطيان والندغ الألف

(الفائق ٣/٤١٩) . واحتج بشعر لأبى العتاهية (٢١١ هـ) فى جمع البَرّ على بِرار . (نفسه ٤/٩٠) ، وبشعر لدعبل بن على الخزاعى (٢٢٠ هـ) فى تفسير قول عمرو ابن مسعود «قطعت ثمرته» (نفسه ١/١٧٤ - ١٧٥).

(٢) انظر التنبيه والإيضاح ١/٢٣ . كما احتج بشعر بشار فى تركيب (برأ) تأصيلا وربما فى (ريب) أيضاً . (نفسه ٧١ ، ٨٩ على التوالى) ، وبشعر أشجع السلمى (نحو ١٩٥ هـ) فى تركيب (طرمة) (نفسه ٢/٧٠).

- وأبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (٢٠٢ هـ) فى (عجه)،
- وأبى تمام حبيب بن أوس (٢٣١هـ) فى (بهرم)،
- وأبى الطيب المتنبى (٣٥٤هـ) فى (أول، قوم، بون، رأى)،
- والشريف الرضى (٤٠٦ هـ) فى (أبا).

وأغلب هذه الاحتجاجات على الأقل جاء بها ابن برى.

ثانياً: فى مجال النحو وما إليه:

وقعت من أكثر أئمة اللغة فى هذا المجال احتجاجات بشعر المولدين نتناول منها هنا ما تيسرت دراسته دون قصد إلى الإحاطة. ونجتزىء فى التمثيل لاحتجاجاتهم تلك بمثل واحد لكل منهم مشيرين إلى سائر مادرسناه.

١ - فقد وقع فى «الكتاب» لسيبويه الاحتجاج فى النحو وما إليه ببيت لخلف الأحمر (١٨٠ هـ) (١)، وبآخر لمروان النحوى (نحو ١٩٠ هـ) (٢)، وبثالث لأبان اللاحقى (نحو ٢٠٠ هـ)، وهذا الأخير هو البيت المشهور:

حذر أموراً لا تخاف وآمن ... ما ليس منجيه من الأقدار

شاهداً لإعمال فَعِل(٣). ومناقشة تلك الاحتجاجات لا تنفى وقوعها(٤).

٢ - ووقع فى «المقتضب» للمبرد (٢٨٦ هـ) الاحتجاج ببيت خلف الذى احتج به سيبويه (٥).

---

(١) بيت خلف فى الكتاب (هارون) ٢/ ٢٧٢ شاهداً لإبدال عين ضفادع ياء فى قوله «ولضفادى جمه نقانق».

(٢) فى الكتاب (هارون) ١/ ٩٧ وهو «ألق الصحيفة... والزاد حتى نعله ألقاها» شاهداً لعمل حتى.

(٣) الكتاب هارون ١/ ١١٣.

(٤) انظر تلك المناقشات فى تعليق المحقق على كل منها فى المواضع السابقة.

(٥) انظر المقتضب بتحقيق عضيمة ١/ ٢٤٦ - والتعليق الرابع قبل هذا - هنا

٣ - ووقع فى «الأصول فى النحو» لابن السراج (٣١٦ هـ) الاحتجاج ببيت مروان النحوى الذى احتج به سيبويه (١).

٤ - ووقع فى «كتاب المذكر والمؤنث» لأبى بكر بن الأنبارى (٣٢٧/ ٣٢٨ هـ) الاحتجاج لتذكير السلطان بقول العمانى (٢٢٨ هـ)

أو خفت بعض الجور من سلطانه
فدعه ينفذه إلى أوانه (٢)

- وله احتجاجات بمولدين آخرين(٣).

٥/٦ - واحتج فى «الجمل فى النحو» لأبى القاسم الزجاجى (٣٣٩هـ)، وشرحه لابن عصفور الأشبيلى (٦٦٩ هـ) ببيت اللاحقى، وبيت مروان اللذين احتج بهما سيبويه (٤).

٧ - واحتج ابن جنى (٣٩٢هـ) فى «اللمع فى العربية» ببيت مروان النحوى الذى احتج به سيبويه (٥)، وله احتجاجات أخرى بالمولدين(٦).

---

(١) انظر الأصول بتحقيق الفتلى ١/ ٤٢٥ - والتعليق الرابع هنا قبل تعليقنا هذا.

(٢) انظر المذكر والمؤنث بتحقيق طارق الجنابى ٣١٠ وقد نسبه إليه الأنبارى صراحة.

(٣) احتج فيه (ص ٤٧٥) لتأنيث «بغداذ» ونطقها بإعجام الذال الأخيرة بقول عمارة (٢٣٩ هـ)

ما أنت يا بغداذ إلا سلح

وفيه كذلك (ص ٤٦٥) احتجاج ببيت نسب إلى بشار وإلى آخرين ليسامولدين، و(ص ٤٦٠) ببيت بين مسلم بن الوليد والتيمى، و(ص ٤٧٧) ببيت نسبته بين عمارة وأبى العالية

(٤) الجمل تحقيق د. على توفيق الحمد ٩٢ (اللاحق)، ٦٨ (مروان)، وشرحه بتحقيق د. صاحب أبو جناح ١/ ٥٦٢ و ٥١٩ على التوالى.

(٥) اللمع بتحقيق فائز فارس والبيت ص ٧٨.

(٦) احتج فى المنصف: شرح التصريف للمازنى بقول عمارة (٢٣٩ هـ).

أبت للأعادى أن تديخ رقابها

حيث خرجه على قول البصريين فى مثله من أن الجر والمجرور «للأعادى» تبيين وليس متعلقاً بالفعل تديخ، لأن معمول الصلة لا يتقدم عليها. (المنصف تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ١/ ١٣٠). وخرج ابن جنى (فى الخصائص (النجار) ٢/ ٤١٣ وماقبلها) قول أبى نواس (نحو ١٩٩ هـ)

كن الشأن فيه لنا ... ككون النار فى حجره

على أنه من باب الحمل على المعنى، وأجاز له وجهاً آخر.

٨ — والإمام أبو الحسن على بن أحمد (الواحدى) (٤٦٨ هـ) احتج بشعر المتنبى حيث خرّج تعديته الفعل « قاس » بإلى فى قوله :

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه … إليك وأهل الدهر دونك والدهر

بأن فيه معنى الضم والجمع ، كأنه قال من أضمه إليك فى الجمع بينكما والموازنة ، وقيل بتضمين قاس معنى الانتهاء أى منتهياً إليك (١) .

٩ — وأبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى (٥٠٢ هـ) خرج قول البحترى (٢٨٤ هـ) « مستفاض » ، وعد الشهاب الخفاجى تفسيره لقول أبى تمام (٢٣١ هـ) تجاوزنى عنه (بمعنى تخانى عنه) وعدم نقده حجة فى قبول ذلك التعبير وصحته (٢) .

١٠ — واحتج أبو محمد عبد الله بن محمد (بن السيد البطليوسى ٥٢١ هـ) بشعر المتنبى فى إضافة آل إلى الضمير وجعل عدم نقد الأئمة الذين تعرضوا لشعره إياه فى ذلك التعبير حجة وإجازة له (٣) .

١١ — واحتج جار الله الزمخشرى (٥٣٨ هـ) بقول أبى تمام :

هما أظلما حالىّ ثمت أجليا … ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

لتعدية الفعل أظلم . وقال فيه أجعل ما يقوله بمنزلة مايرويه (٤) .

١٢ — وأبو السعادات هبة الله بن الشجرى (٥٤٢ هـ) احتج بشعر أبى نواس (١٩٨ هـ) ، وأبى المنهال (نحو ٢٢٠ هـ) ، وابن المعتز (٢٩٦ هـ) ، والمتنبى (٣٥٤ هـ) وابن نباته السعدى (٤٠٥ هـ) فى مسائل فصلناها فى مكان آخر . ومنها احتجاجه لجمع كسرى لقب ملك الفرس على كسور بقول ابن نباتة فى مدح بهاء الدولة أبى نصر وابنه منصور :

---

(١) [illegible] ٢١٥

(٢) انظر شفء [illegible] ١٩٥ [illegible] » ، ٩٤ بشأن « تجوزنى عنه »

(٣) انظر القياس للشيخ محمد الخضر حسين ٣٧ — ٣٨ .

(٤) انظر تفسير الكشاف ١/ ١٦٩ .

وتفرست فيه غير محاب … (أنه) كائن أبا للكسور (١)

١٣ — وأبو محمد عبد الله بن أحمد (ابن الخشاب) (٥٦٧ هـ) خرج بيت أبى نواس :

غير مأسوف على زمن … ينقضى بالهم والحزن

ولم يخطئه ، وعدّ عدم نقده للحريرى (٥١٦ هـ) فى تثنيته المشترك قصداً إلى معنيين إجازة وتصحيحاً له (٢) .

١٤ — والحسن بن صافى (ملك النحاة) (٥٦٨ هـ) خرج بيت أبى نواس « غير مأسوف . . » ولم يخطئه (٣) .

١٥ — واحتج الإمام يعيش بن على (بن يعيش) (٦٤٣ هـ) بيت ربيعة الرقى (١٩٨ هـ) :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى … يزيد سليم والأغر ابن حاتم

على صحة أسلوب شتان ما بين زيد وعمرو ، وخرج بيت أبى نواس « كأن صغرى وكبرى . . » ولم يخطئه (٤) .

١٦ — وخرج الإمام جمال الدين أبو عمرو (بن الحاجب) (٦٤٦ هـ) بيت أبى نواس « غير مأسوف . . » ولم يخطئه (٥) .

١٧ — واحتج الإمام محمد بن عبد الله (بن مالك) (٦٧٢ هـ) بشعر بشار

---

(١) فى احتجاجه بشعر أبى نواس انظر أماليه ١/ ٣٢ ٣٣ حيث خرج بيت أبى نواس ولم يخطئه ، وبشعر أبى المنهال أماليه ١/ ٢١٥ ، وبشعر ابن المعتز الأمالى ١/ ٥٩ — ٩٠ (مع وصفه بأنه محدث) ، وبشعر المتنبى فى الأمالى ١/ ٢٨١ — ٢٨٢ وبشعر ابن نباته فى الأمالى الشجرية أيضاً ١/ ٩٥ .

(٢) انظر المغنى (محيى الدين) ١٦٠ و ٦٧٦ فى تخريج [illegible] بيت [illegible] ، والدرر اللوامع ١/ ١٧ - ١٨ فى بيت الحريرى واعتداد عدم نقد ابن الخشاب إجازة له فيه .

(٣) [illegible] ١/ ٣٤٥

(٤) انظر بشأن بيت ربيعة شرح المفصل ٤/ ٣٧ ، وبشأن بيت أبى نواس نفس الشرح ٩/ ١٠٠ .

(٥) انظر المغنى (محيى الدين) ١٦٠ — ٦٧٦ .

وأبي نواس ، وأبي عطاء السندى (١٨٠ هـ) والعتبى (٢٢٨ هـ) ، وأبي العلاء المعرى (٤٤٩ هـ) فى عدة مسائل منها احتجاجه ببيت العتبى :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى ... فأعرضن عنى بالخدود النواضر

على إظهار الضمير فى الفعل عند إسناده إلى الظاهر غير المفرد (١) .

١٨ — واحتج الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الأستراباذى (٦٨٦ هـ) بشعر بشار ، وأشجع السلمى (نحو ١٩٥ هـ) وأبي نواس ، وربيعة الرقى ، وأبي محمد اليزيدى (٢٠٢ هـ) ، ومحمد بن ذؤيب العمانى (٢٢٨ هـ) وأبي تمام ، وأبي العميثل (٢٤٠ هـ) ، والمتنبى (٣٥٤ هـ) فى مسائل شتى منها احتجاجه بقول المتنبى :

إنما أنفس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا

على أصالة همزة إنسان (٢) .

١٩ — والإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى (٧٤٥ هـ) خرج بيت أبي نواس « غير مأسوف ... » ولم يخطئه (٣) .

٢٠ — واحتج الإمام عبد الله بن يوسف (بن هشام) (٧٦١ هـ) بشعر مطيع بن إياس (١٧٠ هـ) ، وأبي نواس (ثلاثة شواهد) وأبي عطاء السندى ، وربيعة الرقى ، ودعبل (٢٢٠ هـ) وأبي المنهال (٢٢٠ هـ) ، والعمانى ، والعتبى (٢٢٨ هـ) ، وأبي تمام ، وابن المعتز (فى شاهدين) ، والمتنبى ، وأبي فراس الحمدانى (٣٥٧ هـ) ، وأبي العلاء (٤٤٩ هـ) ،

---

(١) انظر فى هذا شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/ ٥٨٠ ، ٢/ ٨٤٣ — ٨٤٤ فى الاحتجاج ببيت بشار ، والمساعد (شرح التسهيل) ١/ ٧٣ فى الاحتجاج ببيت أبي العطاء ، وشرح الكافية الشافية ١/ ٣٥٥ — ٣٥٦ فى الاحتجاج بشعر المعرى .

(٢) فى احتجاجه بشعر بشار انظر شرح الكافية ١/ ٢١١ ، وبشعر أشجع الخزانة (هارون) ١/ ٢٩٥ ، وبشعر أبي نواس الخزانة (هارون) ١/ ٣٤٥ ، (بولاق ٣/ ١٧١) ، وبشعر ربيعة فى الخزانة (هارون) ٦/ ٢٥٧ ، وبشعر اليزيدى شرح الكافية ٢/ ٣٧٠ ، والعمانى فى الخزانة (هارون) ١٠/ ٢٣٧ ، وأبي تمام شرح الكافية ١/ ٩٧ ، وأبي العميثل الخزانة (هارون) ٥/ ٥٩ .

(٣) انظر الخزانة (هارون) ١/ ٣٤٥

والقاسم بن على الحريرى (٥١٦ هـ) فى مسائل شتى ، منها احتجاجات أصيلة ، ومنها تخريجات . ومن أمثلة ذلك احتجاجه ببيت أبي المنهال :

إن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعى إلى ترجمان (١)

٢١ — واحتج الإمام عبد الله بن عقيل (٧٦٩ هـ) بشعر أبي عطاء السندى (فى أكثر من شاهد) والإمام الشافعى (٢٠٥ هـ) والعتبى (٢٢٨ هـ) وأبي العميثل ، والشريف الرضى (٤٠٦ هـ) ، وأبي العلاء المعرى . وهذا شاهد الشافعى فى إعراب قبل وبعد :

قبل وبعد كل قول يغتنم ... حمد الإله البر وهاب النعم (٢)

٢٢ — وزكّى بدر الدين الدمامينى (محمد بن أبي بكر ٨٢٧ هـ) تثنية أبي العلاء للمشترك بقصد معنيين لأنه أتبعه بتفصيل يوضحه . وهو قوله :

ألم تر فى جفنى وفى جفن منصلى ... غرارين : ذا نوم ، وذاك مشطب (٣)

٢٣ — واحتج أبو الحسن على بن محمد (الأشمونى) (نحو ٩٠٠ هـ) بشعر أبي نواس ، والعمانى ، والعتبى ، وأبي تمام ، وعمارة بن عقيل ، والشريف الرضى ، وأبي العلاء . وبيت الشريف عنده هو :

أتبيت ريان الجفون من الكرى ... وأبيت منك بليلة الملسوع (٤)

---

(١) بشأن احتجاجه بشعر مطيع انظر المغنى (محيى الدين) ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ولأبي نواس المغنى ١٦٠ و ٦٧٦ مثلا ، ولأبي عطاء المغنى ٤٢٦ ولربيعة شذور الذهب ٤٠٤ ، ولدعبل أوضح المسالك ٢/ ١٢٠ — ١٢٣ ، ولأبي المنهال المغنى ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، والشذور ٤٥ وللعمانى مغنى ١٩٣ ، وللعتبى الشذور ١٧٩ ، ولأبي تمام الشذور ٥٣ ولابن المعتز المغنى ٢٨٥ وللمتنبى المغنى ٢٤٠ وللحمدانى أوضح المسالك ٢/ ٩٨ — ١٠٢ ، ولأبي العلاء أوضح المسالك ١/ ٢٢١ — ٢٢٣ ، وللحريرى المغنى ١٩٢ .

(٢) لشاهد السندى انظر المساعد ١/ ٧٣ مثلا وللشافعى ٢/ ٣٥٠ — ٣٥٢ ، وللعتبى ١/ ٣٩٣ ولأبي العميثل ١/ ٢٢٧ وللشريف الرضى ٣/ ٩١ ، ولأبي العلاء ١/ ٢٠٩ .

(٣) انظر الدرر اللوامع للشنقيطى ١/ ١٧ — ١٨ .

(٤) لأبي نواس الأشمونى مع الصبان ١/ ١٩١ ، وللعمانى الأشمونى ومعه واضح المسالك ١/ ٥٣٥ — ٥٣٦ وللعتبى (نفسه ٢/ ١١٦) ولأبي تمام الأشمونى مع الصبان ١/ ١٥٧ ، ولعمارة (نفسه ٤/ ٨٠) وللشريف الرضى (نفسه) ٣/ ٣٠٧ ، ولأبي العلاء (نفسه) ١/ ٢٦٨ .

٢٤ — واحتج الشيخ (خالد) بن عبد الله الأزهرى (٩٠٥ هـ) بشعر دعبل . وبيت دعبل هنا :

ولما أبى إلا جماحا فؤاده
ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل (١)

٢٥ — واحتج الإمام السيوطى (٩١١هـ) بشعر أبى نواس، والبزيدى، ودعبل . وأبى المنهال . والعمانى . والشريف الرضى (٢) .

٢٦ — وقد رد العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطى (١٣٣١ هـ) تغليطهم الحريرى فى تثنية المشترك قصدا لمعنيين (٣) .

وبعد، فلعله وضح فى ضوء ذلك الموقف النظرى (لبعض أئمة اللغويين) والتطبيقى (لجمهورهم) — بالاحتجاج بشعر من وثقوا فى فصاحته ، أنه ينبغى أن نعيد النظر فى معيار الفصاحة أو السلامة اللغوية بحيث لا نحكم على كل جديد فى اللغة بأنه مولد بمعنى أنه خطأ مرفوض . بل ينبغى أن نترجم ذلك الموقف التطبيقى لأئمة اللغة فى معيار يقول إن الجديد يقبل من « علماء اللغة » الموثوق بفصاحتهم وأمانتهم — وهم أهل الأصالة العربية فقها وولاء وانتماء من شعراء ولغويين ، وبشرط أن يكون ما يأتى به هؤلاء وأولئك متفقا مع الأصول العربية فى كل مجال من مجالات التجديد بحسبه : ففى صوغ الصيغ الجديدة مثلا يراعى أشهر ما استعملت فيه الصيغة من معان وفى تحديد دلالات جديدة يراعى أن تكون الدلالة الجديدة للفظ ما ذات صلة حقيقية ووثيقة بالمعنى العام لتركيب اللفظ أو بمعنى أحد استعمالاته

(١) بيت دعبل فى التصريح (عيسى الحلبى) ١/ ٢٨٢ .

(٢) لأبى نواس انظر الدرر ١/ ٧٢ وللبزيدى الهمع (مكرم) ١/ ٢١١ ولدعبل (نفسه ٢/ ٢٦١) ولأبى المنهال (نفسه ٤/ ٥٥) وشرح شواهد المغنى ٨٢١ وللعمانى الهمع (مكرم) ٢/ ١٥٦ وللشريف (نفسه ٤/ ١٢٧) .

(٣) الدرر اللوامع ١/ ١٧ — ١٨ .

الأصيلة ، وفى الاستعمالات التركيبية الجديدة ينبغى أن تكون تلك التركيبات الجديدة متفقة مع منهج العربية فى التعدية والتضمين ونيابة الحروف بعضها عن بعض مثلا ، وفى الاستعمالات الدلالية الجديدة ينبغى أن يكون الاستعمال الجديد قوى الصلة بالمجال الدلالى القديم للتركيب . . . وهكذا .

• فلنتخذ قولة ابن جنى : « أقوى القياسين أن يقبل ممن شهرت فصاحته ما يورده » (١) أساسا لهذا المعيار الجديد ، ثم لنحرس هذا الأساس بضرورة الالتزام بأصول العربية .



(١) سبقت هنا بأوسع من هذا وهى فى الخصائص ٢/ ٢٣ .

الباب الثامن

تحقيق ... واستخلاص

الفصل الأول

تحقيق وقوع الاحتجاج بما جاوز النطاق الزمنى

قبل أن نستخلص دلالة كل تلك الاحتجاجات بما خرج عن النطق المضروبة حول معيار الاحتجاج علينا أن نواجه ما قد يثور من شبهات بشأن تلك الاحتجاجات من حيث كونها احتجاجات حقيقية فعلا أو غير ذلك . وسنفصل هذه المواجهة فى نقاط :

أولا : من حيث تحقيق دخول شواهد المولدين تلك فى مجال « إثبات القاعدة » الذى يمثل حقيقة معنى الشاهد .

(ا) فلقد أسلفنا أن عبارة « إثبات القاعدة » فى التعريف الاصطلاحى للشاهد تشمل إثبات الجزئى الذى يكون فى صورة قسيم مما تنطبق عليه القاعدة .

ولدينا فى ما أوردناه من شواهد المولدين عدة استشهادات تدخل فى هذا النوع :

ــ منها الاستشهاد بقول بشار « خرجت مع البازى علىّ سواد » حيث دار الأمر ــ فى حالة انفراد الضمير بالربط فى الجملة الحالية التى ليس مبتدؤها ضمير صاحب الحال ــ بين كون الضمير فى ما صدرت به الجملة ، وكونه فى آخرها ، ثم ــ فى حالة كونه فى ما صدرت به ــ بين كونه فى المبتدأ نحو كلمته فوه إلى فىّ ، وكونه فى الخبر كقول بشار « خرجت مع البازى علىّ سواد » فالإعراض عن قول بشار هذا لأنه محدث يحرم اللغة

من استيفاء هذا القسم وهذه الصورة — على الأقل إلى أن يجد لها النحاة شاهدا أصيلا .

— وكذلك الأمر فى استشهاد ابن الشجرى بقول المتنبى « أجاب كل سؤال عن هل بلم » فقد قسم هو صور إعراب الحروف إذا استعملت أسماء إلى ما أعرب ونون ، وما أعرب ونون وشدد ، وما جمع فيه الألف واللام مع التشديد . ثم لم يأت بشاهد للحرف الثنائى (غير مشدد) معربا منونا (أو غير منون) إلا قول المتنبى ذاك . والإعراض عنه يخلى الصورة من شاهد ، ويبطل الحكم والقسمة معاً .

— ويمكن أن ندخل فى هذه الصورة ما جاء فى شعر المعرى من ذكر خبر المبتدأ الواقع بعد لولا فى قوله « فلولا الغمد يمسكه لسالا » إذا كان الخبر كونا خاصا كما فى قوله هذا . ووقوع الخبر كونا خاصا قسم مهم فى هذه المسألة وهذا الأسلوب ؛ لأن أكثر الأشياء — فى الحياة الواقعية التى تعبر عنها اللغة تؤثر بما تفعل — وهو الكون الخاص ، لا بمجرد وجودها — وهو الكون العام . ولما كان الكلام موضوعا للإفادة فإنه ينبغى أن يتناول هذه الصورة المهمة . ومن التحكم والإساءة إلى اللغة أن ينكر أسلوب ذكر الخبر فى حالة الكون الخاص هذه رغم وروده فى شعر المعرى هذا(١) ، ويزعم الناس على الاقتصار على أسلوب الكون العام ويطالبون بتأويل قول المعرى وما ماثله ليعود إلى صورة الكون العام ، أو بتخطئة هذا الأسلوب .

(ب) وأسلفنا أن من إثبات القاعدة إثبات الصورة الجديدة لما تنطبق عليه القاعدة .

• ولدينا فى ما أوردناه من شواهد المولدين عدة استشهادات من

---

(١) هناك شاهد آخر جاء به ابن مالك لأبى عطاء السندى « لولا أبوك ولولا قبله عمر » ويلحظ أن الخبر هنا ظرف وهو حتى بصرف النظر عن متعلقه — قريب من الكون العام . فبيت المعرى ما زال هو الشاهد الرئيسى لصورة الكون الخاص . وانظر المسألة فى كلامنا السالف عن الاحتجاج بشعر المعرى .

هذا النوع : صور جديدة لاستعمالات سائغة الأصل ، لكن هذه الصور جديدة ولم يسبق لها شواهد :

— ومن ذلك ما جاء فى قول أبى نواس « غير مأسوف على زمن ينقضى ... » فإنه صورة جديدة(١) لنحو قولهم « ما مأسوف على بكر » إذ هو يساويه كما قال ابن الشجرى ، وكذلك قول بشار « ردوا فوالله ماذ دناكم أبدا » فإنه صورة جديدة لنفى جواب القسم بما كما ينفى بـ « لا » و « إن »(٢) . وكذلك قول المتنبى « إذ حيث كنت من الظلام ضياء » . والجديد فيه هو استعمال إذ بحيث تصلح للظرفية والتعليل فى إضافتها لهذه الجملة الاسمية(٣) . فالاستشهاد فى كل هذا على وجهه ، ولا ينبغى أن يستبعد أو يغفل لأنه صورة لأصل معترف به . وجدة الصورة لا تخرجها عن الأصل . هذا إلى أن هذه الجدة إضافة قيمة إلى اللغة لا ينبغى إهدارها :

(ج) وأسلفنا أيضا أن من صور الاحتجاج بالشواهد الإتيان بها لتخريج ما يبدو فيها مخالفا لما تقرر أو تأويله وما إلى ذلك من صور التوجيه . وذلك لبيان عدم مخالفته فى آخر الأمر : كتخريج ابن جنى قول أبى نواس « ككمون النار فى حجره » يعنى فى حجرها بأنه من الحمل على المعنى أى النور والضياء(٤) — ولو قدر ابن جنى اللهب لكان أقرب ؛

---

(١) [illegible] نواس وقد أسلفنا [illegible] إلا للمتنبى وهو بعد [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible] هشام إيه [illegible]

(٤) [illegible] أبو على [illegible] ٣٢٣ [illegible] يعيش [illegible] فيص [illegible] الاحتجاج [illegible] الإنصاف [illegible] ٣٢٨

« والحمل على المعنى فى هذه اللغة واسع جدا » كما قال ابن جنى (١)، وليس مقصورا على تذكير المؤنث كما فى المثال أو عكسه بل منه صور أخرى كحمل الواحد على الجماعة وعكسه(٢) ، وغير ذلك(٣) .

وكتخريجهم قول أبى نواس أيضا « غير مأسوف على زمن » بأنه بمعنى ما مأسوف ، وتخريجهم تعدية أبى نواس والمتنبى (قاس) بإلى بالتضمين ، وقول البحترى (مستفاض) ، وقول المتنبى «فلا الحمد مكسوبا» ومن ذلك أيضا تصحيح الخفاجى لاستعمالات ألفاظ (السياق)(٤) ، و (الشُّبَّاك) للنافذة(٥) ، والمشباك (كمعظم) لنوع من الحلوى(٦) ، و(التشويش(٧)) بمعنى التهويش ، و (الفضولى) بمعنى المتطفل(٨) ، و (الملاقى) (٩) ، و (المنصب) : ما يتولاه الرجل من العمل(١٠) ، و(الملقة) : الماء فى منخفض من الأرض(١١) و(المشق) لنوع من الخط(١٢) و (المقامة) للنوع الأدبى المعروف (١٣) ، و(الناموسية) الكِنّة (١٤) ، والنظارة بمعنى الإدارة أو الوزارة(١٥) — وقد صحح كلامها بعد تحليله وبيان وجهه — وليس من التجاوز أن ندخل فى هذا النوع أعنى ما صحح بعد تخريج وتوجيه — العبارات والتراكيب التى تحمل على ما خرج بقولهم (وحملوا عليه) كذا ، أو (وعليه قوله) . ونحو ذلك .

(١) الخصائص ٢/٤١٣ .
(٢) نفسه ٢/٤٢٣ .
(٣) انظر الخصائص ٢/٤١٩ .
(٤) انظر الخصائص ٢/٤٢٣ — ٤٣٥ .
(٥) الشفاء للخفاجى ١٥٦ .
(٦) نفسه ١٥٧ .
(٧) الشفاء ١٦٠ .
(٨) الشفاء ٢٠٥ .
(٩) الشفاء ٢٣٣ .
(١٠) الشفاء ٢٣٦ — ٢٣٧ .
(١١) نفسه ٢٣٨ .
(١٢) الشفاء ٢٤٣ .
(١٣) الشفاء ٢٤٧ .
(١٤) نفسه ٢٥٨ .
(١٥) الشفاء ٢٦٧ .

(د) وهناك حالة ليست من إثبات القاعدة بصورة واضحة ، ولكن لها أهمية تضارع إثبات القاعدة : وهى ما جىء به من شواهد المولدين لأساليب خارجة عن الأصل ، لكنها سائغة وشائعة كما فى قول أبى نواس :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها

حيث استعمل فعلى (بالضم) نكرة ، وهى ينبغى أن تعرّف ، وخرّج على أنه لم يرد بفعلى هنا التفضيل ، وإنما أراد الصفة المشبهة باسم الفاعل أى أن (صغرى وكبرى) هنا بمعنى صغيرة وكبيرة ، وأبو نواس مسبوق فى هذا بنظائر كثيرة منها قول المرقش الأكبر :

وإن دعوتِ إلى جُلّى ومكرمة   يوما سَراة كِرام الناس فادْعينا(١)

• وكالذى روى من أن أبا الدقيش لما قال ردا على سؤال (هل لك فى . . . ؟) : (أشدُّ الهلّ وأوحاه) — فاستعمل (هَلّ) اسما ، وضعف لامها وأدخل عليها أل — تلاه أبو نواس فقال :

(هل لك والهل خيرْ)(٢)

• وكالذى جاء عن ابن المعتز مما ظاهره إضافة (إذ) إلى المفرد فى قوله :

والعيش منقلب إذ ذاك — أفنانا

مع أنه فى الحقيقة جملة والتقدير « إذ ذاك كذلك (٣) » .

• وكالذى جاء من إعمال المتنبى لا فى المعرفة فى قوله :

فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

وتبين أنه مسبوق فى هذا بقول النابغة :

(١) انظر شرح المفصل ٦/١٠٠ — ١٠٣ .
(٢) انظر ل (هلل) ١٤/٢٣٣ — ٢٣٤ .
(٣) انظر المغنى (محيى الدين) ٨٤ .

وَحِلت سَواد القلب . لا أنا باغيا سِواها ، ولا عن حبها متراخيا(١)

فهذه وأمثالها — وقد ذكرنا أن لها شواهد أصيلة صحيحة — ورودها يقوى تلك الظواهر ، ويخرجها من حد الندرة إلى حد ما يسمى سنن العرب فى كلامها ، وهذه إضافة طيبة ، مادامت تلك الظواهر أوالسنن لاتنافى — كما رأينا — القواعد العامة للغة ، ولكنها تمثل تيسيرا نحن فى حاجة إليه . فنحن مثلا كثيرا ما نستعمل صيغة فعلى نكرة ، فنقول دولة عظمى وصغرى وجائزة كبرى ويد طولى الخ . فإجازة هذا الأسلوب — على تأويل الصيغة فيه بالصفة المشبهة — وله سند كما أشرنا — أيسر وأقوم من تخطئته . وكذلك الأمر فى أسلوب « إذ ذاك » وهو أشيع من الأسلوب السابق ، وكذلك إعمال لا العاملة عمل ليس فى المعارف فيه تيسير ظاهر — مع أنه مذهب ابن جنى وابن الشجرى(٢) .

وقيمة شواهد المولدين فى هذا أنها هى التى تكسب مثل تلك الأساليب النادرة شيوعا ينقلها إلى مستوى الأساليب الجارية .

ثانيا : من حيث الأخذ باحتجاج إمام بشاعر ما أو توثيقه له :

لقد مر بنا فى الكلام عن النطاق الزمنى لنتاج الاحتجاج أن هناك من الأئمة من ذهب إلى أنه يحتج بشعر من يوثق بفصاحته من المولدين ، وأن الزمخشرى اختار هذا المذهب ، وتبعه الرضى .

وأقول الآن إنه فى ضوء هذا ليس من الضرورى أن تجمع الأئمة على الاحتجاج بشعر شاعر مثلا ، ليقبل الاحتجاج بشعره . بل يكفى للاعتراف بفصاحته ولقبول الاحتجاج بشعره . أن يوثق فصاحته إمام أو فريق من اللغويين ، مادمنا نربأ بهم جميعا أن يتهم أى منهم بالتهاون فى ذلك التوثيق .

— ولدينا من هذا النوع من الاحتجاجات الكثير : كاحتجاج بعضهم لتجرد « ثم » من الدلالة على الترتيب بقول أبى نواس « إن من ساد ثم ساد أبوه » ، وكاحتجاج البصريين لإجازة تقديم المفعول المحصور بإلا على فاعله بقول دعبل « ولما أبى إلا جماحا فؤاده » وكاحتجاج الكوفيين لمجىء « كأن » بمعنى التقريب بقول الحريرى « كأنى بك تنحط »(١) الخ .

(١) انظر مغنى اللبيب (محيى الدين) ٢٤٠ .
(٢) انظر الموضع السابق .

وقد ذكرنا من قبل أئمة اللغة والنحو الذين احتجوا بأشعار المولدين وقد بلغ أئمة اللغة الذين وقع منهم ذلك ستة عشر إماما ، وبلغ أئمة النحو ستة وعشرين إماما .

ووقوع تلك الاحتجاجات منهم هو توثيق عملى لكل من احتجوا به ، وسيأتى ما ذكروه من توثيقات صريحة ، وإنما المقصود هنا أنه ينبغى أن نثق نحن فى أولئك الأئمة وأمانتهم ، وألا ننظر إلى هذا الذى عمله جمهور المشهورين منهم بارتياب أورد . لأن هذا معناه سوء الظن بهم وبدرجة فقههم لعملهم . ولا يبقى مع هذا الموقف من جمهور الأئمة ما يوثق به .

ثالثا : من حيث دلالة عبارة الإمام اللغوى — حين يورد بيتاما — على أن مقصوده به هو الاستشهاد أو التمثيل فقط .

والذى أثار هذه المسألة هو ملاحقة بعض شراح الشواهد لها فى شروحهم بنفى الاستشهاد وتفنيده بالقول بأن الشاعر قائل الشاهد مولد أو محدث لا يحتج بشعره ، وأن الإمام النحوى أو اللغوى إنما ذكر البيت تمثيلا أى لا استشهادا . وقد ردد البغدادى — وغيره — ذلك(٢) ، وتكلف البغدادى له تأصيلا فى كلام الرضى فى بعض المواضع ، فقال بصدد استشهاد الرضى ببيت أبى نواس — وعبارة الرضى « وأجرى غير قائم الزيدان مجرى ما قائم لكونه بمعناه قال :

غير مأسوف على زمن ينقضى بالهم والحزن (٣)

(١) انظر ما أسنده فى الاحتجاج بشعر أبى نواس ، ودعبل ، والحريرى .
(٢) انظر الخزانة (هارون) ١/٣٤٥ ، ٢٩٥ ، ٣/٤٤٩ وانظر أيضا شرح شواهد المغنى ٢٤٨ (تعليق السيوطى على شاهد لابن المعتز ، وتعليقات الشيخ محيى الدين فى أوضح المسالك ٢/١٢١ وشذور الذهب ٢١٠ ، ٢٣٦ .
(٣) شرح الكافية ١/٨٧ وفى البيت « الزمن » بدل « زمن » .

اهـ كلام الرضى . قال البغدادى فى الخزانة بعد ذكر البيت : « أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان مجرى (ما) قائم الزيدان لكونه بمعناه » وبعد أن ساق تخريجات البيت قال : (وهذا البيت لأبى نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده الشارح مثالا للمسألة . ولهذا لم يقل (كقوله) (١) اهـ المراد .

— ولك أن تعجب أولا لقوله أورده مثالا مع أن الشارح قد جاء بالمثال الذى يغنى عن البيت لو أن هدفه التمثيل وهو غير قائم الزيدان وهذا المثال كاف فى هذا الموضع لأن الفرق بينه وبين البيت معروف فى غير هذا الباب : أن اسم الفاعل يطلب فاعلا واسم المفعول يطلب نائب فاعل وأنه إذا غاب المفعول ناب الجار والمجرور عن الفاعل . هذا — مع الظن بأن البغدادى لم ينظر إلى هذا الفرق ، وإلا لكانت عبارته — « أورده مثالا آخر أو تنويعا للأمثلة » مثلا .

— ثم لك أن تعجب ثانية لقوله : « ولذلك لم يقل « كقوله » فهذا ولاشك وهم من الإمام البغدادى ؛ لأن الرضى لم يلتزم فى الشواهد أن يقول « كقوله » بل كان يستعمل عبارات متعددة مثل « كما فى قوله » « قال » « كقوله » « فى نحو قوله » (٢) ؛ كما أن الرضى لم يتجنب عبارة « كقوله » عند الاستشهاد بشعر (المولدين) فقد استعملها فى شعر المتنبى مثلا فى موضعين فى شرحه للكافية : « والمكنى عنه إن كان لفظا .. فقد يكون المراد معنى ذلك اللفظ كقوله :

كأن فعلة لم تملأ مواكبها ∴ ديار بكر ولم تخلع ولم تهب » (٣)

(١) الخزانة (هارون) ١/ ٣٤٥ .

(٢) مثلا « كما فى قوله » « ولا أرض أبقل إبقالها » شرح الكفية ١/ ١٤ ، وكذلك ١/ ٢٧ أدنو فانظور » ب — « قال » ١/ ١٤ قال « أقل اللوم عاذل والعتابن » ١/ ٣٢ « قال » « فى كلت رجليها سلامى واحدة » ، ١/ ٣٣ « قال تعالى كلتا الجنتين » « لأن واحده (يعنى ذوو) ذو قال ولكنى أريد به الذوينا » . جـ — « كقوله » ١/ ١٥ « كقوله » « وقاتم الأعماق خاوى المخترقن » ، د — « فى نحو قوله ١/ ١٥ « وكذا التصغير فى نحو قوله يا ما أميلح ... » « وإعرابهما فى نحو قوله تداعين باسم الشيب » الخ :

(٣) شرح الكافية ٢/ ٩٣ .

اهـ والبيت للمتنبى .. وجاء فى باب التعدية : « ولا حصر لتعدية حروف الجر فعلا واحدا » ، بل يجوز أن يجتمع على فعل واحد كثير منها ، كقوله :

خرجت إلى أقطاعه فى ثيابه ∴ على طرفه من داره بحسامه . (١)

اهـ والبيت للمتنبى أيضا . ومن المسلم أنه استعمل غير هذه العبارة أيضا ومن ذلك قوله : « وقد جاء فما لفم قال المتنبى :

« وقبلتنى على خوف فما لفم » (٢)

ومما يؤكد أن الشيخ البغدادى قد وهم فى موقفه هذا أن كثيرا من النحاة يستعمل عبارة « كقوله » قبل شواهد المولدين وغيرهم على السواء . جاء فى شرح الكافية الشافية لابن مالك « .. والحذف كقول المعرى فى صفة سيف : .. فلولا الغمد يمسكه لسالا » (٣) وجاء فى شرح الأشمونى « . . . والرابع الاستفهام كقوله (أى الشريف الرضى) .

أتبيت ريان الجفون من الكرى ∴ وأبيت منك بليلة الملسوع » (٤)

وجاء فى أوضح المسالك لابن هشام بشأن جواز تقديم المفعول المحصور بإلا على فاعله « كقوله (وهو دعبل) :

« ولما أبى إلا جماحا فؤاده » (٥)

وفى ذلك الاتجاه نفسه نقد البغدادى الرضى لأنه قدم بيت أشجع السلمى (أواخر القرن الثانى) :

كأن لم يمت حى سواك ولم تقم ∴ على أحد إلا عليك النوائح .

(١) نفسه ٢/ ٢٧٤ .

(٢) شرح الرضى الكافية ١/ ٢٠٢ — ٢٠٣ وصدره : قبلتها ودموعى مزج أدمعها وفى ٢/ ٣١٠ عبر بقوله « كما قال » .

(٣) شرح الكافية الشافية ١/ ٣٥٥ — ٣٥٦ .

(٤) شرح الأشمونى ٣/ ٣٠٧ .

(٥) أوضح المسالك ، ومعه عدة السالك محيى الدين ٢/ ١٢١

الذى جاء به الرضى استشهادا لإضمار عامل آخر للمرفوع الواقع بعد إلا معمولا لما قبلها — أى قامت النوائح — نقله البغدادى لأنه قدم بيت أشجع « وهو ليس ممن يحتج بكلامه فكان ينبغى تأخيره عن البيت الذى بعده »(١)

وقد مر بنا أن ابن هشام ذكر بيت دعبل الخزاعى « ولما أبى إلا اجماحا فؤاده » مع بيت للمجنون . وآخر لزهير — حجة لإجازة البصريين والكسائى والفراء وابن الأنبارى تقديم المفعول المحصور بإلا على الفاعل ، وأن ابن هشام قدم بيت دعبل (٢٢٠ هـ) على بيت المجنون (٨٠ هـ) . وعلى بيت زهير الجاهلى . مما قد يعنى أن ابن هشام والرضى لاينظران إلى شواهد (المولدين) نظرة البغدادى نفسها .

بل إن البغدادى نفسه علق على احتجاج الرضى لانصراف الماضى المنفى بلا فى جواب القسم من الاستقبال بقول المؤمل (١٩٠) هـ :

حسب المحبين فى الدنيا عذابهم ... والله لاعذبتهم بعدها سقر

علق على ذلك بقوله (فعلى هذا يجوز أن يقال : والله لاقام زيد . نص عليه ابن السراج)(٢) ومعنى هذا أن البغدادى قبل احتجاج الرضى هذا بشعر المؤمل قبولا كاملا .

والكلام فى إيحاءات عبارة الرضى أوغيره يجبه وجود عبارات صريحة فى الجانبين فقد جاء فى اللسان — بشأن نطق قولهم (فاضت نفسه) بالضاد أو الظاء مايلى : « والذى أجاز فاظت نفسه بالظاء يحتج بقول الشاعر :

كادت النفس أن تفيظ عليه ... إذ غدا حشو ريطة وبرود)(٣)

فقال « يحتج » والشاعر هو محمد بن مناذر المتوفى (١٩٨) هـ .

---

(١) انظر شرح الكافية ١/ ٧٥ والخزانة هارون ١/ ٢٩٥ ٢٩٩ . والعبارة ق ٢٩٩ .

(٢) الخزانة (بولاق) ٣/ ٢٢ ، ٤/ ٢٢٨ :

(٣) ل (فيظ) ٩/ ٣٣٤ .

وجاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة(١) « لافيها غول » (الصافات ٤٧) مجازه ليس فيها غول ، والغول أن تغتال (الخمر) عقولهم . قال الشاعر :

ومازالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول

اهـ . والبيت لمطيع بن إياس حسب ماقال المحقق . والاحتجاج بالبيت هنا واضح ، ولكن المحقق نقل فى الموضع نفسه عن إحدى حواشى كتاب المجاز هذا مايلى : « مطيع بن إياس : قال أبو عبيدة مطيع مولد لايحتج بشعره » اهـ

وجاء فى الجمهرة(٢) لابن دريد (٣٢١هـ) سألت أبا حاتم (٢٥٥ هـ) عن الظبظاب (بالفتح) فلم يعرف فيه حجة جاهلية ، إلا أنه قال : فيه بيت بشار وليس بحجة — وأنشد :

بنير ليس بها ظَبْظاب . اهـ

فنى كل منهما الاحتجاج بشعر المولد رغم فقد غيره . ومعنى هذا عند من يتلقى كلام أبى عبيدة وابن دريد أوأبى حاتم أن ذلك المعنى للغول وكذلك لفظ الظبظاب غير موثوق بهما فى حين أن غيرهما أثبت المعنى واللفظ المذكورين(٣) .

والخلاصة فى هذه النقطة أن موضوع الاحتجاج أكبر وأخطر أثرا من أن يقضى فيه بإيحاء كلمة ، أوبعبارة عابرة . وإنما ينبغى أن يرجع فيه إلى مايمثل منهجا واضحا ، يدعمه تطبيق واسع . ولئن كان فى التطبيق الذى مر بنا وماصحبه من توثيقات مايكفى لرسم معالم المنهج ، فقد يؤكد ذلك أن نبرز مسألة المنهجية فى النقطة التالية .

---

(١) بتحقيق سزكين ٢/ ١٦٩ .

(٢) الجمهرة ١/ ١٢٧ .

(٣) فى ل (غول) ١٤/ ٢٣ « غالت الخمر فلانا إذا شربها فذهبت بعقله » هذا كلام أبى الهيثم وتركيب (غول) يدل على ذهاب الشىء أوذهابه وضياعه فى خفية . وفى ل (ظبظب) ٢/ ٥٧ « . . وما بى ظبظاب » وفسر بالقلبة وبالقمع .

رابعا : من حيث المنهجية أو الجزافية فى موقف اللغويين الذين احتجوا بشعر المولدين :

وذلك أنه قد يقال إن المولدين يخطئون أحيانا فلا ينبغى الأخذ عنهم ولا يؤمن ، وإنما وقعت تلك الاحتجاجات من الأئمة بشعرهم عفوا بلا قصد.

— وأستعير فى الرد على الشطر الأول من هذه الشبهة عبارة ابن جنى وهو يرد على من يمنع إجازة ارتكاب الضرورات للمولدين : « فإن قلت فقد عيب بعضهم كأبى نواس وغيره فى أحرف (=كلمات) أخذت عليهم . قيل : هذا كما عيب الفرزدق وغيره فى أشياء استنكرها أصحابنا . فإذا جاز عيب أرباب اللغة وفصحاء شعرائنا كان مثل ذلك فى أشعار المولدين أحرى بالجواز . . » (١)

ثم أقول : لاريب أن أئمة اللغويين كانوا — مع اتجاههم ذاك — على علم (بأخطاء) المولدين (٢) ، لكنها لم تكن لتثنيهم عن ذلك الاتجاه ؛ لأنهم يعلمون أن القدماء أيضا وقعت منهم (أخطاء) (٣) ، ولكنها لم تمنع — لندرتها — من تحديد معالم الصواب اللغوى — على ما تم فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث . ويضاف إلى ذلك — بالنسبة للمولدين — أنه ما دامت

---

(١) الخصائص ١/٣٢٨ .

(٢) لأنها كانت متداولة رواية وفى الكتب . انظر التعليقات التالية .

(٣) كما خطىء النابغة فى قوله ". . . فى أنيابها السم ناقع » والأعشى فى استعمال الألفاظ الأعجمية ، وأمية فى قوله « بنى إسرال » ، « أيما شاطن عصاه عكاه » والفرزدق فى قوله « غهارير » « . . إلا مسحتا أو مجلف » وجرير فى قوله « وأنكرنا زعانف آخرين » وذى الرمة فى قوله « زوجة » ، « ماتنفك إلا مناخة » ، « أدمانة » ، وعمر بن أبى ربيعة « ثم قالوا تحبها » (حذف حرف الاستفهام) ، والكميت « أرعد وأبرق » (استعمال الرباعى منهما) انظر تفصيل كل ذلك فى الموشح ٤٥ ، ٧٦ ، ٢٦٠ — ٢٦١ ، ١٥٦ — ١٦١ ، ٢١٠ ، ٢٨٣ — ٢٩٠ ، ٣١٥ ، ٣٠٨ على التوالى وانظر الوساطة ٥ — ١٠ (ص ٣ — ١١ فى ط صبيح بتقديم خفاجى) حيث ذكر أخطاء لمجموعة من الجاهليين غير من ذكر هنا . وانظر أيضاً فى ذلك الخصائص ١/٣٢٨ — ٣٢٩ .

(أخطاؤهم) نادرة (١) ، وقد تم تحديد معالم الصواب اللغوى قبل نتاجهم وبدونه — بالإضافة إلى أن جل (أخطائهم) قد خرجت تخريجا مقبولا كما خرجت (أخطاء) القدماء (٢) — فإن التجنب الكامل لنتاج المولدين يمثل موقفا فجا يضاد طبيعة اللغة فى علاقتها بالناس والحياة ، بينما يكون النظر إلى ذلك النتاج بعين بصيرة مميزة ، وقبول ما يتسق منه مع معالم اللغة وقياسها ، ورد ما ينافى تلك المعالم وذلك القياس — على ما جرى من الأئمة فعلا فى ما عرضناه — هو الموقف العلمى الصحيح .

— ومما يزيد الثقة فى سلامة موقف الأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين ، وأنهم التزموا فى من احتجوا بشعره أن يكون ممن يثقون بفصاحته : أنهم لم يحتجوا إلا بشعر قليلين منهم — لايبلغون الخمسين — من بين مئات الشعراء المولدين ، كما أنهم لم يقبلوا من هؤلاء كل ما جاءوا به ، فقد خطئوا كثيرين منهم (٣) فى ما جاءوا به مخالفا للصواب اللغوى — على

---

(١) مما ذكر من أخطاء المولدين : لبشار صياغته الوجلى والغزلى (بالتحريك مع القصر فيهما — وذلك لم يسمع ، وحشوه الشعر بما لا حقيقة له (الأغانى ٣/٢٠٩ ، ٢٤٢ ، ٣/١٦٣— ١٦٤) ، ولأبى نواس قوله « فليت ما أنت واط من الثرى لى رمسا » وقد وجهت ، وكذلك ضم نون سنون وبنون للقافية (الشعر والشعراء ٨١٨ — ٨١٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٥) وعيبه على البحترى قوله « ياعليا » ، « لست امرأ خاب ولا ممن كذب » « تأملوا مساعيك » (بإسكان الياء) (الموشح ٥١١ — ٥١٧) . وواضح أن الذى ذكرناه فى هذا التعليق والذى قبله خاص (بالأخطاء) اللغوية . أما عيوب القافية كالسناد والإقواء الخ ، وعيوب المعنى الفكرى أو البلاغى (لا اللغوى) من حيث صحته ومناسبته لما سيق له ، وسوءه أو انحطاطه الخ فليست من همنا فى هذا البحث . وقد عرض المرزبانى فى الموشح الكثير منها بالنسبة للشعراء القدماء والإسلاميين والمولدين فانظره إن شئت .

(٢) نظر إلى هذه (الأخطاء) على أنها ضرائر شعرية وخرج جل ما ثبت منها تخريجات مقبولة . انظر مثلا الكتاب لسيبويه (هارون) ١/٢٦ — ٣٢ وانظر سائر مواطن الضرائر فى الكتاب (هارون) جـ ٥ (الفهارس) ص٣٢٠ ، وانظر مواطنها فى المقتضب (عضيمة) جـ ٤ (القسم الثانى الفهارس) ٢١٢ ، ثم انظر كذلك الضرائر . . للآلوسى .

(٣) من أمثلة ذلك أن ابن الشجرى خطأ أبا نواس فى استعمال المصدر النزع (بالفتح) فى موضع « النزوع » « وإذا نزعت عن . . . لله ذاك النزع » الأمالى الشجرية ٢/١٧٥ —

ما استنبطه الأئمة مما اطرد فى كلام القدماء . وهذا يعنى أن عمل أولئك الأئمة كان موقفا علميا صحيحا ، لا موقفا جزافيا .

ثم إن القول بالعفوية أو الجزافية يدحضه تماما ما صدر عن أولئك الأئمة من توثيقات صريحة لفصاحة كثير من المولدين الذين احتج بشعرهم :

— لقد مر بنا هنا ثناء الأصمعى والجاحظ على فصاحة بشار ، وحكم الأصمعى بجدارته بأن يفضل على كثير من المتقدمين ، وتبرئته إياه من الخطأ اللغوى — مع عدم تبرئة الكميت وغيره .

— ومر بنا هنا ثناء أبى عبيدة والجاحظ وابن جنى على شاعرية أبى نواس وفصاحته ، وحكم أبى عمرو الشيبانى وابن جنى بأهليته أن يحتج بكلامه فى اللغة .

— ومر بنا توثيقهم لأبى محمد اليزيدى ، وتنويههم بأخذ أبى عبيدة عنه الغريب .

— ومر بنا هنا ما قضى به الأئمة اللغويون : عبد الملك بن هشام ،

١٧٦) وخطىء ابن يسير فى استعمال القنوع مكان القناعة (الموشح ٢٦٩) ، وخطأ ابن الطراوة المتنبى فى قوله عن الثياب « إذا نشرت كان الهبات صوانها » إذ كان ينبغي عنده أن يجعل كلمة صوانها هى اسم كان ليصح المعنى (حاشية يس على التصريح ١/ ١٧٢) ؛ وخطىء المتنبى أيضاً فى قوله « واحر قلباه » لإبقائه هاء السكت وتحريكها (شرح المفصل ١٠/ ٤٤) مع أن لهذا عدة سوابق فى الشرح نفسه (٩/ ٤٦ — ٤٧) ، وخطىء المعرى فى قوله « نخوض بحراً نقعه ماؤه » (حاشية يس على التصريح ١/ ١٧٢) قالوا كان ينبغى أن يقدم ماؤه على نقعه .

هذا إلى أنه قد يخطىء بعضهم استعمالا ويخرجه غيره كما خطىء أبو نواس فى « كأن صغرى وكبرى من فواقعها » ثم خرج قوله هذا ودوفع عنه (انظر شرح المفصل ٦/ ١٠٠ ، ١٠٢ والمغنى (محيى الدين) ٣٨٠ ، والمساعد ٢/ ١٨٠) ، وكان قول المتنبى « هذى برزت لنا فهجت رسيسا » موضع تردد وتأوين (انظر شرح المفصل ٢/ ١٦ وحاشية يس ١/ ٣٢٧) ، كما خطىء بديع الزمان فى الجمع حوائج ثم وجدوا له شواهد كثيرة وناقشوا مفرده (انظر حاشية يس ٢/ ٢٤٦ ولسان العرب حوج)

ولحن بعضهم المعرى فى « فهو لا النمد يمسكه لسالا » ورد التلحين آخرون (انظر الكلام عن البيت فى الاحتجاج بشعر المعرى ومواضع أخرى فى ما سبق ، وانظر كذلك الأشمونى مع الصبان ١/ ٢١٥) .

وثعلب ، والأزهرى ، وإمام الحديث والفقه أحمد بن حنبل من أن كلام الشافعى حجة فى اللغة ، وما وصفه به الزعفرانى ، والجاحظ وغيرهما من فصاحة اللسان والعلم ، وأن الأصمعى — وكان أسن من الشافعى بعشرين سنة — صحح أشعار البدو عليه .

— ومر بنا هنا أن الزمخشرى صاحب تفسير « الكشاف » ، ومعجم أساس البلاغة ، والمفصل قال عن أبى تمام إنه « من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » . والزمخشرى يعلم أن أبا تمام لم يؤلف كتابا فى النحو أو فى أى من الفروع اللغوية ، وإنما جمع الحماسة والوحشيات وفحول الشعراء ، ومختار أشعار القبائل ، بالإضافة إلى ديوان شعره الذى أنشأه . فعلمه بالعربية الذى يقصده الزمخشرى هو علم الخبير الذواقة ، وعلم الشاعر الموهوب . وهذا النوع من العلم يضارع السليقة العربية الفصيحة — فلتؤخذ عنه اللغة كما تؤخذ عن الأعرابى البدوى السليقى . وهذا ما قصده الزمخشرى — أو هو أقرب ما يكون إلى ما قصده .

— ومر بنا هنا ما قاله ابن جنى عن المتنبى ، وأن الشهاب الخفاجى — وله بضعة عشر مؤلفاً فى اللغة والأدب وغيرهما ، أهمها فى مقامنا حاشيته على تفسير البيضاوى ، وشرح درة الغواص ، وشفاء الغليل ، وحواشى الرضى والجامى ، وطراز المجالس ، وريحانة الألباء ، وله ديوان شعر ومقامات ورسائل .

فهذا الشهاب الخفاجى يقول : أجعل ما يقوله المتنبى بمنزلة ما يرويه ، وهذا كالذى قاله الزمخشرى فى أبى تمام ، وإنما يروى مثلهما (١) أعلى طبقات الشعر . والمراد بالعبارة أن شعرهما يساوى فى الفصاحة شعر القدماء وأنه يحتج به كما يحتج بشعر القدماء . ولعل خير شهادة لعلو المتنبى فى طبقة الفصاحة أن يشرح ديوان شعره ابن جنى وأبو العلاء والإفليلى شيخ الأعلم الشنتمرى ، والواحدى والتبريزى والعكبرى وغيرهم ، وأن

(١) لم ينسب كارل بروكلمان إلى المتنبى أى مجموع شعرى على غرار الحماسة لأبى تمام مثلا . (تاريخ الأدب العربى ٢/ ٨١ — ٩٢) .

بشرح مشكله ابن سيدة . وكلهم من أكابر رجالات اللغة وأئمتها فى تاريخنا ، ولا يتصدى أمثالهم لشرح شعر يهبط عن ذروة سنام الفصاحة .

— ومر بنا هنا أيضاً قول الشهاب الخفاجى « وأبو فراس ثقة ، ممن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » ، كما مر بنا توثيقه للبحترى ، وابن نباتة السعدى ، والشريف الرضى ، وابن غلبون الصورى ، ومهيار الديلمى .

— أما المعرى والحريرى فما أظن المعرى صاحب سقط الزند واللزوميات ، ورسالة الغفران ، ورسالة الملائكة ، وشارح حماسة أبى تمام ، وديوان المتنبى ، وناقد البحترى فى عبث الوليد (١) — كما لا أظن الحريرى صاحب المقامات التى قاربت شروحها الثلاثين ، وصاحب الفرق بين الضاد والظاء ، ودرة الغواص — وهو ما هو ، وصاحب ملحة الإعراب التى بلغت شروحها نحو خمسة عشر شرحاً .. (٢) أقول لا أظن أبا العلاء والحريرى بحاجة إلى توثيق ليحتج بهما فى اللغة . .

فشهادات التوثيق هذه لهؤلاء الذين ذكرناهم — وقد مضى بيان بالأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين — وهذا توثيق عملى لمن لم يصرح بتوثيقه منهم — دليل واضح وصريح على أن الأئمة لم يكونوا يصدرون فى استشهادهم بشعر هؤلاء عن مصادفات جزافية ، وإنما يكونوا يصدرون عن اختيار متعمد لمن يرونه أهلا لأن تؤخذ عنه اللغة ويحتج به فيها ، لأنه بأصالة شاعريته — التى تشهد بها غزارة إنتاجه ، وإحكام عبارته ، وسمو درجته فى الفصاحة — قد صار من علماء العربية الذين يحتج بهم — على حد ما فسرنا قولة الزمخشرى فى أبى تمام .

ثم إنه ينبغى أن نلاحظ - ونحن نبحث هذه المسألة - أن المناخ كان مهيأ إلى حد كبير لقبول الاحتجاج بشعر الموثوق بفصاحتهم من المولدين

(١) انظر تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ٥/ ٣٥ — ٤٥ وبخاصة ٤٠ — ٤٥ .

(٢) السابق ٥/ ١٤٤ — ١٥٥ .

حيث ظهر تيار يستحسن شعرهم منذ عهد أبى عمرو بن العلاء الذى قال : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته » .. وفى رواية « حتى لقد هممت بروايته » .. : يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما (١) . وكان الأصمعى يستحسن شعر بشار ويعده خاتمة الشعراء ويقول : « والله لولا أن أيامه تأخرت لقدمته على كثير منهم » (٢) كما كان يشبه السيد الحميرى (١٧٣ هـ) بالفحول (٣) ، وكذلك كان أبو عبيدة يقدمهما (٤) . وقد عدد الجاحظ ، ثم ابن رشيق جماعة من الشعراء الذين يستحسن شعرهم بلغوا ثلاثين ، كثير منهم ممن أسلفنا أنه احتج بشعرهم (٥) .

— ويضاف إلى ذلك اتجاه إلى إطلاق معيار الإجادة والاستجادة فى الشعر من قيد التقدم الزمنى أو اشتراطه . ظهر هذا الاتجاه عند الجاحظ ، إذ قال عن أبى نواس : « وإن تأملت شعره فضّلته ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أن أهل البدو أبداً أشعر ، وأن المولدين لا يقاربونهم فى شىء . فإن اعترض هذا الباب عليك ؛ فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوباً » (٦) .

(١) الرواية الأولى فى البيان والتبين ١/ ٣٢١ والرواية الثانية فى الشعر والشعراء (شاكر ط ٢) ١/ ٦٣ وفى العمدة (محيى الدين) ١/ ٩٠ « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته . . »

(٢) الأغانى ٣/ ١٤٣ ، ١٥٠ وانظر الموشح ٣٠٦ .

(٣) انظر الأغانى ٧/ ٢٣٢ . (٤) نفسه

(٥) ممن ذكرهم الجاحظ بالاستحسان بشار والسيد الحميرى وأبو نواس وأبو العتاهية ومسلم الخاسر وأبان اللاحقى ، والعتابى ، ومنصور النمرى ، ومسلم بن الوليد . وشاركه فى ذكرهم بهذا ابن رشيق ، وأضاف الجاحظ ابن أبى عيينة ويحيى بن نوفل ، وخلف بن خليفة ، وعيسى بن داب ، وأضاف ابن رشيق مروان بن أبى حفصة ، والعباس بن الأحنف ، وأبا دلامة ، وأبا الشيص ، والفضل الرقاشى ، والخليع ودعبلا وأبا تمام والبحترى وابن المعتز ، وابن الرومى ، والخبز رزى ، والخريمى ، وأبا سعيد المخزومى ، والصنوبرى ، وأبا فراس ، والمتنبى (انظر عن ذكرهم الجاحظ البيان والتبين ١/ ٥٠ — ٥١ والحيوان ٣/ ٢٧ ، وعن ذكرهم ابن رشيق العمدة (محيى الدين) ١/ ١٠٠ — ١٠١)

(٦) [illegible] ٢٧,٢ ط أولى

وعند ابن قتيبة إذ قال : « ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص قوماً دون قوم . بل جعل ذلك مشتركاً مقسوما بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً فى عصره »(١)، ثم قال : « فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنينا عليه به ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، أو حداثة سنه ، كما أن الردىء إذا ورد علينا للمتقدم لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ، ولا تقدمه » (٢) .

وبهذا الاتجاه نفسه ، أخذ ابن طباطبا (٣) (٣٢٢ هـ) ، والقاضى الجرجانى (٣٦٦ هـ) الذى أصّله بأن « الشعر علم ... يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ؛ ثم تكون الدربة مادة لكل واحد من أسبابه . فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان (٤) » وأضاف : « ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم ، والأعرابى والمولد (٥) » . وبه أخذ ابن رشيق أيضاً (٦) .

فهل يستغرب — مع هذا الاتجاه القوى — أن يحتج اللغويون بمن يثقون بفصاحته من هؤلاء المولدين .

— وأخيرا فإن التسليم بأن أئمة النحو واللغة لم يأتوا بشواهد (المولدين) تقديرا لشاعريتهم وفصاحتهم التى ترفعهم إلى مستوى من يحتج بكلامهم ، وإنما أتوا بها تمثيلا للقاعدة تخلق معانى يتنزه عنها هؤلاء الأئمة . فهم أجل من أن يخترعوا قاعدة من عند أنفسهم ليس لها شاهد معتمد يعرفونه ، ثم

---

(١) الشعر والشعراء (شاكر ط ٢) ١/ ٦٣

(٢) نفسه

(٣) عيار الشعر ص ١

(٤) الوساطة بين المتنبى وخصومه ١٥ ، ١٦

(٥) نفسه .

(٦) انظر العمدة (محيى الدين) ١/ ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٠٠ ، ٢/ ٢٣٨ .

يأتوا بكلام أولئك (المولدين) ليوضحوا ويمثلوا به لهذه القاعدة التى لا أصل لها . وإن قيل إن القاعدة أو الحكم وضع قياسا كان كلام المولدين — تمثيلا له — استعمالا لغويا صحيحا هم بدءوه ، فالأولى أن يوصل على استعمالهم لأن اللغة استعمال . كما أنه لا يستساغ أن يقال إنه كانت لديهم شواهد صحيحة لتلك الأحكام فلم يذكروها اكتفاء بما جاءوا به من كلام المولدين مع إيمانهم بأن كلام المولدين هذا لا يحتج به . لا ينبغى أن يقال هذا لأنه يعنى جحد ما ثبت يقينا من سلامة فقههم لأصول عملهم . ثم إن كثرة الشواهد (المولدة) التى احتج بها وجدها تقدح فى إمكان هذا الافتراض ، وتجعل التسليم به قدحا فى إمامة هؤلاء الأئمة ترفضه أعمالهم العلمية التى لا يرتاب فى عظمتها منصف . أما عندما يذكرون شواهد (المولدين) مع الشواهد الأصيلة ، فليس الأمر حينئذ أيضا قاطعا بأن قصدهم التمثيل فحسب ، إذ قد يقصد بذلك الإكثار من الشواهد أو تنويعها تثبيتاً للقاعدة .

خامساً : من حيث حجم هذه الاحتجاجات ، وكون نسبتها تخرج — أو لا تخرج — بها عن نطاق الندرة :

لقد بلغ عدد الشواهد فى ما عرضناه من الاحتجاجات بشعر المولدين أربعة وستين شاهدا تصل بما نبهنا عليه إلى ستة وتسعين — فى متن اللغة وما إليه ، وعرضنا ثمانية وخمسين شاهدا فى النحو ، وذلك كله لأربعين شاعراً مولداً .

ونضيف إلى هذا أن كثرة ما استشهد به من شعر المولدين هى التى وجهت إلى الاجتزاء بهذا القدر الذى عرضناه ، لأن ما لاحظنا أنه احتجاجات صحيحة بشعر المولدين يزيد على ذلك كثيرا . وقد قدرت ما اجتزأت عنه من تلك الاحتجاجات الصحيحة بنحو مئة وسبعة وأربعين شاهداً فى النحو

وماإليه، إذا أضفناها إلى ما أسلفنا من شواهد النحو(١) بلغت خمسة ومئتين من الشواهد .

فإذا نسبنا ذلك إلى أكبر مجموعة من الشواهد(٢) وهى شواهد شرحى الكافية والشافية للرضى وعددها ثلاثة وخمسون ومئة وألف شاهد (٣) (١١٥٣) كانت نسبتها إليها ١٨ : ١٠٠ (٤) أى نحو ١ إلى ٦ وهى نسبة لها اعتبارها ، لأنها تخرج يقينا عن دائرة النادر . ذلك أننا إذا اتخذنا تقدير ابن هشام لمعيار القلة والكثرة دليلا — حيث قال : « فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبها ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر » (٥) — فإن هذا يعنى بالنسبة المئوية :

الغالب	٢٠	:	٢٣	= نحو ٧٨ ٪
الكثير	١٥	:	٢٣	= نحو ٦٥ ٪
القليل	٣	:	٢٣	= نحو ١٣ ٪
النادر	١	:	٢٣	= نحو ٤ ٪

وعلى ذلك فالنسبة التى ذكرناها بين شواهد المولدين وأكبر مجموعة من الشواهد وهى ١٨ إلى ١٠٠ تدخل فى دائرة القليل دخولا بينا ، ولا يمكن أن تعد من النادر الذى لا اعتبار له .

---

(١) خصصت النحو لأن القصد هنا هو عقد نسبة بين شواهد المولدين والشواهد الأصيلة . والشواهد الأصيلة فى النحو محدودة يمكن معها عقد تلك النسبة ، بينما الشواهد الأصيلة فى متن اللغة يصعب إحصاؤها ، لاتساع اللغة نفسها اتساعاً عظيماً ، واحتياج كل جزئية فيها إلى شاهد ، فلا يتأتى عقد النسبة المذكورة الآن .

(٢) مجموع شواهد « الكتاب » لسيبويه (١٠٥٠) ، وشواهد المغنى (١٨٧٩) شاهداً . انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٩٧٦ .

(٣) شواهد شرح الكافية — حسب ما فى الخزانة — ٩٥٧ شاهداً ، وشواهد شرح الرضى للشافية ١٩٦ مجموعهما = ١١٥٣ وانفرد الجار بردى فى شرحه للشافية باثنين وخمسين شاهداً .

(٤) عقدنا هذه النسبة على هذه الصورة من حيث إن المولد قسيم للأصل ، ولم نضم المولدة إلى الأصيلة ثم نجرى النسبة المئوية ، لأن هذا سيجعل النسبة خاصة بمؤلف بعينه . ونحن نظرنا نظرة عامة من ناحية ، وتقريبية فى اتخاذ شواهد شرحى الكافية والشافية ممثلة لأكبر مجموعة من شواهد النحو والصرف من ناحية أخرى .

(٥) انظر المزهر ١/ ٢٣٤ .

الفصل الثانى

استخلاص

دلالة كثرة الاحتجاجات بما جاوز النطاق الزمنى

بعد أن ثبت — ثبوتا لا مراء فيه — وقوع الاحتجاج بما خرج عن النطق المضروبة حول معيار الاحتجاج : سواء فى ذلك النطق القبلية والمكانية والزمانية — ووجدنا أن ما جاوز النطاق الزمانى يمثل نسبة لها دلالتها .

ا — أكثر من مئتى شاهد فى النحو عرضنا منها ثمانية وخمسين وأشرنا إلى سائرها — وذلك من نحو ألف مئة وخمسين شاهدا فى النحو .

ب — وستة وتسعون شاهدا فى متن اللغة وما إليه عرضنا منها أربعة وستين .

حـ — وأربعون شاعرا من المولدين احتج بشعرهم .

— كما وجدنا أن عدداً كبيراً من أئمة مشهورى اللغويين قد احتجوا بشعر أولئك المولدين منهم ستة عشر من الأئمة فى متن اللغة ، وستة وعشرون من الأئمة فى النحو وما إليه .

— وذكرنا ما صدر عن أولئك الأئمة من تعبيرات صريحة عن قبول الاحتجاج بشعر عدد من المولدين ، وعن توثيق فصاحة كثير منهم .

— أعتقد أنه فى ضوء كل ذلك ، وفى ضوء ما يتطلبه الحفاظ على حياة العربية وحيويتها أنه قد آن أن نتخذ من النتاج اللغوى الرفيع لما بعد نطق الاستشهاد — شعراً أو نثراً — موقف الخبير بثروته الحريص عليها ، وعلى نقائها

ونصارتها معاً : فنقبل ما جاء عن ثقات الشعراء الذين يشهد لهم نتاجهم بالتمكن فى اللغة وسلامة ملكتها وقوتها لديهم ، كما نقبل عن مضارعيهم فى هذا من أكابر الأدباء وعلماء اللغة — ما دام ما جاءوا به لا يخرج عن الأصول والضوابط العامة . إن من حق اللغة علينا أن نعد السماع من هؤلاء امتدادا للسماع عن القدماء فى حدود الأصول والضوابط المقررة . فإذا جاءت عنهم صيغة أو عبارة لها وجه فى تلك الأصول والضوابط ولا يعيبها إلا أنها لم تسمع عن القدماء فلنقبلها ولنضمها إلى ثروتنا اللغوية منبهين على مصدرها ، وكذلك إذا جاء عنهم استعمال للألفاظ أو العبارات فى معان جديدة لكنها متطورة عن المعانى القديمة مأخوذة منها أخذا مقبول الوجه فعلينا أن نقبل ذلك الاستعمال وننبه على مصدره كذلك . إن الحياة فى تطور وتجدد يصيب ملاحقيه باللهاث ، ومن واجب اللغة أن تلاحق الحياة بالتعبير عنها ، ومن واجبنا أن نهيء للغتنا سبيل تلك الملاحقة إبقاء على حياتها وحيويتها ، وليس من حقنا أن نعوق تلك الملاحقة فنعين خصوم اللغة العربية ومحاربيها — وهم كثيرون — عليها .

— إن خلاصة ماندعو إليه هو أننا لاينبغى أن نقف بالسماع والاستشهاد عند النطق التى حددها القدماء ، وأن علينا أن نفتح السبيل للصيغ والتراكيب والاستعمالات التى يبتكرها أصحاب الملكة اللغوية العربية السليمة من الشعراء والأدباء والعلماء ، وكذلك للمعانى الجديدة التى يحملونها للكلمات والصيغ القديمة ما دامت العلاقة بين المعنى الجديد وأصله مقبولة غير متكلفة ، وما دام كل ذلك متسقا مع الأصول والضوابط العامة للغة .

إننا بهذا لانتازع القدماء حق (تشريع) اللغة ووضع أصولها ورسم ضوابطها ولكننا نسعى لتقرير حقنا فى الإبداع والتجديد (والاجتهاد) داخل الأطر التى رسموها .

— ولقد أسلفنا أن ذلك أيضا حق اللغة ، وأن قبول الاحتجاج فى اللغة بمن يوثق بفصاحته من أولئك المولدين هو الرأى الصريح لبعض

اللغويين والنحاة ، وهو الدلالة المستخلصة من احتجاج جمهور المشهورين من اللغويين والنحاة بشعر المولدين .

— ونضيف أن هذا هو أيضا دلالة عمل فريق آخر من أئمة اللغويين وهم الرواة الذين رووا شعر المولدين سواء منهم أصحاب الدواوين الجامعة للمختارات وما إليها كالأمالى والمجالس ونحوها .

— لقد اشتملت كل من حماسة أبى تمام (٢٣١ هـ) ، ووحشياته ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة و « الحماسة » للبحترى (٢٨٤ هـ) ، ولابن الشجرى (٥٤٢ هـ) ، ولأبى الحسن البصرى (٦٥٦ هـ) على مختارات من شعر المولدين ممن ذكرناهم ضمن المحتج بشعرهم — كبشار ومطيع ، وابن مطير ، وأبى عطاء ، وخلف ، ومروان ، والمؤمل ، وأشجع ، وابن مناذر ، وأبى نواس ، واليزيدى ، والعتابى ، ومسلم ، وأبى العتاهية ، وعوف بن محلم ، والعتبى ، وأبى تمام ، وعمارة ، وابن المعتز ، والمتنبى — ومن غيرهم كمنصور النمرى (نحو ١٩٠ هـ) ، وبكر ابن النطاح (١٩٢ هـ) ، والعباس بن الأحنف (١٩٢ هـ) ، ومحمد بن يسير (٢١٠ هـ) ، وعلى بن جبلة (٢١٣ هـ) ، وابراهيم بن المهدى (٢٢٤ هـ) وعبد الله بن أبى عيينة (بعد ٢١٨ هـ) ، وإسحق بن خلف البهرانى (٢٣٠ هـ) ، وإسحاق بن ابراهيم الموصلى (٢٣٥ هـ) ، وابراهيم الصولى (٢٤٣ هـ) ، وعلى بن الجهم (٢٤٩ هـ) ، ويزيد المهلبى (٢٥٩ هـ) ، وابن الرومى (٢٨٤ هـ) (١) .

---

(١) راجعت الحماسات والشعر والشعراء لابن قتيبة حيث وجدت فى كل منها بعضاً من هؤلاء . فأحيل إليها ، وأجتزىء ببيان مواطن شعر بعض المولدين فى تلك الدواوين فبشار له فى الوحشيات قطع فى ص ١٦٤ ، ١٧٧ ، ٢٧٤ ، وله فى الشعر والشعراء ص ٧٥٧ وفى حماسة البحترى ٧٠ ، ٧٢ وفى حماستى ابن الشجرى والبصرى . ومسلم بن الوليد له فى حماسة أبى تمام . انظر شرح المرزوقى ص ٩٤٣ ، ٩٤٤ وفى وحشياته ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٤٣ وفى الشعر والشعراء ص ٧٣٢ وفى الحماسة البصرية ، وعلى بن جبلة له فى الشعر والشعراء ٨٦٤ وفى الحماسة البصرية ، وعلى بن الجهم له فى حماسة ابن الشجرى فقط ويزيد المهلبى له فيها وفى البصرية

= كما اشتمل الكامل للمبرد (٢٨٦ هـ) ومجالس ثعلب (٢٩١ هـ) وأمالى الزجاجى (٣٤٠هـ) ومجالس العلماء له ، وأمالى القالى (٣٥٦ هـ)، وأمالى ابن الشجرى (٥٤٢هـ) — وهى كتب يغلب عليها الطابع اللغوى — على قطع وأبيات لعشرات (١) من المولدين الذين ذكرنا أسماءهم من قبل :

— ولولا ثقة هؤلاء وأولئك فى فصاحة أولئك الشعراء المولدين — تلك الفصاحة التى تتضمن أن الشعر الذى أوردوه لهم صحيح ، يحتج بما فيه من جديد ، ويقاس عليه — لولا تلك الثقة ما رووا شعرهم ولا شرحوه

— وقد صرح ابن قتيبة — فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » — بذلك الذى استخلصناه حيث قال بياناً لسر اختياره من اختار لهم أشعاراً : « وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جل أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) » ، اهـ ونذكر بأنه جاء فى كتابه هذا بأشعار لنحو عشرين من المولدين(٣) ، فهم حسب كلامه « من الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم » .

— وقد أجمع النقاد القدماء على أنه لم يتفق فى اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام فى حماسته(٤)، وزكوا علمه بالشعر ألفاظه وأساليبه ومعانيه أبلغ تزكية حتى قالوا إنه فى اختياره الحماسة أشعر منه فى شعره(٥) ، فإذا لم يحتج بما أجمعوا على أنه أنقى الشعر أى أخلصه من العيوب مهما كانت وباختيار شاعر عظيم قيل إنه فى اختياره أشعر منه فى شعره ، فإن معيار الاحتجاج نفسه خليق أن يهتز .

---

(١) مجالس ثعلب ومجالس العلماء للزجاجى فى كل منهما قطع محدودة للمولدين .

(٢) الشعر والشعراء (شاكر) ٥٩ .

(٣) ترجماتهم فيه بأرقام ١٨٠ — ١٨١ ، ١٨٣ — ١٨٤ ، ثم من ١٩٢ إلى ٢٠٦ آخر الكتاب .

(٤) انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقى (أحمد أمين وهارون) ٣/١

(٥) انظر السابق ص ١٠ ثم ص ١٣ ١٥

هذا ، وإن مستوى المختارات والمختارين فى سائر الحماسات وفى الأمالى والمجالس لا يقل عن ذلك . فالمختارون هم بين شاعر عظيم كالبحترى ، وعالم لغوى عظيم كالمبرد وثعلب والزجاجى والقالى ، وعالم بالشعر كأبى الحسن البصرى .

وتضيف كذلك أن قبول الاحتجاج بالموثوق بفصاحته ، من المولدين هو دلالة تلك الشروح والتحليلات اللغوية التى انصبت على شعر المولدين سواء فى دواوين المختارات كشروح الحماسة (١) ، أو فى غيرها كشروح ابن الشجرى ، لكثير مما جاء به فى أماليه (٢) ، وكشرح ابن جنى والواحدى والعكبرى لما جاء فى ديوان المتنبى ، وكالشروح المنثورة التى وقعت فى الكامل . ومجالس ثعلب وأمالى الزجاجى (٣) .

— ولا أظن أن هناك من يجادل فى جواز احتجاجنا بما قاله المرزوقى (٤٢١ هـ) أو التبريزى فى شرح أشعار المولدين فى الحماسة من حيث ألفاظها أو معانيها أو تراكيبها واستعمالاتها أو دلالاتها ، وبخاصة تخريجاتهم وتحليلاتهم ، وكذلك الأمر بالنسبة لشروح ابن جنى والواحدى والعكبرى وغيرهم (٤) ، وتحليلاتهم وتخريجاتهم فى ديوان المتنبى ، وبالنسبة لشروح المبرد وثعلب والزجاجى وابن الشجرى ، وقد أشرنا إليها من قبل .

---

(١) شرحا حماسة أبى تمام المتداولان الآن هما شرح المرزوقى تحقيق أحمد أمين وهارون والتبريزى تحقيق الشيخ محمد محيى الدين . وقد بلغ العلامة عبد السلام هارون بشروحها إلى أكثر من ثلاثين (شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١/١١ — ١٥) .

(٢) أورد ابن الشجرى فى أماليه كثيراً من القصائد للمتنبى والشريف الرضى وغيرهما وأتبع كثيراً منها بشرح لغوى مفصل .

(٣) من مواضع شرح شعر المولدين فى الكامل (الدلجمونى) ١/١١٢ — ١١٥ لشعر عمارة، ٢/١٩ لشعر إسحاق بن خلف ، ٢/٣٤ — ٣٥ لشعر ابن أبى عيينة ، ٢/١٠٥ لشعر إسحاق الموصلى ، ٣/٦٠ لشعر عوف بن محلم، ٣/٧٠ لشعر أبى نواس ، ٣/٢٩٣ لشعر يزيد المهلبى . ومن مواضع الشرح فى مجالس ثعلب ص ١٩ لشعر أبى نواس ، ٥٤٣ لشعر بشار ، وفى أمالى الزجاجى ١٤٦ — ١٤٧ قصيدة لأبى نواس وشرح لها .

(٤) انظر ديوان أبى الطيب بشرح العكبرى ١/ج ، د .

— من هذا كله نصل إلى المعيار الذى ينبغى أن نتخذه بالنسبة لما يقبل أو يحتج به من النتاج اللغوى للمولدين ، وما لا يقبل . ونستعير لتحديده ما قاله ابن جنى بشأن انفراد العربى بالمجىء بما يخالف ما عليه الجمهور . (وما يخالف يشمل الجديد الذى انفرد به ، وهذا هو الذى نقصده هنا) قال : « إذا اتفق شىء من ذلك نظر فى حال ذلك العربى وفيما جاء به . فإن كان الإنسان فصيحاً فى جميع ما جاء به ، ما عدا ذلك القدر الذى انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس ، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان ، فإن الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به ، ولا يحمل على فساده . . » (١) (ثم علل ذلك بجواز أن يكون وقع له ذلك من لغة قديمة طال عهدها — أى بادت — على ما قال أبو عمرو : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير ») ثم قال ابن جنى : « فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ ، ما وُجد طريق إلى تقبل ما يورده ، إذا كان القياس يعاضده ، فإن لم يكن القياس مسوغا له كرفع المفعول ، وجر الفاعل ، ورفع المضاف إليه فينبغى أن يرد . وذلك لأنه جاء مخالفاً للقياس والسماع جميعاً ، فلم يبق له عصمة تضيفه ، ولا مسكة تجمع شعاعه (٢) » . اهـ . ونحن نطالب بكلام ابن جنى هذا معيارا — مع التخفف من قيود نطق الاحتجاج القبلية والمكانية ، والزمانية — ومع التخفف من المسألة التى أورده بشأنها ككون الكلام جاء به (بدوى) فصيح منفردا به ، وكون الكلام مخالفا لما عليه الجمهور واشتراط فصاحة العربى — الآتى بذلك الكلام — فى (جميع) ما جاء به ما عدا ذلك القدر الذى انفرد به . نتجاوز عن تلك القيود لنقول إنه إذا جاء مولد بجديد نظر فى حاله فإن كان فصيحا فى أكثر ما جاء به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس قبل منه . فإن لم يكن القياس مسوغا له وجب رده .

(١) الخصائص ١/ ٣٨٥

(٢) نفسه ١/ ٣٨٧

وقد تناول ابن جنى المسألة نفسها التى جاء فيها بكلامه السابق — فى موضع آخر بمناسبة الألفاظ الجديدة التى جاء بها ابن أحمر ، وحكم فيها بوجوب قبولها لفصاحة ابن أحمر (١) ، وعلل جدتها وانفراده بها بأنه إما أن يكون أخذها سماعا من لغة (= لهجة) قديمة لم يشاركه أحد فى سماعها (٢) — وهذا قد ذكره قبلا ، ولكنه هنا أضاف تعليلا آخر : هو أنه يجوز أن يكون ابن أحمر ارتجل هذه الألفاظ ارتجالا « فإن الأعرابى إذا قويت فصاحته ، وسمت طبيعته ، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به (٣) » وضرب المثل فى ذلك برؤبة وأبيه . وقد عمم حكمه السابق بقوله : « فأقوى القياسين أن يقبل ممن شهرت فصاحته ما يورده ويحمل أمره على ما عرف من حاله لا على ما عسى أن يكون من غيره (٤) » وقال قبل ذلك : « لكن لو جاء شىء من ذلك (الجديد) عن ظنين ، أو متهم ، أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت إلى الأنفس ثقته كان مردودا غير متقبل (٥) » اهـ .

— نعم . وبهذا كله يتأصل ما أخذ به مجمع اللغة العربية فى معجمه الكبير — وهو عين ما توصلت إليه هذه الدراسة — على ما جاء فى مقدمته : « واستقر رأى المجمع على أن العربية ليست مقصورة على ما جاء فى المعجمات وحدها ، بل لها مظان أخرى يجب تتبعها والأخذ عنها ، وفى مقدمتها كتب الأدب والعلم . ومن الخطأ أن يرفض لفظ لا لسبب اللهم إلا أنه لم يرد فى معجم لغوى ، ويرى أيضا أن اللغة كل متصل الأجزاء يرتبط حاضره بماضيه ، وهما معا يعدان لمستقبله . وللعربية قديمها الخالد ، وحاضرها الحى ، ومستقبلها الزاهر — إن شاء الله تعالى ، ومن الظلم أن نقف بها عند حدود زمنية معينة . وينبغى أن يعبر المعجم الحديث عن عصور اللغة جميعها ، وأن يستشهد فيه بالقديم والحديث على السواء . . (٦) »

(١) الخصائص ٢/ ٢٤ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه ٢/ ٢٤ - ٢٥ .

(٤) نفسه ٢/ ٢٧/ ٨ - ٩ .

(٥) نفسه ٢/ ٢٥/ ١٠ ، ١١ .

(٦) المعجم الكبير ١/ د .

وقد جاء الجزءان اللذان أخرجهما المجمع من المعجم الكبير تطبيقا شاملا ودقيقا لكل ما استقر عليه رأى المجمع — مما ذكرناه هنا ومما لم نذكره ، وفى الجانب الذى يخص هذه الدراسة من ذلك ، فإن الجزأين اللذين أخرجهما المجمع قد حفلا بشواهد من شعر المولدين من أمثال بشار (١٦٧هـ) (١) وأبى نواس (١٩٩هـ) (٢) ، وإبراهيم بن المهدى (٢٢٣هـ) (٣) ، وأبى تمام (٢٣١هـ) (٤) ، وعمارة (٢٣٩هـ) (٥) ، وأحمد بن المعذل (٢٥٠هـ) (٦) وابن الرومى (٢٨٣هـ) (٧) والبحترى (٢٨٤هـ) (٨) وابن المعتز (٢٨٦هـ) (٩) والمتنبى (٣٥٤هـ) (١٠) وأبى فراس (٣٥٧هـ) (١١) ، وأبى الفتح البستى (٤٠٠هـ) (١٢) والشريف الرضى (٤٠٦هـ) (١٣) وأبى العلاء (٤٤٩هـ) (١٤) وعبد الجليل بن وهبون (٤٨٠هـ) (١٥) والطغرائى (٥١٤هـ) (١٦) ، وابن صارة الشنتريني (٥١٧هـ) (١٧) والبهاء زهير (٦٥٦هـ) (١٨) ، ثم البارودى (١٣٢٢هـ) (١٩) ، وحافظ إبراهيم (١٣٥١هـ) (٢٠) ، وأحمد شوقى (١٣٥١هـ) (٢١) . وغيرهم (٢٢) .

---

(١) المعجم الكبير جـ ١ تركيب (أدب ، أذن) .
(٢) نفسه تركيب (أتم) .
(٣) (أسو) .
(٤) (أدب) .
(٥) (أنف) .
(٦) (أيم)
(٧) (أمم / أنف) .
(٨) (أمس .) .
(٩) (أرش) .
(١٠) (أول . .) .
(١١) (أتو . .) .
(١٢) (أبيورد) .
(١٣) (ألل) .
(١٤) (أجر . .) .
(١٥) (أله) .
(١٦) (ابريز) .
(١٧) (أبر) .
(١٨) (ألف) .
(١٩) (أدد) .
(٢٠) (أمه .)
(٢١) (أوه . .) .
(٢٢) انظر فهرس الشعراء المستشهد بشعرهم فى آخر كل من جزأى المعجم الكبير الأول والثانى .

المراجـع

(مرتبة أبجدياً مع التغاضى عن « ال » ، ومع حذف كلمة كتاب إذا كانت فى العنوان إلا فى كتاب سيبويه . .)

---

١ — إتحاف الأمجاد فى ما يصح به الاستشهاد : للسيد محمود شكرى الألوسى . تحقيق عدنان عبدالرحمن الدورى — وزارة الأوقاف — الجمهورية العراقية — (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م)

٢ — الإتقان فى علوم القرآن : لجلال الدين السيوطى . تحقيق : محمد أبو الفضل . ط ٣ — مصطفى البابى الحلبى .

٣ — أخبار النحويين : لشيخ القراء أبى طاهر — عبد الواحد بن عمر ابن محمد بن أبى هاشم المقرىء — تحقيق د . محمد إبراهيم البنا — دار الاعتصام ط ١ (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .

٤ — أخبار النحويين البصريين . لأبى سعيد الحسن بن عبدالله السيرافى — تحقيق د . محمد إبراهيم البنا — دار الاعتصام — ط ١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م) .

٥ — الاختيارين : صنعة الأخفش الأصغر — تحقيق فخر الدين قباوة مؤسسة الرسالة — ط ٢ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .

٦ — أدب الكاتب : لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة — تحقيق محمد الدالى — مؤسسة الرسالة ط ١ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

٧ — إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب — ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى . مطبوعات دار المأمون — بإشراف : د . أحمد فريد رفاعى .

٨ — الاستدراك على المعاجم العربية . د . محمد حسن حسن جبل ط دار الفكر العربى .

٩ – الأشباه والنظائر فى النحو . لجلال الدين السيوطى . تحقيق د. طه عبد الرءوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) .

١٠ – إصلاح المنطق . يعقوب بن السكيت. تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون – دار المعارف. القاهرة (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) .

١١ – الأصول فى النحو .لأبى بكر محمد بن سهل بن السراج . بتحقيق عبد الحسين الفتلى . مؤسسة الرسالة . ط١ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

١٢ – أصول معانى ألفاظ القرآن الكريم – رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر – د . محمد حسن حسن جبل .

١٣ – أصول النحو العربى فى نظر النحاة ورأى ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث – د . محمد عيد . عالم الكتب – القاهرة ١٩٧٨ .

١٤ – أصول النحو العربى – محمد خير الحلوانى .

١٥ – الأضداد فى اللغة . لمحمد بن القاسم الأنبارى – تحقيق : محمد أبو الفضل – دائرة المطبوعات – الكويت – ١٩٦٠ م .

١٦ – الأعلام . خير الدين الزركلى ط ٤/١٩٧٩ دار العلم للملايين .

١٧ – الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى . (ط دار الكتب) ، (ط الهيئة المصرية العامة) .

١٨ – الأفعال لأبى عثمان سعيد بن محمد السرقسطى – تحقيق د . حسين محمد شرف – مراجعة د . مهدى علام – مجمع اللغة العربية – القاهرة – (١٣٩٥هـ/١٩٧٥ م) .

١٩ – الاقتراح فى علم أصول النحو . لجلال الدين السيوطى – تحقيق وتعليق د . أحمد محمد قاسم – مطبعة السعادة . ط ١ (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

٢٠ – الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى – دار الجيل ١٩٧٣ م .

٢١ – أمالى الزجاجى – أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى

تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون – المؤسسة العربية الحديثة – ط ١ (١٣٨٢ هـ) .

٢٢ – الأمالى الشجرية لهبة الله بن على بن حمزة العلوى الحسنى المعروف بابن الشجرى – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت (بدون تاريخ) .

٢٣ – أمالى القالى – أبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى . الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٥ م .

٢٤ – الأمثال. لأبى عبيد القاسم بن سلام – تحقيق د. عبد المجيد قطامش مركز البحث العلمى – جامعة الملك عبد العزيز .

٢٥ – إنباه الرواة على أنباه النحاة . جمال الدين القفطى. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب / دار الكتب – القاهرة (١٩٧٣) .

٢٦ – الإنصاف فى مسائل الخلاف – لكمال الدين أبى البركات الأنبارى عبد الرحمن بن محمد . ومعه الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيى الدين . دار الفكر .

٢٧ – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصارى . ومعه عدة السالك إلى توضيح أوضح المسالك محمد محيى الدين . دار الجيل . ط ٥ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م) .

٢٨ – بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – عيسى البابى الحلبى (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) .

٢٩ – البيان والتبيين . لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق وشرح عبد السلام هارون – دار الفكر . ط٤ (بدون تاريخ) .

٣٠ – تاج العروس من جواهر القاموس . (شرح القاموس) للعلامة مرتضى الزبيدى ط ١ / المطبعة الخيرية – ١٣٠٦ هـ .

٣١ – تاج اللغة وصحاح العربية – لإسماعيل بن حماد الجوهرى. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين (١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م) .

٣٢ — تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان . نقله إلى العربية : د . عبد الحليم النجار . دار المعارف .

٣٣ — تاريخ بغداد أو مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي — الخانجي بالقاهرة ، والمكتبة العربية ببغداد (١٣٤٩هـ/١٩٣١م) :

٣٤ — تاريخ التراث العربي . فؤاد سزكين (المجلد الثاني — الشعر) نقله إلى العربية : د . محمود فهمي حجازي . من مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية (١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م) .

٣٥ — تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين . جورج مونين ، ترجمة د. بدر الدين قاسم . وزارة التعليم العالي . دمشق (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)

٣٦ — التبصرة والتذكرة لأبي محمد عبد الله بن علي الصيمري تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى على الدين . مركز البحث العلمي جامعة أم القرى ط ١ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)

٣٧ — تحرير الرواية في تقرير الكفاية لمحمد بن الطيب الفاسي . تحقيق د. علي حسين البواب . دار العلوم للطباعة النشر — الرياض(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
(وهو شرح لكتاب : كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي)

٣٨ — التعازي والمراثي لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد . تحقيق : محمد الديباجي — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق(١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

٣٩ — تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع صنعة أبي الفتح عثمان بن جني تحقيق : محمد بهجة الأثري ط ٢/١٤٠٠هـ/١٩٧٩م مجمع اللغة العربية بدمشق .

٤٠ — تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي . دار الفكر ، ط ٢ (١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م)

٤١ — تفسير البيضاوي (على هامش حاشية زادة) (حاشية محي الدين شيخ زادة — المكتبة الإسلامية — ديار بكر — تركيا) .

— تفسير الزمخشري = الكشاف .
— تفسير القرطبي = الجامع .

٤٢ — التمام (مقالات) للدكتور نوري حمودي القيسي في الاستدراك على (معجم الشعراء في لسان العرب) . مجلة المجمع العلمي العراقي — مجلد ٣٣ .

٤٣ — التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح . لأبي محمد عبد الله بن بري المصري . تحقيق وتقديم : مصطفى حجازي . مراجعة : علي النجدي ناصف . مجمع اللغة العربية (مصر) — الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث . ط ١ — ١٩٨٠ م .

٤٤ — تهذيب التهذيب . للإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . مطبعة مجلس دائرة المعارف . حيدر آباد . ط ١ (١٣٢٦هـ) .

٤٥ — تهذيب اللغة (معجم) لأبي منصور الأزهري . تحقيق عبد السلام هارون . ومراجعة محمد علي النجار ، وآخرين في تحقيق ومراجعة سائر الأجزاء . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٤٦ — ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية وعلاقتها بالأصول الثلاثية د . أمين فاخر — مكتبة الكليات الأزهرية (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

٤٧ — الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة (مصور عن طبعة دار الكتب) .

٤٨ — الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي . تحقيق علي توفيق الحمد ساعدت جامعة اليرموك في دعم تحقيقه . مؤسسة الرسالة ، دار الأمل .

٤٩ — جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري. دار صادر .

٥٠ — حاشية الخضري للشيخ محمد الدمياطي على شرح عبد الله بن عقيل لألفية ابن مالك . مصطفى البابي الحلبي (١٣٥٩هـ — ١٩٤٠م) .

٥١ — حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف للزمخشري — انظر الكشاف

٥٢ — حاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح على التوضيح .. الشيخ يس زين الدين العليمى الحمصى. (ط على هامش شرح التصريح. التجارية)، (ط عيسى البابى الحلبى).

٥٣ — حاشية الصبان على شرح الأشمونى. ومعه شرح الشواهد للعينى. دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى).

٥٤ — حماسة البحترى — تحقيق: لويس شيخو. ط ٢ / ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٥٥ — الحماسة البصرية. صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى (الجزء الأول) تحقيق. : . عادل جمال سليمان. نشر : لجنة إحياء التراث الإسلامى. وزارة الأوقاف. القاهرة (١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م).

٥٦ — حماسة ابن الشجرى تأليف ابن الشجرى هبة الله بن على — المتوفى ٥٤٢هـ تحقيق : عبد المعين الملوحى، أسماء الحمص منشورات وزارة الثقافة — دمشق ١٩٧٠ م.

٥٧ — الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق وشرح : عبد السلام هارون. مصطفى البابى الحلبى. ط ٢.

٥٨ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر البغدادى (بولاق) على هامشه بكتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى للإمام العينى.

— خزانة الأدب. تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب (تراثنا)، مكتبة الخانجى (القاهرة).

٥٩ — الخصائص. صنعة أبى الفتح عثمان بن جنى. تحقيق : الشيخ محمد على النجار. دار الكتب المصرية / القسم الأدبى. نشر دار الكتاب العربى.

٦٠ — الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى العلوم العربية للفاضل الرحالة أحمد بن الأمين الشنقيطى. (أوفست) دار المعرفة — بيروت (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م).

٦١ — ديوان الأدب لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى. تحقيق

د. أحمد مختار عمر. مراجعة : د. إبراهيم أنيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط ١ (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م).

٦٢ — ذيل الأمالى والنوادر. لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى. (طبع مع أمالى القالى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م.

٦٣ — الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعى. تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر مصطفى البابى الحلبى. القاهرة ١٩٤٠ م.

٦٤ — الرواية والاستشهاد باللغة د. محمد عيد ط ٢. القاهرة — عالم الكتب ١٩٧٦.

٦٥ — الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام. للفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى السهيلى قدم له وعلق عليه وضبطه : طه عبد الرءوف سعد) دار المعرفة — بيروت (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

٦٦ — الزاهر فى غريب ألفاظ الشافعى تحقيق محمد جبر الألفى لأبى منصور الأزهرى. نشر وزارة أوقاف الكويت ط ١ (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)

٦٧ — سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب للشيخ أبى الفوز محمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى. ط المكتبة التجارية الكبرى.

٦٨ — الشاهد وأصول النحو فى كتاب سيبويه — خديجة الحديثى. مطبوعات جامعة الكويت (٣٧). (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م).

٦٩ — شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك — ومعه أوضح المسالك للشيخ محمد محيى الدين. النهضة المصرية. ط ٣.

٧٠ — شرح التصريح (للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى) على (توضيح) ابن هشام لألفية ابن مالك وبهامشه حاشية الشيخ ياسين زين الدين العليمى الحمصى. عيسى الحلبى والتجارية.

٧١ — شرح الجمل لابن عصفور الاشبيلى تحقيق د. صاحب أبو جناح.

٧٢ — شرح ديوان الحماسة لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى.

نشره : أحمد أمين ، عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط ٢ (١٩٦٧ — ١٩٦٨ م) .

٧٣ — شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى . تحقيق : د. إحسان عباس .

٧٤ — شرح شافية ابن الحاجب للشيخ رضى الدين الأستراباذى مع شرح شواهده للشيخ عبد القادر البغدادى . تحقيق الأساتذة : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محيى الدين . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٧٥ — شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب . عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصارى ومعه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب . محمد محيى الدين .. بدون تاريخ ولا دار نشر .

— شرح الشواهد الكبرى للعينى = المقاصد النحوية .

٧٦ — شرح شواهد المغنى . جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى . تصحيح وتعليق العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى . دار مكتبة الحياة — بيروت بدون تاريخ .

٧٧ — شرح القصائد التسع المشهورات . لأبى جعفر النحاس . تحقيق أحمد خطاب — مديرية الثقافة — وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية . (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م) سلسلة كتب التراث (٢٣) .

٧٨ — شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى : تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .

٧٩ — شرح قصيدة كعب بن زهير لجمال الدين بن هشام . تحقيق : حسن أبو ناجى الوكالة العامة للتوزيع دمشق (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .

٨٠ — شرح الكافية (كافية ابن الحاجب) للشيخ رضى الدين الاستراباذى . دار الكتب العلمية . بيروت ط ٢ (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) .

٨١ — شرح الكافية الشافية لابن مالك . لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك . تحقيق : د. عبد المنعم أحمد هريدى . دار المأمون للتراث ط ١ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م)

(من مطبوعات مركز البحث العلمى بكلية الشريعة بمكة المكرمة — جامعة أم القرى) .

شرح كفاية المتحفظ = تحرير الرواية فى تقرير الكفاية .

٨٢ — شرح المفصل . تأليف الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى . عالم الكتب . بيروت .

٨٣ — شرح المفضليات لأبى زكريا يحيى بن على التبريزى . تحقيق : على محمد البجاوى . دار نهضة مصر (١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م) .

٨٤ — شرح مقصورة ابن دريد . للخطيب التبريزى — المكتب الإسلامى للطباعة والنشر بدمشق (١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م) .

٨٥ — الشعر والشعراء لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر .

٨٦ — شفاء الغليل فى ما فى كلام العرب من الدخيل . شهاب الدين الخفاجى تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجى . المطبعة المنيرية . القاهرة (١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م) .

٨٧ — شواهد الشعر فى كتاب سيبويه د. خالد عبد الكريم جمعة . مكتبة دار العروبة بالكويت (١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م) .

٨٨ — الشواهد النحوية . د. أحمد ماهر البقرى . دار المعارف (١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م) .

٨٩ — الشواهد والاستشهاد فى النحو . عبد الجبار علوان . مطبعة الزهراء بغداد . ط ١ (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦ م) .

٩٠ — الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها : أحمد بن فارس . تحقيق د. مصطفى الشويمى .

— الصاحبى تحقيق السيد صقر مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٧٧ م .

— الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية .

٩١ ـ طبقات فحول الشعراء، تأليف محمد بن سلام الجمحي. قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٩٢ ـ طبقات النحويين واللغويين. لأبي محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف (س. ذخائر العرب)(٥٠)

٩٣ ـ ظاهرة الشذوذ في النحو العربي د. فتحي الدجني. وكالة المطبوعات الكويت ط ١ ـ ١٩٧٤ م.

٩٤ ـ العقد الفريد. لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي.

ـ شرح وتصحيح : أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الابياري ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ـ طبعة أخرى بتحقيق د. مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية بيروت ط ١ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م).

٩٥ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، الأزدي. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت.

٩٦ ـ عيون الأخبار لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. الهيئة المصرية العامة للكتاب (التراث للجميع) ١٩٧٣ م.

٩٧ ـ غريب الحديث لأبي إسحاق الحربي (المجلدة الخامسة) تحقيق د. سليمان بن ابراهيم بن محمد العايد. مركز البحث العلمي جامعة أم القرى،

٩٨ ـ غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي تحقيق عبد الكريم العزباوي ـ مركز البحث العلمي جامعة أم القرى ط ١ (١٤٠٥هـ/١٩٦٤م).

٩٩ ـ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام. تحت مراقبة د. محمد عبد المعين خان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، ط ١ (١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م).

١٠٠ ـ غريب الحديث لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق د. عبدالله الجبوري ـ وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية.

١٠١ ـ الفائق في غريب الحديث. للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري

تحقيق : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. عيسى البابي الحلبي ط ٢.

١٠٢ ـ (فصل المقال) في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (وهو شرح لكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام) تحقيق : د. إحسان عباس، د. عبد المجيد عابدين. دار الأمانة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م.

١٠٣ ـ فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي. تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي ط ٢ (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤ م). مصطفى البابي الحلبي.

١٠٤ ـ فهارس غريب الحديث ـ د. محمود محمد الطناحي. مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ـ العدد الرابع.

١٠٥ ـ الفهرست لابن النديم ـ دار المعرفة. بيروت.

١٠٦ ـ فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق محمد محيي الدين، نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١ م.

١٠٧ ـ في أصول النحو. سعيد الأفغاني. ط ٣ (١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م).

١٠٨ ـ القواعد النحوية. مادتها وطريقتها. د. عبد الحميد حسن. مكتبة الأنجلو المصرية ط ٢ ـ ١٩٥٢ م.

١٠٩ ـ القياس في اللغة. للشيخ محمد الخضر حسين. المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ـ ١٣٥٣هـ.

١١٠ ـ الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد. تصحيح الشيخ إبراهيم الدلجموني.

١١١ ـ الكتاب لسيبويه. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. دار القلم ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦ م.

١١٢ ـ كتاب الكُتّاب لابن درستويه، تحقيق : د. ابراهيم السامرائي، د. عبد الحسين الفتلي. دار الكتب الثقافية ـ الكويت.

١١٣ — كشاف اصطلاحات الفنون . للتهانوى . دار خياط (بيروت) .

١١٤ — الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل . تأليف : أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى . ط : مصطفى البابى الحلبى . ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

١١٥ — كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للعلامة على بن حسام الدين الهندى — مكتبة التراث الإسلامى حلب / مؤسسة الرسالة .

١١٦ — لسان العرب طبعة بولاق (إذا رجع إلى غيرها يشار) .

١١٧ — لغات البشر — ماريوباى . ترجمة د. صلاح العربى .

١١٨ — اللغة العربية المعاصرة . د. محمد كامل حسين . ط دار المعارف ١٩٧٦ .

١١٩ — اللمع فى العربية . صنفه الشيخ أبو الفتح عثمان بن جنى . تحقيق : فائز فارس دار الكتب الثقافية . الكويت (بدون تاريخ) .

١٢٠ — مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق فؤاد سزكين . مكتبة الخانجى بمصر (بدون تاريخ) .

١٢١ — مجالس ثعلب . لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب . شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف (من ذخائر العرب (١)) ط٣ .

١٢٢ — مجالس العلماء لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى . تحقيق عبد السلام محمد هارون . الطبعة الأولى الكويت ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ، الطبعة الثانية الخانجى والرفاعى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

١٢٣ — مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة — العدد الأول .

١٢٤ — مجلة مجمع اللغة العربية (المصرى) — العدد الأول .

١٢٥ — مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميدانى . تحقيق محمد محيى الدين . مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م

١٢٦ — المجمل (معجم لغوى) لأبى الحسين أحمد بن فارس . تحقيق : زهير سلطان

١٢٧ — المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق د. على النجدى ناصف ، د. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح شلبى / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٦ هـ.

١٢٨ — المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة . تأليف على بن إسماعيل بن سيدة (حـ ١ — ٦) تحقيق جماعة من العلماء — مصطفى البابى الحلبى ١٣٧٧ هـ / ١٣٩٢ هـ .

١٢٩ — المذكر والمؤنث لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى . تحقيق د. طارق عبد عون الجنابى — العانى ببغداد — إحياء التراث بوزارة الأوقاف — الجمهورية العراقية ط ١ — ١٩٧٨ .

١٣٠ — مراتب النحويين . لأبى الطيب اللغوى (عبد الواحد بن على) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر . ط ٢ .

١٣١ — مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى تحقيق محمد محيى الدين . دار المعرفة — بيروت .

— المزهر فى علوم اللغة وأنواعها . للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى . شرحه وضبطه : محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، على محمد البجاوى . دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبى .

١٣٣ — المسائل البصريات لأبى على الفارسى . تحقيق محمد الشاطر أحمد .

١٣٤ — المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات . تحقيق : صلاح الدين عبدالله السنكاوى . العانى — بغداد — إحياء التراث بوزارة الأوقاف . الجمهورية العراقية .

١٣٥ — المساعد على تسهيل الفوائد (شرح لبهاء الدين بن عقيل على تسهيل الفوائد لابن مالك) تحقيق : محمد كامل بركات . مطبوعات مركز البحث العلمى بكلية الشريعة بمكة المكرمة . جامعة الملك عبد العزيز .

١٣٦ — المستقصى فى أمثال العرب . جار الله الزمخشرى . دار الكتب العلمية ط ٢ (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .

١٣٧ — المشوف المعلم فى ترتيب الإصلاح على حروف المعجم . لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى . تحقيق : ياسين محمد السواس مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

١٣٨ — معانى القرآن لأبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط تحقيق : فائز فارس ط ١ (١٤٠٠ هـ / ١٩٥٩) المطبعة العصرية . الكويت .

— معجم الأدباء = إرشاد الأريب الى معرفة الأديب .

١٣٩ — معجم الشعراء . للإمام أبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى (ومعه المؤتلف والمختلف للآمدى) تصحيح وتعليق د . ف . كرنكو . دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

١٤٠ — معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين . د. عفيف عبد الرحمن . دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٤١ — معجم الشعراء فى لسان العرب . د. ياسين الأيوبى . دار العلم للملايين ط ٢ - ١٩٨٢ .

١٤٢ — معجم شواهد العربية للعلامة عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجى بمصر ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .

١٤٣ — معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . عمر رضا كحالة . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط ٣ (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .

١٤٤ — معجم مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون . مصطفى البابى الحلبى . ط ٢ (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) .

١٤٥ — معجم نظام الغريب لعيسى بن إبراهيم الربعى — استخرجه وصححه : بولس برونلة . مطبعة هندية بالموسكى . القاهرة الطبعة الأولى .

١٤٦ — المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية (بمصر) . الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث . مطابع دار المعارف ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

١٤٧ — المعنى اللغوى . دراسة نظرية وتطبيقية . د. محمد حسن حسن جبل . مطبعة السعادة ط ١ (١٤٠١ هـ / ١٩٨١م) .

١٤٨ — مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب . لعبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن هشام الأنصارى . تحقيق وضبط : محمد محيى الدين . مكتبة صبيح (بلون تاريخ) .

١٤٩ — المفضليات . اختيار المفضل محمد بن يَعْلَى الضبىّ . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون . دار المعارف . ط ٦

١٥٠ — المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى للإمام العينى . بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحلبى العينى . (طبع على هامش خزانة الأدب . الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق) .

١٥١ — المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، الطبعة الثانية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٦ هـ

١٥٢ — مقدمة ابن خلدون . تحقيق د. على عبد الواحد وافى . دار نهضة مصر . ط ٣ .

١٥٣ — من أسرار اللغة . د. إبراهيم أنيس ط ٦ الأنجلو المصرية ١٩٧٨ .

١٥٤ — المنصف لابن جنى (شرح كتاب التصريف للمازنى) . تحقيق : إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين . إدارة إحياء التراث القديم . إدارة الثقافة بوزارة المعارف (مصر) . مصطفى البابى الحلبى . ط ١ (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)

١٥٥ — المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية . الشيخ حمزة فتح الله . نظارة المعارف العمومية (مصر) . المطبعة الأميرية ١٣١٢ هـ

١٥٦ — الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء . تأليف : أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، وقف على طبعه واستخرج فهارسه : محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة ط ٢ (١٣٨٥هـ)

١٥٧ — موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف د. خديجة الحديثى . وزارة الثقافة العراقية . دار الرشيد للنشر . ١٩٨١ م

١٥٨ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الأنبارى — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — مطبعة المدنى .

١٥٩ — النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى (ابن الأثير) المكتبة الإسلامية (بدون تاريخ)

١٦٠ — همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع . للإمام جلال الدين السيوطى . تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، عبد العال السيد مكرم ؛ ساعدت جامعة الكويت على نشره . ط ١

١٦١ — الوحشيات (كتاب الوحشيات) وهو الحماسة الصغرى لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى تحقيق وتعليق : عبد العزيز الميمنى ومحمود محمد شاكر — دار المعارف ١٩٦٣ م

١٦٢ — الوساطة بين المتنبى وخصومه . القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى . تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، على محمد البجاوى ، عيسى البابى الحلبى ط ٣

* * *

١٥٨ – نزهة الألباء [illegible] لأبي البركات الأنباري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة [illegible].

١٥٩ – النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) المكتبة الإسلامية (بدون تاريخ).

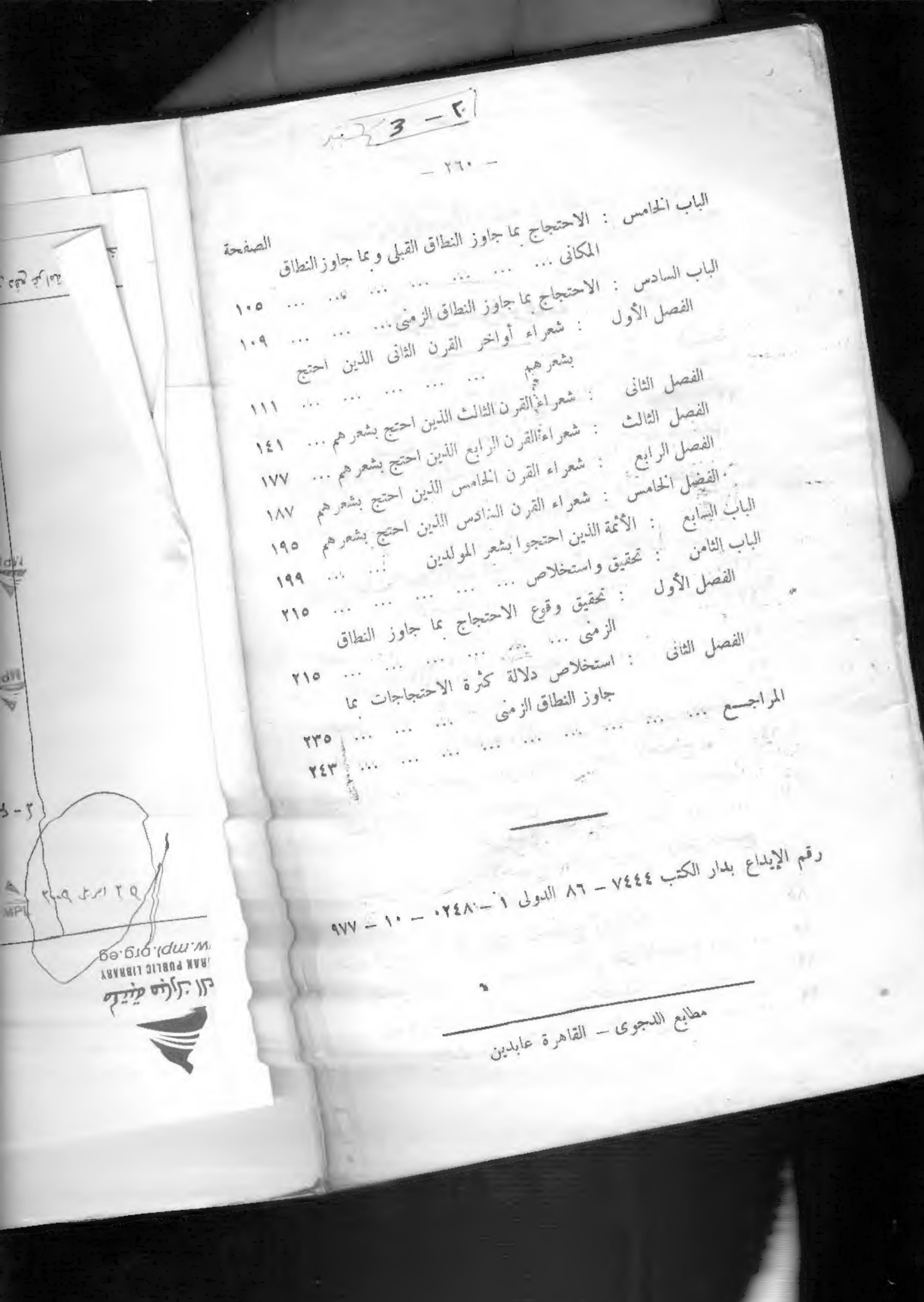
١٦٠ – همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع . للإمام جلال الدين السيوطى . تحقيق وشرح : عبد السلام [illegible] هارون ، عبد العال السيد مكرم ؛ ساعدت جامعة الكويت على نشره .

١٦١ – الوحشيات (كتاب [illegible]) وهو الحماسة الصغرى لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى تحقيق وتعليق : عبد العزيز الميمنى ومحمود محمد شاكر – دار المعارف ١٩٦٣ م .

١٦٢ – الوساطة بين المتنبى وخصومه . القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى . تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، على محمد البجاوى ، عيسى البابى الحلبى ط٣

* * *

فهرس الموضوعات



رقم الإيداع بدار الكتب ٧٤٤٤ – ٨٦ الدولى ١ – ٠٢٤٨ – ١٠ – ٩٧٧

مطابع الدجوى – القاهرة عابدين